

مكتبة الأستاذ الدكتور محمد بن تركي التركي

مخطوطة

شرح الأربعين

المؤلف

علي بن سلطان محمد (الملا علي القاري)

الملاحظات

- أصل هذه النسخة في مكتبة ولي الدين بتركيا.

شرح حديث اربعين لعلي القاري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الاعداد والاوقات اعتبارا للانام فخلق السموات
والارض في ستة ايام وخمر طينة آدم عليه السلام بيديه اربعين صباحا
في مقام الاكرام وجعل اطوار خلقة بني آدم اربعين نطفة ثم اربعين
علقة ثم اربعين مضغة الى ان كسى اللحم فوق العظام وواعد موسى
عليه السلام اربعين ليلة لميقات الكلام وبعث نبينا صلى الله عليه
وسلم بعد تكميل اربعين سنة على سنن اكثر الانبياء الكرام والصلوة
والسلام الاتمان الاعمان والافضلان الاكملان على من خلق اولا في
عالم الارواح وجعل آخرا من بين الانبياء في مراتب الاشباح ليكون
مظهر المراتب الاولية الباطنية ومظهر اللمنا قب الاخرية الظاهرية وعلى
آله الكرام واصحابه الفخام وسائر اتباعه الى يوم القيام اما بعد
فيقول المفتقر الى ربه الباري علي بن سلطان محمد القاري هذا شرح
عزيز لا بسيط ولا وجيز غير مخل في بيان مبانيه ولا ممل في برهان معانيه
ممزوج بفوائد لغوية ونحوية وفقهية وعوائد صوفية من اسرار دقيقة
وانوار سنية قصدت بتوفيق الملك المعين سلوك خدمة هذه الاربعين
المشتملة على احكم المباني وابلغ المعاني التي صدرت من مشكوة صدر
من نزل عليه السبع المثاني مما الفه الشيخ الامام العلامة والهمام الفهامة
محي الدين النووي قدس الله روحه العلي ونور ضريحه الجلي وقد ولد سنة
احدى وثلاثين وستمائة بنوى قرية من دمشق الشام وقرأ بها كلام
الملك العلام سنة تسع واربعين وقرأ التنبيه في اربعة اشهر ونصف

وحفظ

وحفظ ربع المهذب في بقية السنة ثم مكث قريبا من سنتين لا يضع جنبه على
الارض يقرأ اثني عشر درسا من العلوم وكان آمرا ناهيا ساهرا في العلم
والعمل صابرا على خشونة العيش وقصر الامل لا يأكل الا مرة مما يؤتى به من عند
ابويه بعد العشاء ولا يشرب الا شربة عند السحر ولم يتناول فواكه دمشق
لشبهة فيها ولم يتزوج من زمانه وحج مرتين وتولى دار الحديث الاشرفية
سنة خمس وستين ولم يؤخذ من معلومها شيئا يلبس ثوب قطن
وعمامة سنجابية وعليه سكينة ووقار في بحث العلوم الدينية ولم يزل على
ذلك الى ان سافر الى القدس ثم عاد الى وطنه فمرض عند ابويه وتوفي
في سنة ست وسبعين وستمائة ودفن ببلده طيب الله مضجعه روي انه
انشد ابياتا عند الوفاة منها يسار قلبي في قدومي عليهم وبالبشرى
يوم اسري اليهم وفي رحلتي يصفو امقامي وجنة امقام به حط الرحال لديهم
وسميته بالمبين المعين لفهم الاربعين وهذا اول الشروع في المقصود
بعون الله الملك المعبود وقال رحمه الله بسم الله اي باسم المعبود بالحق
الواجب الوجود المبدع للعالم من اثر الكرم والجود والباء للاستعانة متعلق
بفعل مؤخر مثل ابتدئ او ابتدائي لافادة الاختصاص والاهتمام في مرتبة
الخاص ولان ما هو السابق في الوجود يستحق السبق في ظهور الجود ولذا
قال بعض المحققين من ارباب الشهود ما رأيت شيئا الا ورأيت الله قبله
وزاد عليه من ترقى لديه بقوله سوى الله والله ما في الوجود الرحمن العام
الرحمة لجميع البرية بافاضته اصول النعم وجلائلها الرحيم الى صفة الرحمة للمؤمنين
بالهداية وما يتوقف عليه سعادتهم من دقائقها وحقائقها واصل الرحمة
انعطاف القلب والرقة وهي في حقه سبحانه ارادة الخير لمن يستحق له
او ترك العقوبة لمن يستوجبها والحاصل ان الرحمن هو المفيض للوجود والكمال
على الكل بحسب ما تقتضي الحكمة على وجه البداية والرحيم هو المفيض للكمال
المعنوي المخصوص بالنوع الانساني بحسب النهاية وفائدة لفظ الاسم
انه يتم به الحق على قلوب اهل معرفته من الخلق فلما قدم لفظ الله تحملت العقول

في ابتداء عظمته وذات الارواح في بحار الوهبية فاتبعه بالرحمن الرحيم ليسلي
قلوب الموحدين ويشف صدور قوم مؤمنين كذا قال بعض المحققين
وقيل الرحمة شراب شوق اهراقه لارباب ذوق في قدح الرحيم ليتناوله
العباد في مقام المراد حتى اذا شربوا اسكروا واطربوا فطلبوا فاروا فطاروا
فوصلوا فاتصلوا فذابوا واضمحلوا في بيداء كشفه واستغرقوا في بحار لطفه هذا
والله هو الاسم الاعظم لكن بشروط من جملتها ان تقول الله وليس في قلبك
سواه ونقل الاستاذ ابو القسم القشيري ان جميع اسمائه تعالى للتخلق الا هذا
الاسم فانه للتعلق ثم اعلم ان المصنف افتتح كتابه بالتسمية والتحميد تاسيا بالكتاب
المجيد وعملا بالحديث الصحيح المفيد كل امر ذي بال اي شان وحال لا يبدا
فيه ببسم الله الرحمن الرحيم او بالحمد لله او بحمد لله او بذكر الله فهو اجذم او اقطع او
ابتر روايات متعددة وعبارات مختلفة مؤداها ان متروك البسملة
قليل البركة او مقطوع الزيادة ورواية بذكر الله اعم وفي المعنى اتم لما يشير
الى ان الابتداء العلي الشان يحصل باي ذكر كان سواء يكون في ضمن البسملة او
الحمدلة الا ان الجمع بينهما افضل والاهتمام باقترانهما مثل والترتيب ماخوذ
من الكتاب الجليل مع ما فيه من الاشارة الى ان توفيق الاتيان بالبسملة
انعام جميل فينبغي ان يترتب عليه شكر جزيل فقال الحمد لله وهو الوصف
بالجميل الاختياري على جهة التبجيل سواء تعلق بالفضائل الكسبية او بالفواضل
الوهبية وال للاستغراق خلافا للمعتزلة في هذه المسئلة وقيل للجنس فلامه
للتخصيص فيئول امره الى الاول فتامل هذا وفي كلام الصوفية ان الحمد كما يكون
بالمقال يكون بالافعال ولسان الحال وهو ظهور الكمالات وحصول الغايات
من الكائنات اذ هي اثنية فائحة ومدح رائقة لمولاها بما يستحقه فيما اولاها
فالموجودات كلها مسبحة متنزهة حامدة اظهار الكمالاتها واشعار اعن بداياتها
ونهاياتها في مظهريتها للصفات الجلالية والنعوت الجمالية كما قال وان من شيء
الا يسبح بحمده اي بلسان فصيح ملكوتي سديد يسمعه من كان له قلب او القى السمع
وهو شهيد وبهذا اللسان نطق الحصى في يد المصطفى وبه تحدث الارض اخبارها

وتنطق

وتنطق الجوارح باوزارها وبه نطق السموات والارضين حيث قالتا
اتينا طائعين ثم اختيارهم الذات المنبئ عن صفات الكمال ووصفه بما
يتفرع عليها من الافعال ايماء الى استحقاقه من جميع الجهات وسائر الاحوال
ولذا قال رب العالمين بالجر على البدلية ويجوز رفعه ونصبه في العربية
وبالثلاث قرئ في الفاتحة اي سيدهم ومربيهم قال الواسطي هو الخالق ابتداء
والمربي غذاء والغافر انتهاء والعالم كل ما يعلم به الصانع العالم وجمع لتعدد
انواعه واختلاف اصنافه فقد قال وهب اي ثمانية عشر الف عالم وقيل
اربعون الفا وقيل ثلاث مائة وستون الفا وقيل ثمانون الفا نصفه في البر
ونصفه في البحر وقال كعب الاحبار لا يحصي عدد العالمين غيره سبحانه كما قال
وما يعلم جنود ربك الا هو واختير هذا الجمع تغليبا لذوي العقول من الملائكة
والثقلين لشرفهم واستتباع غيرهم فهو عبارة عن المخلوقات باسرها من
جواهرها واعراضها لافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده
وثبوت صفاته قيوم السموات والارضين بفتح الراء ويسكن وعلل بان قياسه
ارضات كثمرات فلما عوض منه الواو والنون ابقوا فتحة الراء ايماء الى
اصل البناء والقيوم فيعول مبالغة القائم والمراد به ههنا القائم بذاته
المقوم لمصنوعاته فهو خالقهما والدائم القائم بامرهما وجمع السماء لاختلافها
بالانار والكواكب عند الحس وتباينها في الجنس كما ورد في كتاب المعراج
للاستاذ القشيري ان الاولى موج مكفوف والثانية من النحاس والثالثة
من الفضة والرابعة من الذهب والخامسة من الياقوت والسادسة
من زمرد والسابعة من نور والعرش من جوهرة خضراء او باعتبار كبرها
وسعة جرمها ففي الخبر ان الارضين السبع بجنب السماء الدنيا كحلقة
في فلاة وهكذا كل سماء بالاضافة الى ما فوقها وجميع الكائنات بالنسبة
الى العرش وقدمها لشرفها وعلو مكانها وافراد الارض في الكتاب لاتحاد
جنسها او لصغر حجمها او لثقل جمعها وانما جمعها المصنف كما ورد في بعض
الاحاديث اشعارا بانها مثلها في عددها قال تعالى ومن الارض مثلهن وفي



لكل طبقة ما لا يعلمها الا الله الذي خلقهن وايثاراً لرعاية الفاصلة فيما قبلها وما
بعدها هذا وقال القشيري فمن عرف انه القيوم بالامور والاحوال استراح عن
كد البغية ولقب الاشتغال وعاش براحة التفويض بشكر به ولم يحصل في قلبه
للدنيا كثير قيمة وقد قال الاكابر ان جميع كرايم الدنيا والعقبى عند الله اقل
من تبنة عند سلطان الدنيا مدبر الخلايق اجمعين اي العالم بالعواقب
امورهم ومفيض ما يتوقف عليه وجودهم وثبوت ظهورهم فان الله لم
في العالم العلوي والسفلي بتدبيره العالم الارواح كتدبيره لعالم الاشباح وتدبيره
للكبير كتدبيره للصغير لا يختلف بالنسبة الى قدرته احوال شئ من صفته
في الايجاد والاعدام والمنع والاعطاء وامثال ذلك المرام باعث الرسل
اي مرسلهم صلواته اي انواع رحمته المقرونة بعظمته وسلامه وتسليمه من
اضاف معاقبة المقرونة بمعاتبة عليهم والجملة خبرية مبنى وانشائية معنى
كالحمد لله والصحيح ان الرسول انسان اوحي اليه وامر بتبليغه والنبي من لم يؤمر
او هو اعم منه وفي مسند احمد ان عدد الانبياء مائة الف واربعة عشرون
الفا والرسل منهم ثلثمائة وخمسة عشر قيل مساق الكلام يقتضي ان يكون
لهذه الاوصاف مدخل في اقتضاء الحمد على المرام لان ترتيب الوصف
على الحكم مشعر بالعلية كما تقرر في الاصول الدينية واجيب بان الامر كذلك
اما ربوبيته للكل بالامداد الرزقية والحفظية فظاهر انها من المنح الجلية واما
قيامه بامر السماء والارض فلانه لولاه لاختل العوالم العلوية والسفلية فلا يمكن
لهم اكتساب المعارف الدينية واللطايف اليقينية اذ اصلاح المعاد بانتظام
امر المعاش والزاد واما تدبيره فهو اضافة وجودهم وصفاتهم وما يتوقف
عليه ثبوت بقائهم ولا يخفى انه ايضا من النعم العظيمة والمنن الجسيمة واما بعثه
الرسل فلان الخلق بسبب احتجابهم وبعدهم عن الحق لا يمكنهم تلقي المعارف
والعلوم من الحضرة الصمدية بل لا بد لهم في استفاضة المطالب واستفادة
المآرب من واسطة تكون من وجه تناسب الحضرة الاحدية ومن وجه تلايم
الرتبة البشرية فيستفيض بسره المشاهد للحق ويفيض بظاهره المخالط

للخلق

للخلق وهم الرسل الكرام فكان بعثهم من النعم الجسام الى المكلفين اي العقلاء
البالغين من الانس وكذا من الجن بالنسبة الى نبينا صلى الله عليه وسلم
بل وكذا من الملائكة وحتى من الحيوانات والجمادات كما يشير اليه خبر مسلم
وارسلت الى الخلق كافة واما ما قيل من ان التكليف الزام ما فيه كلفة فهو
غالب غالبي بالنسبة الى العامة والعقل الذي هو مناط التكليفات عرفه
يلزمها العلم بالضروريات عند سلامة الالات وفي كلام بعض الصوفية انه جوهر
فطري يتميز به الصلاح من الفساد والخير من الشر فان تعلق بالخالق فهو عقل
المعاد والهداية وان تعلق بالخلق فهو عقل المعاش والبداية لهدايتهم
اي دلالتهم الى ذات الله وصفاته وافعاله في مصنوعاته وهداية الرسل
الكرام بدلالة العوام الى دار السلام وبارشاد الخواص طريق السير الى الله
ثم في الله ليمحو عنهم ظلمات احوالهم ويحبط غواشي ابدانهم فيستضيئوا بنور القدس
ويردوه بنوره في مجامع الانس ثم اعلم ان الهداية على ضربين بمعنى الدلالة
وتفريق الحق من الضلالة وهو هداية ارباب الرسالة وبمعنى التوفيق والتأييد
والتحقيق وهو مخصوص به سبحانه بهذا المعنى يجمع بين قوله تعالى انك
لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وبين قوله سبحانه
وانك لتهدي الى صراط مستقيم او يقال اشار فيهما الى مقام الجمع كما قرر
في قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وبيان شرايع الدين
الشريعة لغة نهج الطريق الواضح الى الماء واصطلاحا الطريقة الالهية
المثبتة للاحكام الدينية المتضمنة لمصالح العباد وعمارة البلاد ونجاة
المعاد والدين لغة الطاعة والجزاء وشرعا وضع الهي سائق لذوي العقول
باختيارهم المحمود الى ما يصلح في معاشهم ومعادهم الدين والملة يتحدان ذاتا
ويختلفان اعتبارا فان الشريعة من حيث انها يطاع بها تسمى دينا ومن حيث
انها يجتمع عليها تسمى ملة وقوله لهدايتهم اشارة الى البعثة وهي دعوة الخلق
الى الحق وارشاد العباد الى مصالح المعاش ومنافع المعاد واعلامهم بما
يعجز عقولهم عن معرفته من اصلهم كالحشر والنشر والجنة والنار وتعيين وظائف

الطاعات وتبيين اوقات العبادات وبيان الحدود والاحكام في المعاملات وذلك
لان الانسان لما لم يكن مستقل الشان بامور معاشه من غذائه ولباسه ومسكنه
بل لا يتم الا بمشاركة من ابناء جنسه وكل يشتهي ما يفتقر اليه فاحتيج الى
عدل يتفق عليه ينحصر امر كلهم لديه ولما كان من المتعذر حصر الامور الجزئية
مست الحاجة الى ضبط قوانين كلية وهي شرايع دينية ولا بد لها من شارع
ممتاز باستحقاق الطاعة لينقاد له المكلفون في قبول الشريعة وذلك
باختصاصه بايات ظاهرة ومعجزات باهرة دالة على انه من عند الحق الى
الخلق كما اشار اليه المصنف فقال بالدلائل اي حال كونهم متلبسين بالادلة
القطعية اي الموجبة للعلم لانها تقطع معارضة الخصم و واضحات
البراهين اي الحجج الواضحة في المرام ليمتازوا باستحقاق الطاعة للانام
ويقبل منهم الاحكام وتطاع شريعتهم مدى الايام فمن اطاعهم بشروه
بالجنة في دار القرار ومن عصاهم انذروه بالعقوبة في دار البوار احمده
عدل عن الجملة الاسمية المفيدة للثبات والدوام لقدم الصفات واستمرارها الى الجملة
الفعلية المناسبة لتجدد الانعام وتعاقبها وتكرارها وايضا عمم اولا ثم خصه باسناده
الى نفسه وقال احمده على جميع نعمه اراد به هنا ما يعم الشكر الذي هو من افراد
الحمد بقرينة ذكر النعمة ثم النعمة هي الحالة المستلذة او المنفعة الخالصة من المضرة
وكذا اختلف في ان الكافر هل هو منعم عليه اولا ونعم الله تعالى ان كانت لا تحصى
ولا يمكن ان تستقصى لقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اي لا تطيقوا
عدها فضلا عن اداء شكرها الا انها اما دنيوية او اخروية وظاهرية او باطنية
والدنيوي اما وهبي كخلق الاعضاء وقوى الاجزاء ونفخ الروح للاحياء والابقاء
واشراقه بالعقل وما يتبعه من الصفاء والضياء واما كسبي كتخلية النفوس عن
الرذائل وتحليتها بالفضائل وتجليتها بتحسين الشمائل والاخروي هو ان
يعفو الله عن عبده ويرضى عنه في مقام وده ويبوئه في اعلى عليين مع
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين واساله المزيد اي الزيادة
من فضله وكرمه اي من افضاله واحسانه في تجليات جماله وذلك يؤيد ما ذكرنا من انه

اراد

اراد باحمده اشكره لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولما ورد على ما رواه ابو داود
عن ابي هريرة مرفوعا كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء قال المصنف واشهد
اي اعلم واعلم ان لا اله الا الله اي لا معبود بالحق في الوجود ازلا وابدا
الا الفرد الموجود المتصف بالكرم والجود احدا صمدا الجامع لصفات الالوهية
الحاوي لنعوت الربوبية وان هي المخففة من المثقلة والجملة مفعول اشهد
الواحد اي المتعالي عن التجزي والانقسام وقيل هو سبحانه من حيث انه منزه
عن التركيب واحد ومن حيث انه مقدس عن التشبيه احد وفي جامع الاصول
ان الاحد بني لنفي ما يذكر معه من العدد وان الواحد وضع لمفتتح العدد ولا يستعمل
الا في الاثبات كقولك رايت رجلا واحدا والاحد يستعمل في النفي تقول ما
رايت رجلا هذا هو الفرق مبنى واما معنى فلان الاحد هو المنفرد باعتبار الصفات
والواحد باعتبار الذات ولذا قال بعض الصوفية الواحد المنزه عن الشريك
المماثل مع جواز اعتبار الكثرة الاعتبارية بحسب صفاته والاحد المنزه عن
اعتبار التعدد والتكثر فيه بحسب ذاته القهار اي الذي لا موجود الا وهو
مقهور تحت قدرته مسخر لقضائه وقدره وعاجز في قبضة الكريم المقدس
عن العيوب اولا المنزه عن النقايص ابدا الغفار الذي يستر ذنوب
عباده وفق مراده باسبال الستر في الدنيا وعدم المؤاخذة في العقبى قال
بعضهم ومن ايات الرجاء قوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه الاية كانه قال
من امضى عمره في الزلات وافنى عمره في المخالفات وابلى شبابه في البطالات
ثم ندم قبل الوفاة وجاء من الله العفو عن السيئات لقوله تعالى ومن يعمل سوءا
اخبار عن الفعل وقوله ثم يستغفر الله اخبار عن القول كانه قال الذين
زلتهم قالة وتوبتهم حالة يجد الله غفورا رحيما طلبوا المغفرة فوجدوا الله
بوصف الغفران والرحمة فليس العجب من البارة حيث طلبوا الى الله تابوا
فوجدوا وليوسف عليه السلام انما العجب من عاص طلب المغفرة فوجد الملك
العلام واشهد ان محمدا سمي به لكثرة خصاله الحميدة وهو اشهر اسمائه العديدة
نقلت من الوصفية الى العلمية عبده ورسوله قدم العبودية على الرسالة

النبوة دفعا للتوهم الوهبية وتعريضا للجماعة العيسوية وايماء الى ان العبادة
ما يورث السيادة واشارة الى هضم نفسه وفضل ربه وفي كلام الصوفية
انه لا مقام اشرف من العبودية اذ بها ينصرف من الخلق الى الحق وينعزل عن
التصرفات وبالرسالة من الحق الى الخلق ويقبل على التصرفات ولذا قال
اسرى بعبده ولم يقل برسوله وكان من قال الولاية افضل من النبوة
اراد من هذه الحيثية وان كانت الرسالة هي الحالة الجمعية وهذا توجيه
لكلام ابن عبد السلام من تفضيل النبوة لتعلقها بالحق على الرسالة لتعلقها
بالخلق والتحقيق ان نبوته بمعنى ولايته وهي نسبة الاستفاضة منه افضل
من رسالته وهي نسبة الافاضة واما اذا لوحظ الرتبة الجمعية فالرسالة لها
كمال المزية فانها مقام التكميل الذي هو نهاية مقامات الصوفية فالعبد
الحقيقي لربه من يكون حرا عن هوى قلبه ولذا قيل المنى على الزمان كلا انه ترى
مقلتاي طلعة حر هذا وقد جاء في الحديث الصحيح ولكن قولوا عبد الله ورسوله
وحبيبه في مقام الخاص وخليله في مرتبة الاختصاص قيل المحبة ايثار
المحبوب على جميع المصحوب وقيل موافقة الحبيب في المشهد والمغيب وقيل
محو المحب بصفاته واثبات المحبوب بذاته وقيل مواطات القلب لمرادات
الرب وقيل خوف ترك الحرمة مع اقامة وقال ابو يزيد البسطامي المحبة استقلال
الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك وقال سهل المحبة معانقة
الطاعة ومباينة المخالفة ثم كونه حبيبا لقوله الا وانا حبيب الله ولا فخر وكونه
خليلا لقوله لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلا نفي انه يكون له
خليل غير ربه فثبتت خلته له وعن الامام الصادق انه قال اظهر الله اسم الخلة
لابراهيم واخفى اسم المحبة لمحمد لتمام حاله اذ لا يحب الحبيب اظهار حال حبيبه لئلا
يطلع عليه غيره وقال لنبيه فاتبعوني يحببكم الله اشعارا بانه لا طريق الى المحبة الا
باتباع حبيبه في شريعته ومن هنا قيل الحبيب من غلب عليه المحبوبية والخليل من
غلب عليه المحبة والحاصل ان تسمية ابراهيم ومحمد عليهما السلام بخليل الله انما
بانقطاعهما اليه ووقف حوائجهما عليه والاضراب عن الوسائط لديه وقدم

حبيبه

حبيبه لاختصاصه به واتخذه خليلا لاشتراك غيره معه اولا ايماء الى انه مقام اقدم
وحال افخم اخرج البيهقي انه تعالى قال ليلة الاسراء سل تعط فقال يا رب انك
اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال الم اعطك خيرا من هذا الى
ان قال واتخذتك حبيبا ثم الخليل هو تخلل القلب بمحبة الرب كما قيل
قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا وسيأتي الكلام على
تحقيق محبة الله للعبد ومحبة العبد لله في حديث ازهد في الدنيا يحبك الله
افضل المخلوقين بدليل قوله عليه السلام انا سيد الناس يوم القيمة رواه البخاري
وفي رواية الترمذي انا سيد ولد ادم ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي
ادم فمن سواه الا تحت لوائي يوم القيمة ومن المقرر ان الانبياء افضل الخلق وهو
افضلهم فهو اكملهم ولقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وفي رواية
البيهقي انا سيد العالمين وفي رواية الترمذي انا اول من تنشق عنه الارض
فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك
المقام غيري هذا ونقل الفاكهاني ان الصحيح الذي عليه الجمهور هو ان الانبياء
افضل من الملائكة واما كون نبينا عليه السلام افضل الانبياء والمرسلين جملة
وتفصيلا فلا خلاف فيه انتهى واما قوله صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة
لا تفضلوني وفي رواية لا تخيروني على الانبياء فمحمول على النهي عن تفضيل في ذات
النبوة او الرسالة او عما تؤدي الى المنقصة او محمول على التواضع او على انه
قبل العلم بالقضية لان التفضيل الاجمالي مقطوع به لقوله تعالى تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض المكرم على سائر رسل بني ادم بالقران اي الفرقان
المعظم العزيز البديع المنيع المفخم لصيانة مبانيه وفصاحتها وصحة معانيه
وبلاغتها واشتمالها على علوم الاولين والاخرين مما يحتاج اليه في امور
الدنيا والدين وقد تكفل الله بحفظه عن كيد الجاحدين وزيغ المعاندين
فهو كريم على الرحمن وحزبه منيع من الشيطان وجنده بل قال بعض ارباب
الكمال ان الله تجلى لعباده في كلامه ولكن لا يبصرون لعدم تحقق مرائي
قال الامام الصادق فيكون عزيز الوجود عزيز المكارم والجود وقد قال تعالى

وانه كتاب عزيز لانه نزل من رب عزيز بواسطة ملك عزيز على رسول عزيز
الى جميع عزيز قال عثمان بن عفان لو طهر باطن قلوبنا ما شبعنا من كلام ربنا
المعجزة صفة اخرى للقران وهو الامر الخارق للعادة والتا للمبالغة كما في
العلامة المستمرة اى الباقية الدائمة الحاكمة على تعاقب السنين الى يوم
القيمة بخلاف معجزات سائر الانبيا فانها انقضت بانقضائهم ومن ثم
قال صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبيا الا وقد اوتي ما مثله امن عليه
البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا يوحى فارجوا ان اكون اكثرهم
تابعا يوم القيمة وان اردت معرفة المعجزة المتعلقة بالقران مبنى ومعنى على
جهة الاستيفا فعليك بشرحنا لكتاب الشفاء وبالسنن اى والمكرم
بالاحاديث المستنيرة اى ذات الانوار الكثيرة بما اشتملت عليه من هداية
الضالين وايقاظ الغافلين للمسترشدين من طلاب الرشد في الدين
وخص بهم لكونهم المنتفعين اذ لا محيص من ظلمات الردى الا بالاستضاءة
من انوار السنة والهدى وكان الاظهر ان يقول المنيرة بدل المستنيرة
او يجمع بينهما بان يقول المستنيرة المنيرة فان سنته عليه السلام كما انها
مستفيضة من الملك العلام اما بالوحي او الالهام مفيضة للعلماء الكرام
برفع ما اشكل عليهم كما اشير اليه قوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم ولا يبعد
ان يقال التقدير لاشارة المسترشدين المخصوص بالرفع عطف على المكرم
اى المختص من بين سائر الانبياء بجوامع الكلم وبدائع الحكم في مقام الانبا
وفيه تلميح الى قوله عليه السلام اوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا
اى اوتيت الكلمات الجامعة بين قلة مبانيها وكثرة معانيها ولا يختص بالقران
وان كان موصوفا بالايجاز البالغ واشباع المعاني فان في احاديثه ايضا
وجد معاني كثيرة في مباني يسيرة فقد تصدى لجمع بعضها الائمة كابن السني
والقضاعي وابن الصلاح واخرين من اهل التبجيل وفي الشفاء منه ما يشفي
العليل وقد جمعت بحمد الله اربعين حديثا كل حديث على كلمتين شاملتين
لنتيجة المرام وهو اقصر ما يتصور منه الكلام التام هذا وبلسان العارفين معناه

بعثت

بعثت بالسنة الصفات وكلمات المقامات من بحر الحقايق في الذات ينطق الحق بلسانه
وبيانه وبيانى ببيان الحق الذي يتكلم به للخلق وهو اشارة الى عين الجمع وسماحة
الدين اى سهولته ويسره كما قال تعالى ليس الاية وما جعل عليكم في الدين من حرج
وقال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال يريد الله ان يخفف عنكم وقال
ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم من تعيين قرض الجلد والثوب
اذا اصابه النجاسة وقتل النفس في التوبة والقود في القتل حتما دون الدية
وقطع الاعضاء الخاطئة وكان من اذنب منهم اصبح ذنبه مكتوبا على بابه فيقام
عليه حده ونوع كتابه ولما قرا الصحابة ربنا ولا تحمل علينا الى اخر السورة اجاب
تعالى دعائهم بقوله قد فعلت رواه مسلم وكما رواه الطبراني في الكبير بعثت بالحنيفية
السمحة وزاد احمد في مسنده ولم ابعث بالرهبانية والبدعة وروي ايضا انه
قيل يا رسول الله اى الاديان احب الى الله قال الحنيفية السمحة وروى احمد
مرفوعا يا ايها الناس ان دين الله يسر قالها ثلاثة وفي رواية قال خير
دينكم ايسره قاله ثلاثا وانه قال لما نظرت عائشة الى لعب الحبشة ليعلم اليهود
ان في ديننا فسحة اى ارسلت بحنيفية سمحة وروى عبد الرزاق احب الاديان
الى الله الحنيفية السمحة قيل وما الحنيفية السمحة قال الاسلام الواسع وصح عن
ابي رضي الله عنه اقرانه النبي صلى الله عليه وسلم ان الدين عند الله الحنيفية السمحة
لا اليهودية ولا النصرانية وهذا مما نسخ مبناه وبقي معناه لحديث البخاري
الدين يسر قال الكافجي فان قلت فهل الفائدة من ذكر صفاته هي المدح
والثناء بما يليق بذاته والاستلذاذ بذكره والابتهاج بامره كما قيل اعد
ذكر نعمان لنا ان ذكره هو المسك ما كررته يتضوع لا التعريف والتشهير
بهذه الاخلاق فانه مستغن عنها على الاطلاق قلت نعم ما احسن قول من
قال من ارباب الحال لما سميا لم تزده معرفة وانما لذة ذكرناها وقد قال
الاعشى ما ان مدحت محمدا بمقالتي لكن مدحت مقالتي بمحمد صلوات الله وسلامه
عليه اى انواع رحمته واصناف سلامته نازلة اليه وواصلة لديه خاصة
وعلى سائر النبيين اى جميعهم عامة فيحصل له دعوة ثانية تامة وهو باليا

والضم كما قرئ بهما في القرآن فقيل النبي بالهمز فعيل بمعنى الفاعل من النبأ وبالياء
فعيل بمعنى المفعول من النبوة بمعنى الرفعة وزاد ابن حجر في اصل شرحه والمرسلين
وقال مر حدّهما وما بينهما من العموم والخصوص وفيه انه مخالف للاصول المعتمدة
والنسخ المعتبرة مع انه يستغنى عنه لدخول الخاص تحت مدخول العام وآل
كل اي اقارب كلهم من جهة النسب والحسب او من اختص بهم من حيث العلم والاد
وبلايم الاول قوله وسائر الصالحين اي باقي المؤمنين من الصحابة والتابعين
واتباعهم الى يوم الدين كافة والصالح الكامل هو العالم العامل القائم بحقوق الله
وحقوق خلقه وما احسن من قال من ارباب الكمال احب الصالحين ولست
منهم لعلي ان انال بهم شفاعة واكره من بضاعته المعاصي وان كنا سواء في
البضاعة قال الكافيجي كان الاولى ان يقال وعلى آل كل باعادة كلمة
على لكمال العناية بتعلق الدعاء لهم كما في ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم انتهى
ولا يخفى ما فيه من الفرق ههنا فان الصلاة على الانبياء اصالة وعلى آلهم تبعية
فلا ينبغي التسوية في القضية مع ما فيه من الايماء الى التفنن في وجوه العربية
واما ما ذكره الشيعة من حديث من فصل بيني وبين آلي بعلي فعليه كذا وكذا
فموضوع باتفاق حفاظ السنة هذا ولعل المصنف استعمل السائر في معانيه
باعتبار اختلاف مراميه كما اشرنا اليه فلا اعتراض عليه في تكرار لفظه
اما بعد كلمة يؤتى بها في اوائل الكتاب وتسمى فصل الخطاب لانه يفصل
بين ما سبق من ذكره سبحانه وبين ما اراد من الغرض المسوق اليه الكتاب
وقد اتى به صلى الله عليه وسلم في خطبه كما صح عنه بل ثبت ثبوتا قطعيا اذ
رواه اثنان وثلاثون صحابيا والمبتدي بها داود عليه السلام وقيل غيره
من الكرام والمشهور ضم داله مبنيا واجاز الفراء نصبه منونا واجاز ابن
هشام فتحه وانكره غيره وكون اما نائب عن اسم شرط هو مهما اجيب بالفاء
فالتقدير مهما يكن من شيء من الكلام بعد ما تقدم في هذا المقام من البسملة
والحمدلة والصلاة والسلام فقد رويناها بفتح اوليه مع تخفيف الواو عند
الاكثرين من روى اذا نقل من غيره وقال جمع الاجود ضم الراء وكسر الواو

مشددة اي روانا مشايخنا اي نقلوا لنا فسمعنا عن فلان كذا قال بعض
المحققين وهو بعيد رواية ودراية واختار انه بصيغة المجهول مخففا على
طريق الحذف والايصال اي روي الينا او نقل لدينا سماعا او قراءة او اجازة
خاصة او عامة او مناولة او مكاتبة او اعلاما او وجادة او بصيغة المعروف
ليكون قوله ان مع صلتها مفعولا له هذا واما ذكره المصنف بصيغة الجمع لمشاركة
غيره معه كما في قولهم حدثني وحدثنا فلا وجه لجعل ابن حجر النون للعظمة
ليحتاج الى تكلف وتعسف في خروجه من طريق الملاحة عن علي بن ابي
طالب هو اول من اسلم وله سبع سنين او ثمان شهد المشاهد كلها سوى تبوك
حيث قال اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي
احد العلماء الربانيين بل اوحدهم والشجعان المشهورين بل اشجعهم استشهد
غداة الجمعة سنة اربعين من ضربة عبد الرحمن بن ملجم لسبع بقين من رمضان
ومات بعد ثلاث وكان له ثلاث وستون سنة ودفن عند مسجد الجماعة في
الرحبة مما يلي ابواب كندة على ما قاله الضحاك او في قصر الامارة عند المسجد
الجامع وصلى عليه ابنه الحسن وغيب قبره كما في تاريخ اليافعي ومدة خلافته
خمس سنين الا ثلاثة اشهر ونقش خاتمه لله الملك وكنيته ابو الحسن وابو تراب
كناه النبي صلى الله عليه وسلم لما وجده نائما في المسجد وقد علق التراب
بجسمه فايقظه وقال قم يا ابا التراب فكان احب الالقاب اليه لوروده
على لسانه صلى الله عليه وسلم ولقب ايضا بحيدر وهو الاسد رغما لاهل الحسد
وله مروياته خمسمائة وستة وثمانون حديثا وعبد الله والمراد به عند الاطلاق
كما اصطلح عليه المحدثون ابن مسعود الهذلي صاحب سواك رسول الله صلى الله
عليه وسلم وطهوره ونعليه وقيل وسجادته ومخدته وموافقة الصحابة بعد الخلفاء
ومن اكابر القراء توفي بالمدينة سنة اثنين وثلاثين ودفن بالبقيع وهو
ابن بضع وستين او ثمانين وله مروياته ثمانمائة وثمانية واربعون ومعاذ
بن جبل بضم الميم انصاري شهد بدرا وما بعدها وبعث الى اليمن قاضيا ومعلما
مات في طاعون عمواس بالاردن سنة ثماني عشر وهو ابن ثلاث وثلاثين

ومروياته مائة وخمسون وابي الدرداء عويمر بن عامر الانصاري كان فقيها
عالما عابدا زاهدا شهد المشاهد العظام وسكن الشام ثم عاد الى المدينة ومات
بالزبدة سنة اثنين وثلاثين ومروياته مائة وتسعة وتسعون وابن عمر اي عبد الله
وهو المراد عند الاطلاق اسلم مع ابيه وهو صغير وكان شديد المتابعة للسنة توفي
بمكة سنة ثلاث وسبعين ولم يعرف موضع قبره وقد ولد قبل الوحي بسنة
ومروياته الفان وستمائة وثلاثون وابن عباس اي عبد الله كما يراد به
حال الاطلاق ايضا خير الامة وعالمها راى جبريل مرتين مات بالطائف
سنة ثمان وستين وهو ابن سبعين وقبره يزار هناك ويتبرك به واما
ما على السنة العامة من انه صلى الله عليه وسلم قال من لم يقدر على زيارة
قبري فعليه بزيارة ابن عم فباطل لا اصل له وهو احد العبادلة الاربعة
وهم عبد الله عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله
بن الزبير على ما قاله الامام احمد بن حنبل وسائر المحدثين واما قول الجوهري
ان عبد الله بن مسعود احد العبادلة فادخله فيهم واخرج ابن عمر منهم فغلط نعم
اذا اطلق عبد الله فالمراد به ابن مسعود في اصطلاح المحدثين فانه اجلهم
وافضلهم وانس بن مالك الانصاري خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشر سنين ودعا له بكثرة المال والولد وطول العمر والبركة فاثمرت
ارضه كل سنة مرتين ودفن من صلبه سوى الاسباط مائة وخمس وعشرون
ومات بالبصرة بعد ان عمر اكثر من مائة سنة وهو آخر من مات من الصحابة
فيها ولد قبل الهجرة بعشر سنين ومات سنة احدى واثنتين او ثلاث
وتسعين ومروياته مائتا حديث وستة وثمانون وابي هريرة واسمه
عبد الرحمن بن صخر على الاصح من ثلاثة وثلاثين قولا كان في صغره يلعب
بهرة وفي كبره يحسن اليها فكني بها فمنع صرفها لكونها علما حال كبرها ولوحظ
وقت صغرها اولانها كانت صغيرة بالنسبة الى غيرها اسلم سنة ست وكان
عريف اهل الصفة ومات سنة تسع او سبع وخمسين بالمدينة وله ثمان وسبعون سنة
واحاديثه المرفوعة خمسة الاف وثلثمائة واربعة وسبعون وابي سعيد الخدري

بضم

بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة نسبة الى خدرة قبيلة من الانصار كان من الحفاظ
المكثرين والعلماء المعتبرين مات سنة اربع وسبعين وله اربع وتسعون سنة
ودفن بالبقيع ومروياته الف ومائة وسبعون رضي الله عنهم وقد نقل عن عبد الله
عمرو بن العاص ايضا كما قاله المنذري وغيره وعن جابر بن سمرة وسلمان كما اخرج
ابن ماجة من طرق كثيرات اي اسانيد كثيرة وطرق جمع طريق وهو جمع الكثرة
فتاكيده بالكثيرات مبالغة للكثرة وبروايات متنوعات مختلفة المباني متفقة المعاني
كما سيأتي بيانها وتفاوت شأنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ابو القاسم
محمد بن عبد الله سيد المرسلين وخاتم النبيين حملت به امه في ايام التشريق
في شعب ابي طالب عند الجمرة الوسطى وولد بمكة عام الفيل او قبله بثلاثين او
اربعين يوما ومات ابوه لما اتى عليه شهران او سبعة اشهر ولما بلغ ستا
او اربعا ماتت امه وكان في حجر عبد المطلب ثمان سنين وشهرين وعشرة
ايام فتوفي وولاه ابو طالب وذهب به الى الشام بعد ما تم له اثنتا عشرة
سنة وشهران وعشرة ايام ورجع من بصرى وخرج الى الشام مرة اخرى مع ميسرة
غلام خديجة للتجارة لها وتزوجها بعد ما بلغ خمسا وثلاثين شهد بنيان الكعبة ولما
تم له اربعون بعثه الله رحمة للعالمين بشيرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين ونزل
عليه القرآن وفرض عليه التبليغ والبيان ولما اتت عليه احدى وخمسون وتسعة اشهر
اسري به ليلة الاثنين وخص بالرؤية بالعين وفرض عليه خمس صلوات ولما
بلغ ثلاثا وخمسين هاجر الى المدينة يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع الاول
ودخلها يوم الاثنين واذن له في السنة الثانية في الجهاد وان ابتداء به في غير
الاشهر الحرم والحرم ثم ابيح ابتداؤه فيها ايضا وفرض فيها صوم رمضان والزكاة
فقيل فرضت قبله وقيل بعده وفرض الحج في السنة السادسة او الخامسة وفيها بيعة
الرضوان وفي الثامنة فتح مكة وفي العاشرة حجة الوداع وكانت وقفة عرفة
فيها يوم الجمعة بالاجماع ولم يحج بعد الهجرة الا اياها ولم يضبط ما حج قبلها واعتمر اربعا
وكانت غزواته سبعا وعشرين وسراياه ستا وخمسين وتزوج احدى وعشرين
امرأة طلق ستا ومات عنده خمس وتوفي عن عشرة لم يدخل بواحدة منها وله اولاد



ثمانية ولما بلغ ثلثا وستين اختار الرفيق الاعلى يوم الاثنين وسط النهار
لثنتي عشرة خلت من اول ربيع سنة احدى عشرة ودفن الثلثا او الاربعا
عليه افضل التحية واكمل الثناء قال من حفظ على امتي لاجل تعليم امتي فمحل التحمل
كقوله ولتكبروا الله على ما هداكم وقيل التقدير شفقة على امتي واصل الحفظ ضبط
الشيء ومنعه عن الضياع وسوءها ضياعة قد يكون بحفظه مبنى او معنى او جمعا بينهما
وقد يكون بضبطه في الكتاب وقد يكون بسبب نقله الى اولي الالباب قال المؤلف
معنى الحفظ ان ينقل الاحاديث الى المسلمين وان لم يحفظ مبناها ولم يعرف
معناها وهذا حقيقة مؤداه اذ به يحصل انتفاع المسلمين لا بحفظه ما لم ينقل
اليهم انتهى والامة جمع لهم جامع من دين او زمان او مكان يطلق تارة على كل من بعث
اليهم ويسمون امة الدعوة واخرى على المؤمنين منهم وهم امة الاجابة وهم
المراد ههنا لانهم المنتفعون باحاديث النبوة اربعين حديثا المراد بها هنا
قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره ومعرفة شمائله من امر دينها
اي من جملة امور تتعلق بها مما هم مامورون بتدينها سواء يكون من الاصول او الفروع
المترتبة عليها وكانه احترز عن الامور العادية الدنيوية التي من لوازم البشرية
مما ليس بها ضرورة في الاحوال الدنيوية والاخروية بعثه الله تعالى يوم القيمة
في زمرة الفقهاء بالفروع الشرعية والعلماء بالاصول الدينية وتأخير العلماء
للترقي في الاداء والتعبير بالبعث في زمرتهم لا يأبى الا انه لم يكن في مرتبتهم فلا ينظر
فقه المبنى ولا علم المعنى كما اشار اليه المص خلافا لمن نازع في هذه الدعوى وفي
صنيع المصنف هذا اشعار بان كل من نقل حديثا من كتاب سواء بعينه او بتصرف
فيه لحذف اسناده او اختلاف ترتيب في ابوابه يكون داخلا في حفظ الاحاديث
والا ففي الحقيقة لم ينقل هذه الاربعين الا من سيتي ذكرهم من المخرجين المد
المتقدمين في التدوين وفضل الله واسع شامل لحفاظ علوم الدين وان
كان يختلف ويتفاوت مراتب المجتهدين كما يدل عليه خبر ثوابك على قدر
تعبك ثم لا فرق بين حفظ اربعين حديثا صحيحة او حسنة وكذا ضعيفة
في فضائل الاعمال لا في بيان الحرام والحلال لامتناع العمل بها فيها في جميع الاحوال

هذا

هذا وقد اشرنا في صدر هذا الكتاب الى وجه ايثار هذا العدد في الكتاب وقد روي
من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه واذا مات
المؤمن يبكي عليه مصلاه اربعين يوما وتبقى بركة دعاء الوالدين للولد البار اربعين
سنة ولما كمل بايمان عمر عدد الاربعين من المؤمنين نزل قوله تعالى يا ايها
النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وقد اشار السلفي رضي الله عنه
بقوله يا اهل الحديث اعملوا من كل اربعين حديثا بحديث كما قال صلى الله عليه وسلم
ادوا عشر اموالكم من كل اربعين درهما يعني بشرط بلوغ دراهمه مائتي درهم فعدد
الاربعين اقل ماله عشر صحيح فكما دل حديث الزكوة على تطهير ربع العشر للباقي كذلك
العمل بربع عشر الاربعين به يخرج باقيها عن ان يكون غير معمول بها وفي الحديث الحسن
انكم في زمان من ترك منكم عشر ما امر به هلك ثم يأتي زمان من عمل منهم بعشر ما امر به
نجا ثم الظاهر ان هذا العدد او في الكمال في الاحوال والا فمن خرج من بيته
في تحصيل حديث بصدق نية او تعلم حديثا واحدا او راد تكميل غيره في طوية
فيبعث مع العلماء والفقهاء وفي رواية بعثه الله فقيها عالما اي ولو لم يكن في
الدنيا فقيها عالما بل يكون ناقلا مجردا وفي الاحياء من حمل من امتي اربعين حديثا
لقي الله يوم القيمة فقيها عالما قال العراقي رواه ابن عبد البر من حديث انس
وضعفه وفي الجامع الصغير لشيخ مشايخنا السيوطي من حمل من امتي اربعين حديثا
بعثه الله يوم القيمة فقيها عالما رواه ابن عدي عن انس بسند ضعيف وفي هاتين
الروايتين دلالة على اعتبار مجرد الحمل من غير احتياج الى النقل وبه يندفع قول المص
لا بحفظه ما لم ينقل الى غيرهم اعتمادا على ظاهر ما اختاره من الفاظ الروايات وهو
قوله على امتي ولكن يمكن ان يكون على بمعنى من كقوله تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس
اي منهم على ما صرح به وحينئذ يجمع مؤدى الفاظ النبوة ويكون الحديث شاملا
لمن حمل سواء حفظ او علم او عمل او نقل اولا وهذا التعميم في باب الترغيب
اولى كما لا يخفى ثم ما نفاه المص مأخوذ من مفهوم حديثه فلا يعارض منطوق حديث
غيره مع ان اعتبار المفهوم مختلف بين اهل العلوم وفي رواية ابي الدردا
وكنت وفي نسخة كنت له يوم القيمة شافعا وشهيدا اي شاهدا على كماله



ايمانه وجمال احسانه وفي رواية بعثه الله فقيها وكنت له يوم القيمة شافعا وشهيدا
كذا ذكره بعض الشراح من المحققين وهذا يؤيد ثبوت واو العاطفة وفي الا
م حفظ على امتي اربعين حديثا من السنة حتى يؤديها كنت له شفيعا وشهيدا
يوم القيمة قال العراقي رواه ابن عبد البر من حديث ابن عمر وضعفه وهذا يؤيد
نسخة كنت بلا عاطف وذكره السيوطي في جامعه الصغير بهذا اللفظ وقال رواه
ابن عدي عن ابن عباس ثم قال وروى ابن النجار عن ابي سعيد بلفظ من حفظ
على امتي اربعين حديثا من سنتي ادخلته يوم القيمة في شفاعتي وفي رواية
ابن مسعود وقيل له ادخل من اي ابواب الجنة شئت اي تعظيما لمقامه
وتكريما لمرامه وفي رواية ابن عمر كتب في زمرة العلماء وحشر في زمرة الشهداء
واختلاف الروايات وان كان مؤداها واحدا الا ان فيها اشارة الى اختلاف
مراتب الحفاظ باعتبار الاقتصار على حفظ مبانيها او بانضمام فهم معانيها
والعمل بما فيها وتصحيح النية في روايتها ودرايتها وكتابتها واتفق الحفاظ
اي حفاظ الحديث على انه اي الحديث المذكور حديث ضعيف وان كثرت
طرقه اي اسانيده عند مخرجيه عن الصحابة مرفوعا وموقوفا اذ ليس في جميع
طرقه ما يقوى وتقوم به الحجة اذ لا يخلو طريق منها ان يكون فيها مجهول او معروف
او مشهور بالضعف قال ابن السبكي ليس يروى من وجه يثبت وقال الدار
قطني في علله كل طرقه ضعاف والبيهقي اسانيده كلها ضعيفة والكلام يحتاج
الى تقدير لتتميم المرام بان يقال هو عطف على مقدر اي ان لم يكثر وان كثرت
كذا حرره الكازروني وفيه ان المقصود ثبوت الكثرة وهو لا يتحقق من
تقدير العبارة وقد قال غيره وان مثل هذا التركيب واقع في عبارات
المصنفين وظاهره غير مستقيم وغاية ما يمكن ان يقال فيه اني ان الواو
زائدة انتهى وفيه بعد لا يخفى والاظهر ان يقال وان كثرت طرقه فهو ضعيف
فكيف اذا لم تكثر طرقه فهو بالاولى ضعفه هذا وقد اغرب الكازروني حيث
فسر الطرق بطرق السبعة في تحمل الحديث من السماع والقراءة والاجازة
المناولة والمكاتبة والاعلام والوجادة والصواب ما قدمناه بان المراد بالطرق

الاسناد

الاسناد ثم اعلم ان لاهل الحديث مراتب اولها الطالب وهو المبتدي
الراغب ثم المحدث وهو الاستاذ الكامل الفاضل ثم الحافظ وهو الذي
احاط علمه بمائة الف حديث ثم الحجة وهو الذي احاط علمه بثلاثمائة الف حديث
ثم الحاكم وهو الذي احاط علمه بالجميع متنا واسنادا وجرحا وتعديلا وتاريخا
كذا في شرح الفوائد النفيسة ثم الضعيف في اصطلاح المحدثين هو الحديث
الذي لم يجتمع فيه شروط الصحيح ولا شروط الحسن فمعرفته موقوفة على معرفتهما
فالصحيح هو ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط وسلم عن شذوذ وعلة والحسن
ما قصر ضبط راويه عن راوي الصحيح مع بقاء سائر الشروط المتقدمة في حد الصحيح
كذا افاده السيد جمال الدين وتحقيقه في شرح النخبة على ما اوضحت الشرح
بالشرح وقال بعضهم في تعريف الضعيف ما يكون بعض رواته مردودا بواسطة
عدم العدالة والرواية عمن لم يره او سوء الحفظ او تهمة في العقيدة او عدم
المعرفة بما يحدث عنه او الاسناد الى من لا يعرف او بعلل اخر هذا وقد قال
الحافظ ابو طاهر السلفي في اربعينه روي من طرق وثقوا بها وركنوا اليها وعرفوا
صحتها فعولوا عليها انتهى وكأنه اراد بصحتها ثبوتها وهو ان يكون حسنا لغيره
قال المنذري يمكن انه سلك في ذلك مسلك من رأى ان الاحاديث الضعيفة
اذا انضم بعضها الى البعض احدث قوة انتهى وكان هذه المسئلة مختلف فيها ولعل
المصر اختار خلاف ما اختاره السلفي والظاهر ان اختيار السلفي اولى لان
ما اختاره المصر انما يكون فيما اذا لم يخل الطريق من طرقه عن كذاب او وضاع
هنالك وهذا ليس كذلك كما دل عليه كلام الائمة واما ما ذكر ابن الجوزي له
في الموضوعات فتساهل منه او محمول على سند خاص عنده واما خبر من حفظ على
امتي حديثا واحدا كان له اجر احد وسبعين نبيا صديقا فهو موضوع واثار الكذب
لائحة عليه واضحة لديه وقد صنف العلماء رضي الله عنهم في هذا الباب اي باب الاربعين
او في جميع الاربعين حديثا ما لا يحصى من المصنفات بيانه لما وهذه العبارة مبالغة
في الكثرة لا انها محمولة على الحقيقة والمقصود به ان لهم في ذلك الاسوة الحسنة
فانهم قدوة الامة فاول من علمته صنف فيه اي في هذا الباب او في جميع

الاربعين وهو مفعول الفعل الاول وفاعل الثاني ضمير راجع الى من والجر للمبتدا
وهو اول قوله عبد الله بن المبارك اى المروزى وهو الامام المجمع على جلالته
وامانته وفقاهته فانه من اصحاب ابي حنيفة وارباب الوجوه في مذهبه وترجى
المغفرة بحبه وتستنزل الرحمة بذكره وهو من اتباع التابعين زبدة العباد
وقدوة الزهاد توفي منصرفا من الجهاد سنة احدى وثمانين ومائة وله ثلاث
وستون كان ابوه مملوكا من همدان عليه الرحمة والرضوان فقيل له كيف لا تستوحش
في مقامات فقال كيف يستوحش من يجالس النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتا
والتابعين رضي الله عنهم اجمعين يعني الكتب لان فيها الاخبار والسير والاثار
رواه الحاكم في تاريخه عن نعيم بن حماد ثم وفي نسخة ومحمد بن اسلم بالواو والطوسي
بضم الطاء نسبة الى بلد من خراسان العالم الرباني بزيادة الالف والنون
للمبالغة في تحقق النسبة والدلالة على كمال الصفة كما يقال الشعراني واللحياني
اى الراسخ في علم الدين الثابت في مقام اليقين وقيل هو الذي يربي الناس
بصغار العلم قبل كباره وقيل هو العامل بعلمه المعلم لغيره وقيل هو الطالب لغيره
وقيل هو الطالب بعلمه مرضاة ربه وقال الصوفية ان الرباني هو الكامل من
كل الوجوه في جميع المعاني توفي سنة اثنتين واربعين ومائتين ثم الحسن
بن سفيان النسوي بالواو في اصلنا المعتمد عليه وهو بفتح النون والسين
منسوب الى نسا بلد بخراسان وفي نسخة النسائي بالهمز بدل الواو وهو مقصور
وقد يمد والهمز في استعمال المحدثين اكثر واشهر فتدبر وهو محدث خراسان
وقد رحل البلدان وسمع من محدثي الزمان فيها ووصل اليه من المكان وكان له كرامات
توفي سنة ثلاث وثلثمائة وابو بكر بالواو العاطفة الى اخر الاسماء الاتية
وكانه اورد بلفظ ثم في الاولين لعلمه بالتاخر الزماني فيهما بخلاف من بعدهما الآجري
بهمزة ممدودة وضم جيم وتشديد راء فياء النسبة وهو محمد بن الحسين
البغدادي كان دينا ثقة وله تصانيف كثيرة منها كتاب الشريعة حدث
ببغداد ثم انتقل الى مكة خير البلاد واستطابها في المراد فقال اللهم احيني في
هذه البلدة ولو سنة فسمع هاتفا يقول بل ثلاثين فلما كملت قيل له قد دنا

بالعهد

بالعهد فمات بمكة سنة ستين وثلاثمائة وابو بكر محمد بن ابراهيم اى العطار
مستملي ابن نعيم كان ثقة بلا من حفظه توفي باصفهان سنة ست وستين
واربعمائة وقوله الاصفهاني بالباء والفاء مع كسر الهمزة وفتحها والفتح افصح كذا
قاله الامام في كتاب الاسمار والالقاب وفي نسخة بالباء العجمي واما قول
ابن حجر بالفاء لا الباء فمحمول على ما عنده من الانباء وفي القاموس اصل
اصبهان [illegible] سميت لحسن هوائها وعذوبة مائها
وكثرة فواكهها فخففت والصواب انها اعجمية وقد يكسر همزها وقد يبدل
باؤها فاء واصلها اسباهان انتهى وذكر في المغني فرق بين الفاء والباء
فقال الاصفهاني بكسر همزة وفتحها وبفاء مفتوحة في اهل المشرق وسائر من في
في العرب انتهى والاطلاق يؤيد المشهور بالاتفاق والدارقطني بفتح
الراء وسكون نسبة الى دار قطن محلة كبيرة ببغداد وهو الحافظ ابو الحسن
علي بن عمر مات سنة خمس وثمانين واربعمائة والحاكم اى محمد بن عبد الله
النيسابوري صاحب المستدرك مات سنة خمس واربعمائة وابو نعيم
اى الاصفهاني كما في نسخة وهو احمد بن عبد الله مصنف حلية الاولياء
مات سنة ثلاثين واربعمائة وهذان الاسمان ساقطان من شرح ابن حجر
موجودان في الاصول المصححة والمتون المشروحة وابو عبد الرحمن اى محمد بن
حسين السلمي بضم السين وفتح لام مخففة منسوبة الى سليم قبيلة مشهورة
من قبائل العرب وهو صاحب الحقائق وطبقات الاولياء كان عدلا
ثقة استاذ ابي القاسم القشيري وشيخ ابي سعيد بن ابي الخير واثنى عليه
الشيخ عبد الله الانصاري صاحب المنازل لكن قد طعن فيه ابن الجوزي
كما هو دابه في شان الائمة توفي سنة اثنتي عشرة واربعمائة وابو سعيد
بالياء وفي نسخة ابو سعد وهو الموافق لما قاله السمعاني وهو المشهور
على السنة اهل خراسان وهو احمد بن محمد الماليني بكسر اللام فتحتية محل
معروف من اعمال هراة وقبره هناك يزار ويتبرك به ويقال له الماليني
وهو من رواة ابن عدي الحافظ كان ثقة متقنا وقال شارح رحل الى

مصر فمات بها سنة اثنتي عشرة واربعمائة وابو عثمان الصابوني نسبة
الى عمله وعبد الله بن محمد الانصاري وفي نسخة زيادة الهروي وهو صاحب
منازل السائرين ومن مشايخ المعتبرين من اجلاء الحنابلة كان جامعاً
بين العلم والعمل والمعرفة حاويا للسنة منسوب الى انصار النبي صلى الله
عليه وسلم وهم الاوس والخزرج ولد سنة خمس وتسعين وثلثمائة كان
كثير السهر وقد حدث وصنف وكان قويا في نصرة الدين توفي بهراة يوم
الجمعة وقت الغروب سنة احدى وثمانين واربعمائة وفي نسخة بدله
ومحمد بن عبد الله الانصاري والظاهر انه انقلاب من بعض الكتاب
وقد صرح الكازروني بان النسخة الاولى هي الصواب وابو بكر البيهقي
مؤلف شعب الايمان ومات سنة ثمان وخمسين واربعمائة ولما خصص المشاهير
بالذكر عمم الباقين فقال وخلائق لا يحصون بصيغة المجهول اي لا يعدون لكثرتهم
من المتقدمين والمتأخرين اي بعد الصحابة والتابعين والاسمان المتقدمان
ايضا الى هنا ساقط من شرح ابن حجر فتدبر وقد استخرت الله اي طلبت
الخيرة منه كما دل عليه قائد العقل وناقد النقل فقد ورد ما خاب من استخار
ولا ندم من استشار رواه الطبراني في الاوسط عن انس وروي من سعادة
ابن ادم استخارته الله ومن شقاوته ترك استخارته في جمع اربعين حديثاً
اي من كلام سيد الانام اقتداء بهؤلاء الائمة الاعلام اي المشهورين فيما
بين الانام وحفاظ الاسلام فان مثلهم لا يفعلون الا ما ثبت من المرام وقد
اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال اي لا في الحكم من
الوجوب والحرمة والحل لانه ان كان صحيحاً في نفس الامر فقد اعطي حقه من العمل
والا لم يترتب على العمل به مفسدة في دينه قال شارح يعني اذا ثبت مندوب
بحديث صحيح او حسن تجوز رواية حديث ضعيف في فضيلته والترغيب
فيه ليكون كالتابع له لانه يحتج به في اثبات امر مندوب اذ تقرر في الاصول
انه لا يستدل في اثبات الاحكام الخمسة الا بالصحيح او الحسن انتهى والاظهر ان
المراد بالاعمال انما هي الافعال المباحة وانه اذا ورد حديث ضعيف في

يترقى

يترقى الى مقام استحبابه ففي حديث ضعيف من بلغه عن ثواب عمل فعمله حصل
له اجره وان لم اكن قلته ومع هذا الجواز المذكور فليس اعتمادي في جمع
الاربعين على هذا الحديث اي المشهور فقط بل على قوله صلى الله عليه وسلم
في الاحاديث الصحيحة اي في قوله الداخل فيها ليبلغ الشاهد منكم الغائب
بكسر اللام الاولى للامر وتشديد الثانية ويجوز تخفيفها وبهما قرئ قوله تعالى
ابلغكم رسالات ربي اي ليوصل الحاضر كلامي الغائب عن المجلس او عن عالم الوجود
والخطاب للصحابة ثم لمن بعدهم وهلم جرا فانه من فروض الكفاية وهذا
تحريض على التعلم والتعليم فانه لولاه لانقطع العلم وانقطع العمل بكثرة الجهل
والحديث اخرجه الشيخان في صحيحهما في خطبة حجة الوداع واخرجه ابن منده
في مستخرجه عن ثمانية عشر صحابياً وقوله اي وعلى قوله صلى الله عليه وسلم
نضر الله امرأ روي بالتشديد والتخفيف والاول هو الاكثر اي حسنه
وجمله قاله المصنف وروي عن سفيان بن عيينة انه قال ما من احد يطلب الحديث
الا وفي وجهه نضرة فكانه اراد انها دعوة اجيبت او اخبار فصدقت
ولا يبعد ان يراد به النضارة يوم القيمة قال تعالى تعرف في وجوههم نضرة
النعيم وقال ولقاهم نضرة وسروراً فاهل الحديث يكون لهم زيادة نضرة
ولغيرهم مزيد حسرة وحكى ابن العربي عن ابن شاذال انه بالصاد المهملة
وهو شاذ بل تصحيف لمبناه وتحريف لمعناه سمع مقالتي اي مني او من
اصحابي واتباعي فوعاها اي حفظها بقلبه وداوم على تفقده فاداها
اي بلغها كما سمعها من غير تغيير مبناها او معناها رواه الترمذي عن ابن مسعود
وقال حسن صحيح وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه عن جبير بن مطعم
وقال صحيح على شرط الشيخين وابو داود وابن ماجه والترمذي عن زيد
بن ثابت وقال حسن صحيح وفي حديث صحيح نضر الله امرأ سمع منا حديثا
فاداه عنا فرب مبلغ اوعى من سامع رواه احمد والترمذي وابن حبان
عن ابن مسعود والمبلغ بفتح اللام وفي رواية نضر الله امرأ سمع منا حديثا
فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه

منه ثم من العلماء وفي نسخة ثم انه وفي اخرى ثم اعلم ان من العلماء من جمع الاربعين
في اصول الدين اي الالهيات والنبويات والحشر والنشر وبعضهم في الفروع
اي الاحكام الفرعية المتعلقة بالافعال العملية وبعضهم في الجهاد اي في فضل
القتال مع الكفار وبعضهم في الزهد اي قلة الرغبة في دار الاكدار يقال
زهد فيه رغب عنه وزهد عنه رغب فيه والمراد ترك فضول الدنيا والاعراض
عما يشغل عن الاخرى وبعضهم في الاداب وفي نسخة في الادب وهو
حسن الاخلاق والاحوال واحتمال الحميدة من الخصال وبعضهم في الخطب
جمع خطبة وهو الموعظة وهو كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبايع
النائية مأخوذ من الخطب لانهم اذا ألم بهم خطب وشان خطبوا اليه ليجمعوا
في امره او يحتالوا في دفعه وكلها مقاصد صالحة اي اغراض حسنة
رضي الله عن قاصديها بالنيات المستحسنة وقد جمعت بحمد الله وحسن توفيقه
اربعين في الاحاديث القدسية واربعين في فضل الصلوات النبوية
وارجو من الله ان يكون لي حتى اكمل اربعين اربعينا وقد رايت من الراي
اي حصل لي راي صحيح للتنصيح والهدى والاعانة على البر والتقوى جمع اربعين
اي حديثا كما في نسخة اهم من هذا كله اي مما ذكر فرادى جميعه واي اربعين
حديثا مشتملا اي من نعتها انها محتوية على جميع ذلك اي في المحل وفي
نسخة زيادة كله للتاكيد وفي نسخة بنصب مشتملا على الحالية ولا يرد
عليه زيادة حديثين لان العدد لا مفهوم له وقد قيل من زاد زاد الله
في حسناته اولانه كان المقصود هنا الاقتصار على الاربعين فعند فراغه له
زيادة الحديثين لحكمة لعلها هي ان احدهما من باب الوعظ بمخالفة الهوى
وموافقة الهدى ففيه حث على العمل بجميع الاحاديث السالفة وثانيهما
من باب الرجاء والدعاء ففيه تانيس النفس من التشديدات الواقعة في خلال
الاحاديث السابقة ففي التعقيب بهما تمام المناسبة وكل حديث
منها اي من هذه الاربعين قاعدة عظيمة من قواعد الدين يبنى عليها كثير
من مسائل المجتهدين ويرجع اليها في تحقيق مقام اليقين قد وصفه العلماء

بان

بان مدار الاسلام اي غالب احكامه عليه لاستنباطها منه ابتداء او لوسائط
مقدمات متضمنة اليه كحديث ان الحلال بين والدين النصيحة ونحوهما
او هو نصف الاسلام عطف على محل الجملة التي بعد ان وفيه ان هذا جائز
في ان المكسورة لفظا او حكما كما اذا وقعت بعد العلم وتكلف بعضهم وجوز
ان يكون الجملة خبر الان المقدرة مع الاسلام اي بانه هو نصف الاسلام
او ثلثه بضم اللام ويسكن كحديث انما الاعمال بالنيات وازهد في الدنيا
وامثالها وقد نظم الشافعي رحمه الله عمدة القول عندنا كلمات اربع قالهن
خير البرية اتق الشبهات وازهد ودع ما ليس يعنيك واعملن بنية
او نحو ذلك بالرفع واو للتنويع فيه وفيما بعده وفي نسخة ونحو ذلك
وهو بالرفع ايضا للعطف على نصف الاسلام وذكر الشارح الكازروني
بالجر عطفا على ان ولا يخفى بعده مبنى ومعنى والمعنى نحو ما ذكر وهو ربع
الاسلام وخمسه كسائر الاحاديث المعتبرة فكل واحد من هذه الاربعين
وصف باحد هذه الاوصاف الاربعة كما ذكره ابن الصلاح في الكثير منها فانه
ذكر اقوال الائمة في تعيينها واختلافهم في اعيانها فبلغ ما قيل به ذلك
سبعة وعشرين كلها مندرجة في هذه الاربعين منها عشرون صحيحة
وسبعة حسنة وبلغها المصنف في اذكاره الى ثلاثين وزاد عليها هنا اثني عشر
وذكر في السابع والعشرين حديثين لاجتماعهما على معنى واحد وقال الفاكهاني
صح عن جماعة من العلماء ان مدار الاسلام على اربعة احاديث حديث انما الاعمال
بالنيات وحديث الحلال بين والحرام بين وحديث ازهد في الدنيا
يحبك الله وحديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقد نظمها الشيخ
ابو طاهر ابن المقفور وذكر ما نسب الى الشافعي فيما سبق وقال الامام
احمد بن حنبل الاسلام او قال اصول الاسلام يدور على ثلاثة احاديث
الاعمال بالنية والحلال بين والحرام بين ومن احدث في امرنا هذا
ما ليس منه فهو رد وقال ابو داود والفقه يدور على خمسة احاديث
الاعمال بالنيات والحلال بين والحرام بين وما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به

فأتوا منه ما استطعتم ولا ضرر ولا ضرار وروى عن ابي داود السجستاني
قال كتبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس مائة الف حديث انتخبت
منها اربعة آلاف حديث وهو يرجع الى اربعة احاديث انما الاعمال بالنيات
ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ولا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لاخيه
ما يرضى لنفسه والحلال بين والحرام بين ثم لو استوفى شرح هذه الاحاديث
لاستدعى الى استنباطات لا تسع الا في مجلدات اذ من جملتها حديث جبريل
فانه يحتاج الى علم الايمان وهو علم الاصول والى علم الاسلام وهو علم الفروع
والى علم الاحسان وهو علم التصوف ثم قال ابن حجر ثم بعد هذه الاربعين
ولا وجه له عند ارباب اليقين فالصواب ان يقال اي بعد التراخي
ما تقدم من كلامي التزم في هذه الاربعين اي في تأليفها وتصنيفها
ان تكون اي اسانيد احاديثها باسرها صحيحة اي ثابتة غير ضعيفة
فيتناول الحسن بعبارة لطيفة او اراد ان ما ذكره من الحسن في هذه
الكتاب يكون صحيحا لغيره في هذا الباب قبيل خاتمة هذه الاربعين
كونها مشتملة على قواعد الدين اما الصحة فقد شاركها فيها غيره من المصنفين
قلت وليس فيه محظور او صنيعه نور على نور ومعظمها وفي نسخة ومعظمها اي
اكثرها حاصل في صحيح البخاري ومسلم اي جمعا او فردا فان المتفق عليه فيها اثنا
عشر وفرد البخاري اربعة عشر وفرد مسلم ثلاثة عشر والبواقي لغيرهما ثم الجملة
حال من اسم يكون الراجع اي الاربعين واذكرها بالرفع عطفا على التزم وبالنصب
على تكون محذوفة الاسانيد اذ لا فائدة في ذكرها بالنسبة اي عامة مطالعها
لا سيما اذا علمت ثبوتها باسنادها الى مخرجيها والاسناد هو رفع الحديث
الى قائله من النبي وغيره بذكر رواته فيما قائله وناقله ليسهل حفظها بسبب قلة
لفظها ويعم الانتفاع بها اذ الاكثرون عاجزون عن حفظها باسانيدها ان
شاء الله تعالى ذكره امتثالا لامره سبحانه ولان الانتفاع بها مما لا يخفى على المعـ
شاء فلا وجه لقول ابن حجر انه للتبرك بها ثم اتبعها بالرفع وهو من الاتباع
وفي نسخة بفتح الهمزة والباء والمعنى اعقب هذه الاربعين بباب

في

في ضبط خفي الفاظها اي الفاظها الخفية باعتبار غرابة مبانيها او معانيها
وقد التزمت ان اذكرها في محالها كما نص عليها وينبغي اي يتعين لكل
راغب في الآخرة اي ثوابا ونعيما يقال رغب فيه اي مال اليه ورغب
عنه اي اعرض ان يعرف هذه الاحاديث اي يعلم مبانيها ويبحث عن
معانيها لما دلت عليه واشارت اليه اي مراتبها بالنسبة الى غيرها
لما اشتملت عليه من المهمات وهي بيان العقائد الدينية التي هي القواعد
الملية واصول الشرائع الالهية واحتوت اي ولما انطوت عليه من التنبيه
على جميع الطاعات اي القلبية والقالبية مما يصلح امر معاش العباد وزاد معاد
الآخرة المعاد وذلك اي ما ذكر من الاشتمال والاحتواء ظاهر لمن تدبره
اي تفكره وتذكره واصل التدبر النظر في دبر الامر وعلى الله اي لا على ما سواه
اعتمادي اي عمدتي في جميع اموري واليه لا الى غيره تفويضي اي انقيادي
واستنادي اي التجائي واعتصامي وله الحمد اي خاصة او خالصة والنعمة
بالكسر العطية فلا نعمة من غيره الا صورة قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وبه
اي بسبب عونه التوفيق وهو لغة جعل الشيء موافقا للآخر واصطلاحا
خلق القدرة على الطاعة والعصمة اي المحافظة عن الوقوع في المخالفة قال
الراغب هي فيض الهي يقوى به العبد على تحري الخير وتجنب الشر الحديث
الاول ابتداء به اقتداء بالسلف الكرام وتنبيها على مزيد الاهتمام بتحسين
النية وتزيين الطوية في مقام المرام قال ابن مهدي وينبغي لمن صنف
كتابا ان يبتدئ فيه بهذا الحديث تنبيها للطالب على تصحيح النية وتصفية
الطوية وقال الخطابي كان المتقدمون من شيوخنا يستحبون تقديم حديث
الاعمال بالنيات امام كل شيء ينشئون ويبتدئون من امر الدين وقد روى
هذا الحديث من الائمة فوق مائتين وقيل سبعمائة عن سعيد بن يحيى
بن سعيد الانصاري وهو تابعي صغير سمع انسا وغيره عن محمد بن ابراهيم
التيمي ولم يروه غير الانصاري عن علقمة ولم يروه عن الانصاري غير
التيمي فهو بهذا المعنى غريب في الابتداء ومشهور في الانتهاء وليس بمتواتر

مطلب

كما توهمه بعض الفضلاء اللهم الا ان يقال بالتواتر المعنوي وقد روي عن عمر
جماعة من الصحابة كعثمان وعلي وطلحة وسعد وابن عوف وابن مسعود وابن عمر
وابن عباس وابن الزبير وانس بن مالك وابو هريرة وخلق سواهم وابنته
حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وطائفة من التابعين وقد روي الحديث
من طريق ابي سعيد الخدري وابي هريره وابن عباس وابن عمر ومعاوية
قالوا ولا يصح مسندا الا من حديث عمر رضي الله عنه فلو كان اسنادهم صحيحا كاد
ان يكون الحديث متواترا قال الشافعي يدخل هذا الحديث في سبعين بابا من
الفقه يعني سبعين قاعدة كلية من الضوابط الفقهية والا فيزيد عليها
المسائل الجزئية فاندفع به قول من قال ويراد به المبالغة وقال ايضا يدخل
في هذا الحديث ثلث العلم قال البيهقي لان كسب العبد بقلبه ولسانه وجوارحه
فالنية احد الاقسام الثلاثة وهي ارجحها لانها يكون عبادة بانفرادها بخلاف
غيرها ولذا كان نية المؤمن خير من عمله ولان القول والعمل يدخل فيهما فسادا بالسمعة
بخلاف النية وقال ابو داود وهذا الحديث نصف العلم نحو ما ذكره وهو لخير نية
المؤمن من عمله عن امير المؤمنين قال المص هو اول من سمي بذلك اعني من الخلفاء
اذ ورد في منتظم ابن الجوزي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جيشا في
السنة الثانية من الهجرة وامر عليهم عبد الله بن جحش وسماه امير المؤمنين
كذا ذكره شارح وقال آخر قال لهم اصحابه ما ندعوك فقال انتم المؤمنون
وانا اميركم قالوا اذن انت امير المؤمنين ابي حفص عمر بن الخطاب كناه
علي عليه السلام به وهو لغة الاسد ولقبه بالفاروق لفرقانه بين الخطاء والصواب
كان شديدا في امر الله ودينه مجتهدا محتسبا في مقام يقينه جعل الحق على لسانه
واعز الدين في زمانه واستبشر اهل السماء بايمانه كان وفاته بعد ما عاش ثلاثا
وستين بهلال المحرم سنة اربع وعشرين وخلافته عشر سنين وستة اشهر
واربع ليال ونقش خاتمه كفى بالموت واعظا يا عمر احاديثه المرفوعة خمس
مائة وتسعة وثلاثون رضي الله عنه وهو قرشي عدوي يجتمع مع النبي عليه السلام
في لوي بن كعب اوصى له ابو بكر رضي الله عنه بالخلافة فتولاها يوم مات

الصديق

الصديق وهو يوم الثلثاء لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاثة عشرة
اسلم سنة ست من البعثة وهاجر الى المدينة قبل قدومه صلى الله عليه وسلم
بها وشهد المشاهد كلها وفتح البلاد من العراق والسواد والجبال واذربيجان
والجزيرة والموصل والشام ومصر والاسكندرية فبلغ في خلافته خراج
السواد والجبال العراق في العام الاول مائة الف الف وعشرين
الف الف ومصر الكوفة والبصرة واستقضى القضاة في الامصار ودون
الدواوين وفرض العطايا وهو اول من حمل الطعام من مصر الى الحجاز ومناقبه
اشهر من ان تذكر وماثره اكثر من ان يحصى وافرد لترجمته ابو فرج ابن الجوزي
كتابا تاما شهيدا قتله ابو لؤلؤة النصراني غلام المغيرة بن شعبة طعنه وهو يصلي
بالناس صلوة الصبح فعاش ثلاثة ايام او سبعة ايام ثم توفي وصلى
عليه صهيب بن سنان الرومي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول انما الاعمال بالنيات قال المص معناه لا يجب الاعمال الشرعية
الا بالنية قيل هذا على مذهب الشافعية واما على مذهب الحنفية فمعناه لا ثواب
الاعمال الا بالنية لاختلافهم في ان النية هل هي معتبرة في صحة الاعمال
ام لا وهذا الخلاف انما هو في اعمال الوسيلة دون الاعمال المقصودة
فان النية معتبرة فيها بلا خلاف بين الفريقين اقول وبالله التوفيق ان
هذا الكلام لم يصدر عن طريق التحقيق فان الشافعية وكذا المالكية والحنبلية
لم يعتبروا صحة شيء من اعمال الوسيلة بالنية الا الطهارة والمسالة هذه
حجة عليهم في الحقيقة اذ لا ريبة ولا شبهة ان الطهارة من جملة شرائط
الصلوة وكذا البقية كستر العورة واستقبال القبلة والوقت والنية ولا فرق
بين الطهارة من الحدث والطهارة من الخبث وستر العورة اذ الكل من اعمال
الوسيلة فيحتاج الى فرق صحيح وبيان صريح في تخصيص هذا الشرط بالنية من
بين سائر الشروط الشرعية ثم قوله لا ثواب الاعمال ليس في محله لان
الاعمال المستقلة في العبادة عند الحنفية لا تصح ايضا الا بالنية واما الثواب
فهو مترتب بعد صحتها على القبول المتوقف على الاخلاص وتحسين الطوية بان

لا يكون مقرونة بنحو الرياء والسمعة فالأحسن ما قرره المص بقوله لا يحسب ليشمل الصحة
والمثوبة إلا أن قوله الأعمال الشرعية يخرج سائر الأعمال مع أنها يثاب
عليها أيضا بالنية فالأولى أن يقال لا يعتبر مطلق الأعمال إلا بالنية ففي الأعمال
الشرعية اعتبارها بالصحة وفي غيرها بمجرد المثوبة وهذا أمر متفق عليه فينبغي
حمل الحديث عليه أما توقف صحة الأعمال الشرعية على النية فأجمعوا عليه كما هو
مبين في الكتب الفقهية وأما توقف ثبوت المثوبة على غيرها من الأعمال
كالوضوء والغسل وستر العورة وطهارة الثوب ونحوها وكذا البيع والشراء
والنكاح والطلاق وأمثالها فاتفقوا عليه كما هو مقرر في كتب الصوفية وبهذا
التحقيق اندفع ما حرره بعض الشراح من أرباب التدقيق أن المراد نفي
الأحكام المتعلقة بوجودها كالصحة والكمال أي لا صحة أو لا كمال إلا بها
فالشافعية يحملونها على الأول والحنفية يحملونها على الثاني والأول أولى لأنه
لا يمتنع الحمل على الحقيقة فالحمل على مجاز أقرب إليها وهو الصحة أولى كما تقرر
في الأصول انتهى وقد عرفت أن الحنفية يقولون بالصحة في الأعمال المستقلة
وبالكمال في غيرها وفيما يكون كالوسيلة فيعطون كل ذي حق حقه هذا مجمل
الكلام وأما تفصيل المرام فيتوقف على تحقيقات شريفة وتدقيقات لطيفة
منها أن قوله إنما سيق لتقوية الحكم الذي هو في حيزها اتفاقا ولإفادة الحصر
وضعا عند أكثر الأصوليين خلافا لجمهور النحويين فإنها عندهم لا تفيد إلا التأكيد
الإثبات لا غير عندهم ثم الحصر إثبات الحكم لما بعدها ونفيه عما عداه وهو
مبني على أن إنما غير بسيطة بل مركبة من إن الإثباتية وما النافية
فإما أن تنفي الحكم عما بعدها وتثبته لغيره وهو باطل إجماعا وأما عكسه
فهو المطلوب اتفاقا وأما إذا قلنا ببساطتها تعين الأول فتأمل ونوزع
بأنها ولو كانت مركبة قد تستقل ما فيها كافة ثم الحصر إما حقيقي وإما إضافي
وقد اجتمعا في قوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد
وشمل الإضافي في حديث أسامة إنما الربا في النسيئة خلافا لابن عباس
حيث ذهب إلى أنه من الحقيقي ولم ينازع في فهمه الحصر بل عورض بأنه إضافي

أو وقع

أو وقع بدليل آخر ففي ذلك اتفاق على أنها للحصر قال ابن حجر فإن قلت
حذف إنما في رواية صحيحة يدل على عدم اعتبار الحصر قلت ممنوع لأن رواية
ذكرها فيها زيادة وزيادة الثقة مقبولة انتهى وهو وهم منه لأن إنما هنا
للحصر الإضافي دون الحقيقي لأن الأعمال لا تتم ولا تصح بمجرد النية بل لا بد لها
من مزاولتها ومعالجتها بالإتيان بما في شروطها وأركانها وإذا كان الحصر إضافيا
فلا ينافي بين وجودها وبين عدمها وبهذا يندفع كلام الفاكهاني حيث
قال السياق على الحصر الإضافي فعمل به وإلا فالأصل الإطلاق ومنه هذا الحديث
ثم اعلم أن هذا الحديث ذكره البخاري في سبعة مواضع في صحيحه كما صرح به في
محله وروي في الصحيح بألفاظ أربعة وهي إنما الأعمال بالنيات إنما الأعمال
بالنية الأعمال بالنيات العمل بالنية كذا قال بعض الشراح وقال القونوي
لفظ الأعمال بالنيات لا يصح ورده بعضهم بأنه رواه كذلك ابن حبان
والحاكم وأبو حنيفة في مسنده ومنها إنما الأعمال ثلاثة بدنية وقلبية
ومركب منهما فالأول كرد المغصوبات والعواري والودائع والنفقات
وإزالة النجاسات فلا يشترط فيه النية لصحتها بل لإثابتها والثاني كالاعتقادات
والتوبة والحب والبغض في الله وأمثال ذلك فلا يشترط فيه النية وقد
أغرب بعض العلماء حيث أوقع الطلاق بمجرد النية اعتمادا على هذا الحديث
نعم الثواب والعقاب يترتب على عزم الطاعة والمعصية وإن لم يعمل بما
نواه على ما ذهب إليه المحققون من أصحابنا وصرح به النووي والقرطبي أيضا
ويؤيده ما روي أن النبي عم قال لأصحابه في منصرفه من غزوة تبوك إن
بالمدينة قوما ما صعدتم جبلا ولا هبطتم واديا إلا وهم معكم فيه قالوا كيف وهم
بالمدينة قال وهم بالمدينة حبسهم العذر أو قال الضرر ومن شرف النية
اعتبارها في الآخرة بناء على تحقق خلود الطائفتين في المنزلين لما في
نية كل منهما الاستمرار على ما تدين بهما ففي خبر ابن ماجه إنما يبعث الناس
على نياتهم ورواه مسلم بمعناه والثالث كالصلاة والصوم والزكوة
والحج فيشترط حصول النية في صحتها بقي الكلام في الأقوال فلا يشترط النية

لصحتها بل لثبوت المثوبة عليها واغرب الفاكهاني في قوله وبعض خصص
العمل بما لا يكون قولا واستبعد لانه لا فرق في ذلك بين عمل باخرى انتهى وقد
عرفت الفرق بينهما ثم من العجب قوله اما الافعال فقد استعملت بمقابلة الاقوال
ولا شك ان الحديث يتناول الاقوال والله اعلم بالاحوال ثم ان الاعمال
عادية وعبادية النية شرعت لتميز الثاني عن الاول ليترتب عليه الصحة والمثوبة
واما قول شارح من الشافعية وهي واما ما تعبدنا الله بتركه كالقتل والسرقة
فلا تشترط فيه النية اتفاقا ففيه لانه لا تشترط للصحة واما لثبوت المثوبة
فلا بد من النية اتفاقا واما قوله واما تعبدنا بفعله كالوضوء والصلوة يجب فيه
النية ركنا او شرطا فيقدم انه ينتقض بستر العورة مع انه شرط اتفاقا ثم
العمل اخص من الفعل وهو كل ما صدر من الحيوان بقصده قلبيا او قالبيا
ذكره الراغب ومنها ان قوله بالنيات متعلق بمحذوف هو الخبر فقيل تقديره
انما الاعمال معتبرة بالنيات او انما اعتبار الاعمال بالنيات على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقال شارح الباء للاستعانة والمصاحبة
ليعلم منه وجوب المقارنة او المقاربة لكنها تشعر وجوب استصحابها
الى اخر العمل لانه الظاهر من المعية فالاولى اولى انتهى ولا يخفى انه حينئذ
لا يستفاد المقارنة او المقاربة فالحمل عليه على غاية ان معية النية في الاعمال
الشرعية مختلفة الكيفية بناء على التوسعة العرفية الشاملة للحالة القبلية
والبعدية ومنها ان رواية الاعمال بالنيات المقابلة الجمع بالجمع واما وجه
افراد النية مع جمع الاعمال على رواية كونها مصدرا وانما جمعت في رواية
لاختلاف انواعها والاولى حمل النية على ارادة الجنسية ومنها ان المراد
بالنية قصد المكلف للشيء المامور به ومحلها القلب اجماعا وانما استحب بعض
العلماء انضمام اللسان بالجنان للتقوية والا فاجمع المحدثون على عدم ثبوت
النية باللسان عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة والتابعين ثم
قيل ان جميع النيات المعتبرة في العبادات لا بد لها من المقارنة للفعل الا الصوم
والكفارات فانه يجوز تقديمها على الفعل والشروع انتهى وتفصيل محل النية في العبادات

الشرعية

الشرعية محلها الكتب الفقهية واما اعتبار الشافعي رحمه الله تصور اركان
الصلوة حال النية مقرونة بالتحريمة بوصف المعية فلا يظهر وجه تخصيصه
بالصلوة دون سائر العبادات مع انه حرج ظاهر بالنسبة الى الخواص
فضلا عن العوام والله اعلم بما استدل به في هذا المقام وقال البيضاوي
النية لغة القصد وشرعا توجه القلب نحو الفعل ابتغاء لوجه الله وامتثالا
لامره وهي في الحديث محمولة على المعنى اللغوي ليحسن تطبيقه على ما بعده وتقسيمه
لقوله فمن كانت الى اخره انتهى ونازع فيه شارح بما لا طائل تحته وتوضيحه ان
مجرد قصد القلب في تصحيح العمل كاف واما معنى الشرعي فيحتاج اليه من زيادة قصد
الامتثال وتحصيل الاخلاص لاجل ثواب العمل وقبوله وهو معنى قوله تعالى وما
امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وفي كلام حجة الاسلام ان النية
هي الارادة الباعثة للقدرة المنبعثة عن معرفة كمال الشيء لان الافعال
الاختيارية لا يصح ولا يعمل بهيج الارادة باعثة لقدرة خادمة لها بتحريك
العمل وهي اي النية روح العمل توثر بنفسه بخلاف العمل فان المقصود منه
تاثيره في القلب ليميل الى الخير وينفر عن الشر الموصلين الى الانس والمعرفة اللذين
هما سبب سعادته في الدارين والنية عبارة عن نفس الميل فعلم سر قوله عليه السلام
نية المومن خير من عمله انتهى وقد جعلت رسالة في حل هذا المبنى وتحقيق ما فيه
من المعنى وانما لكل امرئ ما نوى والمعنى لكل شخص من الرجل او المراة
جزاء ما نوى ما في عمله من خير او شر فهو من باب حذف المضاف او تقديره
لكل احد جزائه والاول اولى لرواية انه ليس لامرء من عمله الا ما نواه وفي نسخة
صحيحة وانما لامرء ما نوى فالمراد بالمرء جنسه وقد تكون النكرة فيها معنى العموم كقوله
تعالى علمت نفس ما احضرت ولو لم تكن في سياق النفي ففي هذا المقام تحسب
فانه في الحكم وقع في سياقه لان انما بمعنى ما والا والحصر هنا حقيقي مع
زيادة الكل المفيد للاحاطة وافادة الاختصاص من اللام فتبين بهذا
التقرير زيادة افادة هذه الجملة من جهة العموم الشامل للاعمال الشرعية وغيرها
على الجملة الاولى المختصة بالعبادات المستقلة فيه توضيحه ان مفاد الاولى ان صلاح



العمل بحسب العمل رای النية الموجودة له ومفاد الثانية ان جزاء العمل العامل
بنيته من خير او شر وهاتان كلمتان جامعتان وقاعدتان كليتان ثم قيل
تفيد هذه الجملة ما لا تفيده الاولى وهى اشتراط تعيين المنوي كمن عليه
صلوة وقتية او فائتة حيث لا يكفيه ان ينوى الصلوة فقط حتى يعينها
ظهرا او عصرا مثلا وايضا اذا عمل عملا ذا وجهين من وجوه الثواب
كالتصدق على الاقارب الفقراء ولم ينو الا وجها واحدا فليس له الا ذلك
وبهذا يندفع ما قيل من ان الجملة الثانية تأكيد للجملة الاولى اذ من المعلوم ان الافادة
خير من الاعادة وقد قال بعض المحققين ان هذه الجملة من جوامع الكلم الصادرة
عن منبع الحكمة الالهية ومهبط الانوار القدسية اللاهوتية يستنبط كل طائفة
بعباراتها وطائفة باشاراتها وكل حزب بما لديهم فرحون ومن اشاراتها
ان مدار الاعمال القالبية على الاحوال القلبية فما افاد منها ملكة فاضلة وتوجها
نحو الحضرة الربانية كان وسيلة الى المقصد الاعلى وذريعة الى السعادة العظمى
وما اوقع منها خلقا رديا وبعدا عن تلك الحضرة كان موجبا للشقاوة ومنتجا
للندامة وبحسب ذلك يتفاوت الاعمال جودة ورداءة فكل عمل اوجب
ذلقاك من مولاك كان خير اعمالك وما كان بخلافه كان شر اعمالك ثم ان للنفس
تمويهات مزخرفة وتلبيسات مموهة فربما صورت لك السراب عذبا
فراتا وارتك الماء الزلال ملحا اجاجا فاشكل المميز بين ما يدنيك من
اللذة الكبرى وما يرديك من موجبات الردى في الدنيا والاخرى فما احوجك
الى التمسك بالعروة الوثقى والاعتلاء الى ذروة التقوى بمتابعة شرع
المؤيدة من السماء وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقال الطيبي في هذه
الجملة اشارة الى ما يتميز به النية من القبول والرد والثواب والعقاب
فيفهم من الكلام الاول ان الاعمال لا تكون محسوبة الا بالنية ومن الثاني
انها انما تكون مقبولة بالاخلاص وتبعيده عن الرياء والسمعة وتوضيحه انه
اشار في الجملة الاولى ان الاعمال الشرعية يتوقف صحتها على النية اللغوية
واشار في الثانية الى اعتبار على نية الشرعية ان حاصل المرء كل ما نواه

سواء

سواء كان محمودا او مذموما فيعلم منه انه يمكن ان يجعل العادات عبادات كالاكل والشرب
والمناكح والملابس والطيب ونحوها من المباحات اذا نوى بها القوة على الطاعة
او قصد اقامة السنة او دفع الرائحة الموذية عن الخلق لا لاستيفاء اللذات
وقد ينعكس القضية بان تصير العبادات عادات فلا يتفرع عليه مثوبات بل عقوبات
كمن قعد في المسجد للتفكه والتلذذ بالمجالسة وللمناظرات على سبيل المباهات
ونحوها من المباحات والممنوعات ففي الخبر من تطيب في الله جاء يوم القيمة وريحه اطيب
من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة وكذا ورد
وعيد من تعلم القران لغير الله ونحو ذلك ففي الجملة كل عمل صدر عن العبد
لداعي الحق فهو العمل الذي ينفعه وما لا فلا يفيده بل قد يضره فقد روي
ان رجلا في بني اسرائيل مر بكثبان رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان
هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله الى نبيهم قل له ان
الله صدقك وشكر حسن صنيعك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما
فتصدقت به وهذا احد معاني حديث نية المؤمن خير من عمله لان نيته قد تنفعه
من غير عمله واما عمله فلا ينفعه بدون نية ففي خبر البيهقي لا عمل لمن لا نية له فمن كانت
هجرته اي اذا عرفت ان الاعمال الشرعية لا تصح بدون النية اللغوية وان
سائر العبادات البدنية لا تثاب ما لم تقترن بالنية الشرعية فمن كانت هجرته
الى الله ورسوله وهي في الشريعة مفارقة دار الكفر الى دار الاسلام خوف الفتنة
وفي معناه الهجرة من دار البدعة الى دار السنة وفي الحقيقة مفارقة ما يكرهه الله
عز وجل الى ما يحبه كما ورد المهاجر من هجر ما نهى الله عنه وهي اعم انواع الهجرة
واتمها والمعنى فمن قصد بهجرته وجه الله وابتغاء رضاه فهو كناية عن تخليص
النية وتحسين الطوية وذكر الله توطئة لذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وتعظيم
للهجرة اليه فهجرته الى الله ورسوله كناية عن شرف الهجرة وانها مرتبة عليه
او كونها مقبولة مرضية فلا يضر اتحاد الشرط والجزاء في العبارة الصورة
وتكرير الاسمين لتعظيم الهجرة لديه وتكريم المهاجر اليه وتجليل القضية
فمن كانت هجرته الى الله ورسوله قصدا ونية فهجرته الى الله ورسوله ثمرة ومنفعة

وقال المصنف قوله فهجرته الى الله ورسوله معناه مقبولة انتهى ولا يخفى ان الجار
والمجرور على هذا خبر لقوله فهجرته والاظهر ان التقدير فهجرته الى الله ورسوله
مقبولة على حذف الخبر فالجار حينئذ يتعلق بقوله فهجرته وان في الكلام
وضع الظاهر موضع المضمر فان من احب شيئا اكثر ذكره كما قيل اعد ذكر نعمان
لنا ان ذكره هو المسك ما كررته يتضوع ولا يبعد ان يكون التقدير فيكفيه هجرته
اليهما ثم اعلم ان هذا الكلام تفصيل لما سبق من المرام في قوله انما لكل امرئ
ما نوى وانما فرض القصة في الهجرة لانها السبب الباعث على هذا الحديث وذلك
ان رجلا من اهل مكة كان يهوى امرأة يقال لها ام قيس فهاجرت الى المدينة
فهاجر الرجل لاجلها لا تدينا فعرض النبي صلى الله عليه وسلم به في حديثه تنفيرا له
عن مثل قصده وكان الرجل بعده يدعى بمهاجر ام قيس فان قلت اذا كان
القصد مشتركا بين العبادة وامور العادة فما حكمه قلت الحكم بغالب الامر
فقد صرح علماؤنا كما في الذخيرة والتجنيس وغيرهما ان الانسان اذا سعى
يوم الجمعة الى المصر يريد اقامة الجمعة واقامة الحاجة فان كان معظم مقصوده
اقامة الجمعة ينال ثواب السعي الى الجمعة وان قصده اقامة الحاجة لا غير
او كان معظم مقصوده اقامة الحاجة لا ينال ثواب السعي الى الجمعة ثم اعلم
ان العمل اما رياء محض بان يراد به غرض دنيوي فقط ولو مباحا فهو حرام
لا ثواب فيه واما مشوب برياء ولا ثواب فيه ايضا للخبر الصحيح من عمل عملا
اشرك فيه غيري فانا منه بريء هو للذي اشرك وحمل الغزالي الاشتراك فيه
على المساواة والظاهر ان يحمل كلام الامام فيما لم يشترط فيه النية اللغوية
لقوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا
بل محله العبادة التي يعتبر فيها النية الشرعية وهي الاخلاص في خلوص الطوية
كما هو من اخلاق الصوفية لقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له
الدين واما من قصد بجهاده اعلاء كلمة الله وقيل نحو غنيمة نقص اجره
ولم يبطل لخبر مسلم ان الغزاة ان غنموا تعجلوا ثلثي اجرهم والا تم لهم اجرهم
وقد قيل من حج بنية التجارة كان له ثواب بقدر قصده الحج ومن عقده عملا لله

ثم

ثم طرأ له خاطر رياء فان دفعه لم يضر اجماعا وان استرسل معه ففيه خلاف والذي رجحه
الامام احمد وجماعة من السلف ثوابه بنيته الاول قيل ومحله في عمل يرتبط اخره
باوله كالصلاة والحج دون نحو القراءة ففيها الاجر بعد حدوث الرياء ولو تم عمله خالصا
فاثني عليه ففرح لم يضر لخبر مسلم تلك عاجل بشرى المسلم ومن كانت هجرته لدنيا
اللام للتعليل اي لاجل غرضها ومتاعها او حصول غرضها وانتفاعها
او بمعنى الى كما في نسخة صحيحة وهو اولى لانه قابل بقوله الى ما هاجر اليه حيث لم يقل
لما هاجر اليه كذا قيل والاظهر ان يقال الى هنا بمعنى اللام كقوله تعالى والامر
اليك وحينئذ لفظ الجلالة في موضعها والهجرة غير مختصة بصوب المدينة لكونه
صلى الله عليه وسلم فيها بل المعنى فمن كانت هجرته لاجل رضى الله عنها ورسوله
فهجرته منتهية اليهما والى رضاهما وبمعنى طاعته ومن كانت هجرته لغرض الدنيا
وما فيها فهجرته منتهية اليها والى سويها والمعنى هو نهاية شهوته لا يتجاوز عنها
وبهذا التقرير يستغنى عما قالوه من التقرير هذا وقد قال المالكي في استعمال
دنيا منكرا اشكال لانها تانيث الادنى وهو افعل التفضيل فكان من حقه
الدنيا كالكبرى الا انها وردت على خلاف القياس لانسلاخها عن معنى الوصفية
واجرائها مجرى الاسمية وقيل النكتة فيه الايماء الى تحريد الدنيا وترك زوائدها
وهو ماخوذ من الدنو والدناءة وقد يكسر داله ولا يبعد انها نكرة اشارة
الى ما يسمى دنيا من انواع ما في الدنيا وترك تنوينه مخففا لكثرة استعمالها
ويؤيده انه روي منونا يصيبها حال مقدرة اي يقصد اصابتها ويحصلها
ففيه قصد الدنيا وتحصيلها باصابة الغرض بالسنتهم بجامع حصول
المقصود او امرأة ينكحها بفتح الياء وكسر الكاف اي تزوجها كما في نسخة
ثم او للتنويع لا للشك فهو من باب عطف الخاص على العام اشعارا بان
النساء اعظم ضررا من الدنيا او ايماء بانه لما كان قصد النكاح الذي هو سنة
عظيمة من سنن اهل الفلاح اذا كان يبطل ثواب الهجرة فكيف غيره من
الامور المباحة او المكروهة ولا يبعد ان مهاجر ام قيس المذكور كان
يحبها لمالها وجمالها فجمعهما في التعريض به ويحتمل انه كان الطلب نكاحها وغيره

من الناس هاجر لتحصيل دنيا من جهة ما فوض بها فهجرته الى ما هاجر اليه
اى من اصابة الدنيا وتزوج المراة ولم يذكرهما صريحا للاعراض عنهما و
وعدم الاحتفال بامرهما وللزجر عن قصدهما بخلاف ما تقدم والله اعلم
والمعنى من كانت هجرته لدنيا او انتهت هجرته اليها او كانت نهاية هجرته
اليها لا لحصول ثواب الهجرة سواء حصل غرضه من الدنيا وما فيها ام لا
فعلم ان الطاعة فى اصل صحتها وتضاعف مرتبتها مرتبطة بالنيات
او بها ترتفع الى خالق البريات فلا بد للساعى من تصحيح النية والبانى من
احكام اساس النية فانها بدون العمل منتج للمثوبة والعمل بدون تصحيح
النية موجب للعقوبة اما مثال الثانى فقد ورد من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله
لا يتعلمها الا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيمة واما
مثال الاول فقد ورد فى مسند ابى يعلى الموصلى مرفوعا ان الله يقول
للحفظة يوم القيمة اكتبوا العبد كذا وكذا من الاجر فيقولون ربنا لم نحفظه عنه
ذلك ولا هو فى صحيفتنا فيقول الله نواه ونقل الاستاد ابو القاسم ان زبيدة
رؤيت فى المنام فقيل لها ما فعل الله بك فى ذلك المقام فقالت
غفر لى جميع الاثام فقيل لها الكثرة عمارتك الابار والبرك والمصانع
من طريق مكة وانفاقك فيها من الذهب والفضة فقالت هيهات
هيهات ذهب ذلك كله الى اربابه واصحابه وانما نفعنا منه النيات
فغفر لى بها السيئات هذا وبلسان العارفين معناه ان اعمال الظاهر متعلق
بما وقع فى القلوب من انوار الغيوب وان كشوف اسرار الطريقة وانوار
الحقيقة فى الباطن بما بدا من جمال الفهم والالهام اذا انقدح ستابرة
صفحة الفعل من زنود صفات الجلال والاكرام والنية جمع الهم فى تنفيذ العمل
للمعمول له وان لا يسنح فى السر ذكر غيره وللناس فيما يعتقدون مذاهب من نية
العوام فى طلب الاغراض فى الفعل مع نسيان الفضل ونية الجاهل التحصن
عن سوء القضاء ويزول البلاء ونية اهل النفاق التشرف عند الخلق وعند
الخلاق ونية العلماء اقامة الطاعة وادامة العبادة لحرمة ناصبها لا لحرمة

جانبها

جانبها ونية الصوفية ترك الاعتماد على ما يظهر منهم من الطاعات الصورية
والحالات المعنوية ونية اهل الحقيقة ربوبية تولت عبودية وانما الحل
امرئ ما نوى من مطالب السعداء ومناقب الاصفياء وهى الخلاص عن
الدركات السفلية من الكفر والشرك والجهل والمعاصى والاخلاق الذميمة
والحجب النفسية والفوز بالدرجات العلية وهى المعرفة والتوحيد والعلم
والطاعة والاخلاق المحمودة والجذبات الالهية والفناء عن انانيته والبقاء
بهويته او من مقاصد الاشقياء وهى ما يبعد عن الحق فى مقام الاصطفاء
فمن كانت هجرته بخروجه من مقامه الذى هو غاية مرامه سواء كان من الامر
النفس او مقاما من مقامات القلب الى الله وتحصيل رضاه ورسوله باتباع
اعماله والتوجه الى طلب الاستقامة فى اسنداته احواله فهجرته الى الله ورسوله
فيخرجه العناية الالهية من ظلمات الحدوث والفناء الى نور الشهود وال
والبقاء وتجذبه من حضيض العبدية الى ذروة العندية ويذهل عن عالم
الناسوت ويفنى فى عالم اللاهوت ويبقى بالحى الذى لا يموت ورجع
اليه الانس ونزل محلة القدس واشرقت عليه سبحات الوجه الكريم
وحل بقلبه روح الرحمن الرحيم ووجد فيه الروح المحمدى واحبابا وعرفا ازليه
منوى وما يا هو احال اخص الخواص واما العوام فهجرتهم بسبب الافاقة
بشرط جاهد وافيا من الكفر الى المعرفة ومن مقابح الاخلاق الى محاسنها
واما الخواص فهجرتهم بجذبات لشهد بهم سبلنا من حجب اوصاف
الخلق الى درجات تجليات صفات الحق ومن كانت هجرته لدنيا
من تحصيل شهوة الحرص على الجاه والمال ونيل المنال فينبغى مهجورا
عن الحق فى اوطان الغربة وديار الظلمة لنار الفرقة والقطيعة نار الله
الموقدة التى تطلع على الافئدة لا نار الجحيم التى لا تحرق الا الجلد ولا
تخلص الى القلب فانها بالنسبة الى نار حرقة القلوب وحرقة القطيعة
عن غيب الغيوب كنسيم الحيوة الى سموم الممات ولذا قالوا الحجاب
اشد العذاب والشد ؎ وانفى فؤاد المحب نار هوى ؎ اخر نار الجحيم ابردها

وما احسن من قال من ارباب الحال، يا غافل القلب عن ذكر المنيات،
عما قليل ستثوى بين اموات، ان الحمام له وقت الى اجل، فاذكر
مصائب ايام وساعات، لا تطمئن الى دنيا وزينتها، قد حان للموت
يا ذا اللب ان يأت، وكن حريصا على الاخلاص في العمل، فان العمل الزاكي بنيات
هذا وفي معنى الهجرة طلب العلم وصحبة الصوفية بل كل حركة وسكون يحتاج
الى تصحيح النية وفي الخبر ان الله لا ينظر الى صوركم واعمالكم ولكن ينظر
الى قلوبكم ونياتكم رواه اماما المحدثين اي المصنفين في علم الحديث من
المتأخرين احدهما ومنهما ابو عبد الله محمد بن اسمعيل بن ابراهيم ابن
المغيرة بضم فكسر ابن بردزبة بموحدة مفتوحة فراء ساكنة فدال مهملة
مكسورة فزاء ساكنة فموحدة فهاء ساكنة ومعناه بلسان اهل بخارا الحارث
بمعنى الزارع كان مجوسيا ومات عليه البخاري منسوب الى بخارا بلد معروف
من اعظم بلدان ما وراء النهر وفي بعض النسخ زيد الجعفي بضم الجيم وسكون العين
المهملة فالفاء نسبة الى اليمان بن اخنس الجعفي لان المغيرة اسلم على يده هذا وقد
ولد سنة اربع وتسعين ومائة وتوفي بخرتنك قرية على فرسخين من سمرقند
سنة ست وخمسين ومائتين فعمره اثنان وستون سنة قال خرجت كتابي
الصحيح من زهاء ستمائة الف حديث لست عشرة سنة وما وضعت فيه حديثا
الا اغتسلت وصليت فيه ركعتين وادرفران يستقصى واوردت بيان لطيف
فضائل اكثر من ان يحصى روى انه عمي في صباه فرأى الخليل عليه السلام في المنام
فدعا له وتفل في عينيه وبرك عليه فابصر باذن الله الملك العلام وقد زعم لم
يقرأ كتابه في كرب الا فرج وقد روى هذا الحديث في سبعة مواضع من
صحيحه وعدوا احاديث صحيحه سبعة آلاف ومائتان وخمس وسبعون وباسقاط
المكرر اربعة آلاف وقد كتب عن احمد بن حنبل ويحيى بن معين وخلائق يزيدون
على الف وروى عنه مسلم خارج صحيحه والترمذي وابن خزيمة وقيل والنسائي
وابو الحسين مسلم ابن الحجاج بفتح الحاء وتشديد الجيم الاولى ابن مسلم القشيري
بضم القاف وفتح الشين المعجمة منسوب الى قشير بن كعب بن ربيعة بطن

من العرب

من العرب النيسابوري بفتح النون والسين المهملة منسوب المعجمة مدينة بخراسان
وهو الامام الهمام النبيل والبحر الجليل ولد سنة اربع ومائتين وتوفي
سنة احدى وستين ومائتين واحاديث كتابه بعد اسقاط المكرر اربعة
آلاف ايضا اخذ عن احمد وحرملة وخلائق وروى عنه الترمذي حديثا واحدا
رضي الله عنهما كذا في النسخ جميعها وفيه توسعة والاولى الانسب ان يقال
رحمهما الله لان الترضية تختص عرفا بالاصحاب المصطفوية في صحيحيهما انما
اختص بهما لان لا كتاب غيرهما ليست في رتبتهما وهو متعلق برواه لا حال
من الضمير الراجع الى الحديث كما ذكره الكازروني اللذين بفتح الذال وكسر
النون هما اصح الكتب المصنفة اي المؤلفة احترازا من الصحف المنزلة واما
قول الشافعي ما اعلم كتابا بعد كتاب الله اصح من موطأ مالك فذاك قبل
وجودهما ثم الاول اصح منهما على الاصح من الاقوال فيهما وقد رواه
غيرهما كالامام احمد وابي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم حتى
صار شبيها بالتواتر عنهم وقد روى البخاري انه صلى الله عليه وسلم
خطب به فقال يا ايها الناس انما الاعمال بالنيات وخطب عمر رضي
الله عنه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اخرجه البخاري ايضا
الحديث الثاني عن عمر رضي الله عنه ايضا اي عادت عنه الرواية
عودا يقال الحق فلان الى اهله اي رجع قال بينما نحن عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم المستفاد من كلام الرضي ان ما في بينما كافة لانها
تكف المقتضي وتمنعه عن اقتضاء المضاف اليه وقد روى فيما بينما
وفي بعض الروايات بينا على اشباع الفتح لتكون الالف الى صلة دليل على
عدم اقتضائه للمضاف اليه لانه كانه وقف عليه فان الالف متولدة بها
للوقف عليها كما في انا والظنونا ثم بين في الاصل يستعمل في الزمان والمكان
واما اذا كف بما او الالف واضيف الى الجملة فلا يكون الا للزمان لانه لا يضاف
الى الجملة الا حيث من ظروف المكان والمعنى في اثناء اوقات ذي لفة وازمنة
لطيفة نحن حاضرون لديه وواقفون بين يديه ذات يوم اي ساعة

اضي



نهار فقائدة زيادة ذات في البيان عدم تجوز التوسع في اطلاق اليوم على
مطلق الزمان وهو ظرف عندنا فيه من معنى الاستقرار في الخبر اذ طلع علينا
رجل اي ظهر لنا شخص بصورة رجل من جنسنا والتنوين فيه للتعظيم او للتنكير
والمعنى فاجانا وقت طلوعه حين كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي مجلس حضوره وحال ظهور نوره رجل على الجناب شديد بياض
الثياب باضافة الشديد الى البياض وفي النسخة بتنوين شديد ورفع
ما بعده وكذا الكلام في قوله شديد سواد الشعر بفتح العين ويسكن
وفيه ايماء الى استحباب البياض والنظافة في الثياب وان زمان
طلب العلم اوان الشباب وفي حديث الترمذي ان الله نظيف يحب النظافة
وصح ان من خير ثيابكم البياض فالبسوه وكفنوا فيها موتاكم وقدم البياض
على السواد لفضله وجمع الثياب دون الشعر اشعارا بان جميعها كذلك وللتفنن
في العبارة باستعمال الجمع تارة واعتبار الجنس اخرى وهذا اما لتحقيق
اخرى وفي رواية النسائي عن ابي هريرة وابي ذر اذ اقبل رجل احسن
الناس وجها واطيب الناس ريحا كان ثيابه لا يمسها دنس واغرب
ابن حجر في عبارته عن ابو هريرة وذر انتهى وغرابته لا يخفى لا يرى بضم
الياء ومن يرى والراء مفتوحة وروي بالنون المفتوحة كذا في شرح مسلم عليه اثر السفر
برفع الاثر ونصبه كما يقتضيه اختلاف الاثر والاثر العلامة من نحو الشعث والغبرة
والسفر ماخوذ من السفر وهو الكشف لانه يكشف احوال الرجال واخلاقهم في
احوال الانتقال ولا يعرفه منا اي معشر الصحابة احد قدم منا للاهتمام و
موداه وحاصل معناه انه حينئذ اما ان يكون ملكا او جنيا اذ لو كان
بشرا من المدينة لعرفناه او غريبا كان اثر السفر في سيماه وفي هذا الحديث
تصريح بانهم راوه وسمعوا كلامه واما حديث الامام احمد عن غير عمر لنسمع رجع
النبي صلى الله عليه وسلم ولا نرى الذي يكلمه ولا نسمع كلامه فاما محمول على ان
حال جبرئيل ان كانت القضية واحدة واما على التعدد القضية اي لكن تعليم الامة
وهذا اولى من قول ابن حجر رد حديث عمر الاصح منه واما قول الفاكهاني ورد

ابو

ابو العباس الغدري لا نرى ولا نعرفه بالنون فانما يصح مع عدم قوله ومنا
واحد حتى جلس متعلق بمحذوف دال عليه طلع اي سلم واستاذن واتى ودنا
حتى جلس مائلا الى النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى بين يديه ففي الحديث كنا نجلس
بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وكانما على رؤسنا الطير نظرا او متصل اليه فيكون
كالتفسير له وقوله فاسند ركبتيه الى ركبتيه اي اوصل ركبتيه الى ركبتي النبي
عليه السلام لان الجلوس على الركبة اقرب الى التواضع والنسب الى كمال الادب
واتصالها ابلغ في الاصغاء وحضور القلب والصفاء والاستيناس بلا توحش
عن الناس وكذا الحكمة وضع الكف في قوله ووضع كفيه على فخذيه بفتح الفاء وكسر
الخاء وجوز في اللغة كسر اوله وسكون ثانيه اي فخذ النبي كما في رواية النسائي
هذا وقد ابعد ابن حجر عن التحقيق حيث قال فجلس الى النبي هنا بمعنى عند
او مع هذا وفي رواية النسائي عن ابي هريرة وابي ذر انه عليه السلام
كان يجلس مع اصحابه فلا يعرفه الغريب فبنيت له المصطبة من طين فجاء
جبرئيل وهو عليها فقال السلام عليكم يا محمد فرد عليه صلى الله عليه وسلم
قال ادنو يا محمد قال ادنه فما زال يقول ادنو مرارا ويقول ادنه حتى وضع
يديه على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وصيغة عليكم بلفظ الجمع للتعظيم
اوله ولمن معه على وجه التعميم كما قال الفقهاء انه يسن السلام بصيغة الجمع على
الواحد نظرا لمن معه من الملائكة ولا ينافي تخصيصه بالنداء بعد تعميم الثناء وقال
يا محمد لعل نداءه بذلك قبل التحريم او لانه لم يكن داخلا في التعميم او التحريم محمول
على ما اذا اراد به مجرد العلمية عن التعظيم المستفاد من الدلالة الوضعية الموجبة
للتفخيم واما ورد في الصحاح من نداء بعض الصحابة باسمه فذاك اما قبل التحريم
واما على قصد ما ذكرنا من التعظيم وقال شارح نداؤه باسمه اذ الحرمة تختص بالامة
في زمانه وهو ملك معلم انتهى وفيه انه في هذا المقام تنزل الى مرتبة التعلم
او الى حالة تعليم غيره في السؤال والجواب فمقتضاه انه كان يتادب في الخطاب
لا سيما في اول الباب والله اعلم بالصواب وقال الفاكهاني ونداؤه هذا كان
تحية لحاله اقوى وهذا بعيد عن مقام جلاله وحسن سؤاله اخبرني عن الاسلام

وهو لغة الانقياد للاحكام ولذا اجاب عنه عليه السلام بالاركان الخمسة من ظواهر
احكام الشريعة وانما قدم السؤال عنه وان كان التصديق مقدما بحسب الرتبة لانه
جاء لتعليم مراتب الشريعة فبدا بالادنى ثم ترقى الى الاعلى ثم الى مشاهدة المولى
فيكون هذه الرواية هي الاولى من رواية الترمذي تقديم الايمان كما في رواية الصحيحين
عن ابي هريرة فلعلها رواية بالمعنى هذا وقد ذكر ابو عبد الله بن ابي حفص الكبير
عن ابيه عن محمد بن الحسن عن ابي حنيفة عن علقمة عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر ان
جبرئيل سأله عن شرايع الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام
ان تشهد اي شهادتك واقرار عبادتك ان لا اله الا الله ان مخففة
من المثقلة وضمير الشان محذوف ويدل عليه عطف قوله الآتي وان محمدا الى آخره
والمقصود من هذه الكلمة اثبات التوحيد في الجملة بحسب ظاهر الشريعة والتفصيل
على وجه الحقيقة اثبات الله بوحدانيته منعوتا بالتنزه عن مايليق به اعتقادا
وقولا وعملا فيقينا وعرفانا فمشاهدة وعيونا فشهودا ووجدانا كما ستقف عليه
مفصلا وتماما وقال الغزالي للتوحيد لباب وقشر كاللوز فالقشرة العليا هي
القول باللسان المجرد والثانية الاعتقاد بالقلب جزما واللب ان ينكشف
بنور الله سر التوحيد بان يرى الاشياء الكثيرة صادرة عن فعل واحد ومن
سلسلة الاسباب مرتبة بمسببها ولب اللب ان لا يرى في الوجود الا واحدا و
يستغرق في الواحد الحق غير ملتفت الى غيره ابدا واغرب ابن حجر فقال في
اعلم هل اشهد او اسقطها فقال لا اله الا الله محمد رسول الله لم يكن مسلما
وايده بحديث امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا مع انه جاء في رواية
صحيحة حتى يقولوا وقد كثر الروايات الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم مثل من قال
لا اله الا الله دخل الجنة على ان المراد بهذه الكلمة ضم الاخرى من الاقرار بالنبوة
لتلازمهما في اعتبار الشريعة وان الاقتصار على هذه الكلمة من باب الاكتفاء
اولانها على انها هذه علم للاقرار بالتوحيد والنبوة فكيف اذا انكلمت الكلمة بضم
محمد رسول الله فقوله وان محمدا رسول الله ايماء الى الاقرار بصحة النبوة وهما
اصلان متلازمان في اقامة الدين ضرورة توقف الاسلام على الشهادتين

وقد

وقد يقال الشهادة تجيء في اللغة على ثلاثة معان الاول بمعنى العلم كقوله تعالى
يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون اي تعلمون
والثاني بمعنى الحضور والابصار كما قال تعالى وليشهد عذابهما طائفة من
المؤمنين والثالث بمعنى الاخبار عن العلم والحضور كقوله تعالى وما شهدنا
الا بما علمنا وهذا المعنى هو المناسب لمقام الاسلام واما العلم والمشاهدة
فهما من مراتب العلماء الكرام ومناقب الاولياء العظام ومنه قوله تعالى فاعلم
انه لا اله الا الله وشهد الله انه لا اله الا هو قال المحققون مجرد التوحيد
هو الاحتجاب بالجمع عن التفصيل وهو محض الجبر المؤدي الى الاباحة واسناد
القول والفعل الى الرسول وسائر الخلق احتجاب بالتفصيل عن الجمع الذي
هو الصورة المؤدي الى التعطيل او التنوية والجمع بينهما هو الحق المحض قال في
العوارف الجمع اتصال لا يشاهد صاحبه الا الحق فمن شاهد اي واولي
نفسه منه غيره فما ثمة جمع والتفرقة شهود لمن شاهد بالمباينة فقوله امنا
بالله جمع وما انزل الينا تفرقة اقول فقول لا اله الا الله جمع وقول محمد
رسول الله تفرقة كما قيل اياك نعبد تفرقة واياك نستعين جمع وفي
جمع المثالين ايماء بجواز تقديم التفرقة على الجمع كما للسالك المجذوب
المستمى بالمراد وهو اكمل من المريد في مقام المزيد كما اشار اليه قوله سبحانه
الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وقال الجنيد القرب بالوجد
جمع وغيبته من البشرية تفرقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل وتقيم الصلوة اي تديمها
بمحافظة شرائطها ورعاية اركانها والصلوة لغة الدعاء نقل الى افعال
مخصوصة واقوال معلومة لان الدعاء جزء الصلوة وتؤتي الزكوة اي تعطيها
مصارفها من زكى نمى او طهر وهي اسم للقدر المخرج من النصاب لانه يزيد بركة
المخرج عنه ويطهره او يطهر قلب صاحبها عن خساسة البخل ونجاسة حب
الدنيا طلبا لحب المولى ورسمها بالواو على خلاف القياس بناء على اصلها ثم
اعلم ان الرواية بنصب تقيم وتؤتي وما بعدهما ويؤيده حديث بني الاسلام
على خمس واما من جعل الواو استينافية على توهم ان اتيان الشهادتين يكفي في

اجراء احكام الاسلام فاجيب بان الانقياد بها اتم وبتوابعها من المذكورات
ونحوها اكمل على انه قد يقال المراد بقية الافعال المختصة هو الانقياد بقبولها وتشريعها
واعتقاد ركنيتها وانكار وجوبها كفر اجماعا لانها من المعلوم بالدين ضرورة وتصوم
رمضان فيه جواز اطلاق رمضان من غير ذكر شهر وهو علم للشهر المشهور ومن رمض
اذا احترق فاضيف اليه الشهر وسمي به لارتماضهم من حر الجوع او لاحتراق ذنوبهم
بالصبر على حرارة الجوع ومرارة العطش والصوم لغة الامساك وشرعا امساك
مخصوص بوصف مخصوصين وتحج البيت الحج بفتح الحاء وكسرها لغة القصد
او قصد المعظم وشرعا قصد بيت الله في وقت معين لشرائط معلومة والبيت
اسم جنس غلب على الكعبة علما ان استطعت اليه اي الى البيت او الحج المفهوم
من تحج يعني ان امكنك الوصول اليه سبيلا تمييز عن نسبة الاستطاعة اي
ان استطعت سبيل البيت او الحج فاخر لتمكن او وقع في النفس وهي الطريق
الذي فيه سهولة ويستعمل في كل ما يتوصل به الى الشيء وهو المراد هنا ولذا
فسرت في الحديث بالزاد والراحلة رواه الحاكم وصححه لكن ضعفه اخرون
والحاصل ان الاستطاعة عند ابي حنيفة لمجموع البدن والمال وعند مالك
بالبدن وعند الشافعي بالمال وفي كتب الفقه تفصيل الاحوال وفي تفاريعه
انه هل يجب على الفور او التراخي ومنه خلاف مشهور بين اصحابنا وكذا
فيما بين اصحاب مالك والشافعي ثم الاستطاعة سلامة الاسباب وصحة الالات
وهي قد تتقدم على الفعل وتطلق على عرض في الحيوان يفعل به الافعال الاختيارية
ولا يكون الا مع الفعل وهي ما فسرت استطاعة التي بها يتمكن المكلف من فعل
خاصة بالمعنى الاول فلا يرد ما قيل من ان الاستطاعة التي بها يتمكن المكلف
من فعل العبادة مشروطة في الكل فكيف خص الحج بها وتنكيره للعموم وتقديم
اليه عليه لاختصاص اي سبيلا ما الى البيت او الحج على اي وجه كان قربا او
بعيدا بشرط اختصاص انتهائه اليه لا الى غيره وايراد الافعال على صيغة المضارع
لافادة الاستمرار التجددي المناسب لكل منها ففي التوحيد الاستمرار الدائم
مدة الحيوة الى الممات وفي الصلوة دونه ثم في الصوم والزكوة دونها

وقدم

وقدم الاتم والاعم ما وجب في العمر مرة وهو الاشق الاتم ولذا قيد بالاستطاعة
والله اعلم وقد نزل عليه صلى الله عليه وسلم يوم عرفة وهو على ناقته في حجة
الوداع اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
دينا قال اي الرجل صدقت فعجبنا له اي قال عمر فتعجبنا لاجل السائل او من
كلامه المتقابل حال كونه يسأله ويصدقه اذ سؤاله يقتضي عدم علمه وتصديقه
يوجب خلافه حاله ثم زال التعجب الناشئ من الجهل بسبب النبي لعلمهم انه
جبريل اتاهم في صورة متعلم ليعلمهم امر دينهم قال فاخبرني عن الايمان
وهو في اللغة التصديق الذي معه امن وطمانينة وتحقيق ذلك انه يتعدى
بنفسه الى انه لما كان متضمنا لمعنى الاعتراف عدي بالباء في قوله قال ان
تؤمن بالله كذا قرره بعض الشراح وفيه ان الاقرار شرط لاجراء الاحكام
او شطر لمفهوم الايمان كما هو عند بعض الاعلام فالاكتفاء به لا يكون الحد
على وجه النظام فالاولى ما قال بعضهم من ان المراد بالمحدود الايمان الشرعي
من الحد الايمان اللغوي فانه متعد بالباء كما في القاموس امن به ايمانا صدقه
فالمعنى ان الايمان هو تصديق وجوب وجود ذات الله المستجمع لصفات
الكمال من نعوت الجلال والجمال وحسن الافعال وبكل ما جاء من عنده
على طريق التفصيل او سبيل الاجمال قال ابن الصلاح هذا الحديث بيان
اصل الايمان وهو التصديق والاسلام وهو الانقياد والاحكام وحكم الاسلام
يثبت بالشهادتين وانما اضاف اليها الاعمال المذكورة لانها اظهر شعائره
ثم الايمان قد يطلق على الاسلام كما في حديث وفد عبد القيس هل تدرون
ما الايمان شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلوة وايتاء
الزكوة الحديث وقد يطلق الايمان على الاسلام كحديث الايمان بضع وسبعون
شعبة ادناها اماطة الاذى عن الطريق واعلاها شهادة ان لا اله الا الله وقد
يطلق الاسلام ويراد المعنى الاعم لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام
ولخبر ابن ماجه ما الاسلام قال تشهد ان لا اله الا الله وتشهد اني رسول الله
وتؤمن بالاقدار كلها خيرها وشرها حلوها ومرها ومنه ما روي الايمان اعتقاد

بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان واسم الاسلام يتناول اصل الايمان
وهو التصديق والطاعات فان كل ذلك استسلام فعلم انهما يجتمعان ويفترقان وان
كل مؤمن مسلم من غير عكس كما يدل قوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا
ولكن قولوا اسلمنا وخبر احمد الاسلام علانية والاسلام في القلب وفي
حديث سعد تركت فلانا لم يعطه وهو مؤمن فقال او مسلم فاعاد عليه فاعاد
وهذا التحقيق موافق لمذهب جمهور العلماء من الاشاعرة والماتريدية حيث
جعلوا الايمان مجرد التصديق والاقرار شرطا لاجراء الاحكام وهو مذهب
الامام وبه اخذ علم الهدى والاشعري في اصح الروايتين عنه على ما ذكره
الكردي وقيل الاقرار ركن والتصديق شرط وهو قول ساقط عند المحققين
واما على ما ذهب اليه بعض الحنفية من ان الاعتراف شطر للايمان لكنه يسقط
بالاعذار في بعض الاحيان فكل مؤمن مسلم وكل مسلم مؤمن على ما هو المتعارف
في الزمان واما عند الشافعي وهو المنقول عن علي كرم الله وجهه مرفوعا ان
الايمان هو المعرفة بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان والظاهر ان
المراد به الايمان الكامل وعليه جميع اهل السنة خلافا للمعتزلة حيث قالوا
كما ذكر في الكشاف ان الايمان الصحيح هو ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه
ويصدقه بعمله وكذا عند الخوارج الا ان المعتزلة يقول مرتكب الكبيرة يخرج
عن الايمان ولا يدخل في الكفر والخارجي يحكم بكفره فاذا كان الامر كذلك
فلا وجه لاسناد ما قال علي الى انه كذا عند الشافعي واتباعه على ما ذكره بعض
الشراح من اشياعه والا يلزم منه انه خالف اهل السنة وتابع اهل البدعة
وليس كذلك فانه لم يقل بالتفريع الذي ذكره الخوارج والمعتزلة وبطلان
ما ذكروه ظاهر اذ حيث جاء في الكتاب والسنة عطف العمل على الايمان
فيدل على مغايرته للعمل بالاركان ومما يدل على بطلان ما ذهبوا اليه انه لو
شخص ولم يلحق بتكليف عمل ومات فهو مؤمن عند الله اجماعا وان
ابا حنيفة واتباعه انكر قبول الايمان للزيادة والنقصان ووافقه امام
الحرمين من الاشاعرة وجوزهما آخرون قال المصنف وهو مذهب

السلف

السلف والمحدثين قال الفخر الرازي وغيره والخلاف مبني على ان الطاعة اذا
احدث في مفهومه قبلهما والا فلا لان الايمان اسم للتصديق الجازم مع
الاذعان وهذا لا يتغير بضم طاعة ولا معصية اليه ثم قال المصنف قال المحققون
من اصحابنا المتكلمين ان نفس التصديق لا يقبلهما والايمان الشرعي يقبلهما
بزيادة ثمراته وهي الاعمال ونقصها قالوا وفي هذا التوفيق من ظواهر
النصوص التي جاءت بالزيادة وبين المعنى المفهوم من اللغة قال
وهذا الذي قاله هؤلاء وان كان ظاهرا حسنا فالاظهر والله اعلم ان نفس
التصديق يزيد بقوة النظر وتظاهر الادلة ولهذا يكون ايمان الصديقين
اقوى من غيرهم بحيث لا يعتريهم الشبهة ولا يتزلزل ايمانهم بعارض ولا يشك
عاقل في ان تصديق ابي بكر لا يساويه تصديق آحاد الناس اقول ثم اعلم
ان المراد بالاركان الاتيان بالاوامر المفروضة والانتهاء عن الزواجر المحرمة
واغرب شارح في تفسير الاركان بالاعضاء السبعة وهي العين واللسان
والاذن واليد والبطن والفرج والرجل واذا كان الايمان التصديق على وجه
التحقيق فلا يقبل الزيادة والنقصان الا باعتبار ثمراته من الاعمال او مراتب
ظهوره وانكشاف نوره في صدور ارباب الاحوال اذ التصديق عند
اهل التدقيق اذعان النفس وقبولها بما يجب قبوله عليها وهو تقليدي وتحقيقي
والتحقيقي اما استدلالي او ذوقي اما كشفي واقف على حد العلم او عيني عبر
عليه بالعين اما مشاهدة او شهود والاول هو الاعتقاد الجازم المطابق الممتنع
الزوال وهو اول ما لا بد منه في صحة العمل بالاركان والثاني الاعتقاد الجازم
المطابق الممتنع الزوال الثابت بالبرهان والثالث الممتنع الزوال الثابت
بالوجدان والثلاثة مراتب الايمان بالغيب والاحسان علم اليقين والرابع
هو المشاهدة الروحانية مع بقاء الاثنينية ويسمى عين اليقين والخامس
هو الشهود الحقاني عند تجلي الوحدة الذاتية وزوال الاثنينية ويسمى حق اليقين
ومجمل الكلام في مقام المراد ان ايمان العوام هو التصديق بالجنان والاقرار
باللسان وايمان الخواص عزوف النفس عن الدنيا وسلوك طريق العقبى

وشهود القلب مع المولى وايمان خواص الخواص ملازمة الظاهر والباطن في
طاعة الله وانابة الخلق الى الفناء في الله واخلاء السر للبقاء في الله واما قول
المص في شرحه لمسلم اتفق اهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على من
آمن بقلبه ولم ينطق بلسانه مع قدرته كان مخلدا في النار فمعترض على ما قاله
ابن حجر بانه لا اجماع على ذلك وبان الحق من الائمة الاربعة قولا انه مؤمن عاص
بترك التلفظ بل الذي عليه جمهور الاشاعرة وبعض محققي الحنفية كما ذكره المحقق
الكمال ابن الهمام وغيره من علماء الانام ان الاقرار باللسان انما هو شرط لاجراء
احكام الدنيا فحسب اقول اذا كان الامر كذلك فينبغي ان يحمل كلام النووي
على امتناع اقراره مع قدرته وقت مطالبته وكذا اجمعوا على كفر ابي طالب
حيث طالبه صلى الله عليه وسلم بالاقرار ولم يعترف خوفا من الملامة والعار مع
انه عارف بحقية نبوته عليه السلام لما راى من آثار الانوار وثبوت دار
القرار باستدلاله العقلي حيث قال لابد من دار اخرى لجزاء الخلق والتمييز
بين الفجار والابرار اذ الامر منعكس في هذه الدار حيث الابرار في المحنة
وجمهور الفجار في النعمة والحاصل ان امتناعه عند مطالبته مع وجود قدرته
مبطل لمعرفته كالسجود لصنم باختياره او استخفافه بنبي او بالكعبة او رمي القرآن
في القاذورات ونحو ذلك من المكفرات فانه يحكم بارتداده وبطلان
اعتقاده لذلك ولا يفيده تصديقه القلبي هنالك اذ انقلاب ايمانه
كفرا ولا يبعد ان يقال الاقرار حينئذ صار شطرا فيكون ذا وجهين كما قال
اصحابنا في الاحرام انه من وجه شرط ومن وجه ركن وبه يجمع بين الاقوال
المختلفة والله اعلم وايضا لو لم يعتبر ما قاله المص لزم ان يكون بعض اليهود
والنصارى مؤمنا عند الله وهو خلاف الاجماع قال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به اي ما اقروا بنبوته فلم ينفعهم الايمان بالله ووحدانيته هذا وقد
اتفق اهل الحق وهم الاشاعرة والحنفية على انه لا عبرة بايمان بلا اسلام
وعكسه اذ لا ينفك احدهما عن الآخر في الشريعة وان كانا متغايرين في
اصل اللغة فعلم انه باختلال احد من الامرين ينتفي لازم الايمان في الدارين

لكن

لكن الحنفية ومن ثم كفروا باقوال وافعال كثيرة نظم اسمهم الى انها تؤول على
الاستخفاف بالشريعة كتعمد صلوة بلا وضوء ودوام ترك سنة استخفافا
بها واستقباح سنة كتحنيك العمامة وهو جعل طرفها تحت حلقه وامثالها
روي ان ابا يوسف رحمه الله ذكر في مجلس انه صلى الله عليه وسلم كان يحب الدبا
فعارضه بعض الجهلاء بقوله انا ما احب الدباء فسل له السيف وقال جدد ايمانك
والا قتلتك وملائكته جمع ملك على غير قياس والتاء لتانيث الجماعة وهم
اجسام لطيفة نورانية مبراة من كدورات نفسانية وظلمات حيوانية مقتدرة
على تشكلات مختلفة معصومون عن المخالفة منهم وسائط بين الله وبين
انبيائه المبعوثين الى الخليقة والكل مقام معلوم ومرام مقسوم وفي حديث
مسلم عن عائشة مرفوعا خلقت الملائكة من نور وخلقت الجن من مارج وخلق
آدم مما وصف لكم وكتبه اي ما انزل الله على انبيائه اما مكتوبا في الالواح
او مسموعا من وراء حجاب او من ملك مشاهدا او هاتف وذلك بان
يعلم ان كلها وحي من الله مشتمل على احكامه واخباره واعلامه ويعتقد ان
القرآن كلام الله غير مخلوق بل ازلي قديم قائم بذاته منزه عن حروف وصوت
وحدوث شيء في صفاته وهو المكتوب في مصاحفنا المحفوظ في صدورنا
المقروء بالسنتنا قال الزمخشري وغيره وهي مائة كتاب واربعة منها
خمسون على شيث وثلاثون على ادريس وعشرة على آدم وعشرة على
ابراهيم والتورية والزبور والانجيل والفرقان ورسله بان يعرف
انهم بلغوا ما انزل اليهم وقاموا بما اوجب عليهم وانهم معصومون عن الكبائر
والصغائر عمدا الا سهوا وخطأ بشرط التذكر في الحال او التنبيه عليه
بحسن المقال وهذا الترتيب في التعريف ما يقتضيه حكمة عالم الوسائط
والتكليف والا فمقام لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا
نبي مرسل معلوم لنبينا صلى الله عليه وسلم اذ فيه اشارة الى تمكينه في وقت
كشف المشاهدة واستغراقه في لجة بحر الوحدة حيث لا يبقى فيه اثر
البشرية ولا تصور الاثنينية الا انه سبحانه كان يرده في بعض الاوقات



من هذه النسبة الجمعية الى النظر في تربية اصحابه العلية وتدبير مراتب احوال امته
المرضية ليجري عليه احكام التلوين بعد تحققه في مقام التمكين ولئلا يذوب
في نيران كبرياء الازل او يغرق في بحر الفناء ومقام حق اليقين ومن هنا كان
يقول لعائشة احيانا كلميني يا حميرا واليوم الآخر اي يوم القيمة لانه آخر ايام
الدنيا ولانه لا ليل بعده ولا نهار اي ويعرف بوجود الابد الدائم الذي
لا ينقطع وبما فيه من حشر الاشباح مع الارواح والمحاسبة والمجازات
وموافقة من الصراط والميزان ودخول الجنة ودرجاتها والنار ودركاتها
وفي رواية والبعث الآخر فكان البعث الاول من الخلق بعد العدم وتؤمن
بالقدر بفتحتين مصدر قدر يقدر وقد يسكن داله وهو ما قضاه الله وحكم
به من الامور كذا في جامع الاصول واعاد العامل اما لبعد العهد كقول ابن عمر
اذا علم اليحيى اليماني انتهى ،اذا قلت اما بعد اني خطيبها، او لشرف قدره
وتعاظم امره لانه مجار الافهام ومزال الاقدام فلذا اهتم بشانه ثم قرره
بالابدال بقوله خيره وشره اي حلوه ومره وفي رواية لمسلم وبالقدر كله
وليس توهم في اصل ابن حجر في شرحه فهو ساقط من الكتاب او من صاحب
الكتاب ويؤيده الثاني عدم تكلمه في هذا الباب والله اعلم بالصواب
قال المؤلف معناه يعتقد ان الله تعالى قدر الخير والشر قبل خلق الخلق فان
جميع الكائنات بقضاء الله تعالى وقدره وهو مريد لها انتهى فالطاعات يحبها ويرضاها
ويثيبها بخلاف الكفر والمعاصي قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر والارادة لا تستلزم
الرضا وقد قال سبحانه انا كل شيء خلقناه بقدر وفي الخبر كل شيء بقدر حتى
العجز والكيس واجمع السلف والخلف على صحة قول ما شاء الله كان وما لم يشأ
لم يكن ولانه سبحانه اعظم من ان يقع في ملكه ما لا يشاء او يشاء ما لا يكون
من الاشياء وقد قيل قدر الخير والشر قبل خلق الخلق بخمسين الف سنة
هذا ولو كان العبد يخلق الشر والمخالفات وهي اكثر وقوعا من الطاعات لكان
الشر ما يجري في الوجود على خلاف مراد المعبود وذلك امر لا يرضاه امير بلدة
ولا زعيم قرية وقال الغزالي كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من

العنكبوت

العنكبوت والنحل ونحوها من لطائف الصناعات ما تتحير فيه عقول ذوي الالباب
فكيف انفردت هي باختراعها دون رب الارباب وهي غير عالمة بتفصيل
ما يصدر منها من الاكتساب هيهات هيهات ذلت المخلوقات على خالق
المصنوعات انتهى فالايمان بالقدر هو التصديق بان ما قدره الله في ازله
لا بد من وقوعه وما لم يقدره يستحيل وقوعه فكل حادث في العالم فعله وخلقه و
اختراعه لا خالق سواه ولا محدث الا اياه خلق الخلق وصنعتهم واوجد قدرتهم
وحركتهم قال تعالى خالق كل شيء والله خلقكم وما تعملون وما تشاؤن الا ان
يشاء الله وفي صحيح مسلم عن عمران بن حصين مرفوعا قال كان الله ولم يكن
قبله كتب في الذكر كل شيء ثم خلق الله السموات والارض ثم ان الله خلق الخلق
على ما علم منهم وعلى ما قدره عليهم قال تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر اي
بحسب ما قدرنا قبل ان نخلقه وعن انس مرفوعا من لم يرض بقضائي
فليطلب ربا سوائي ثم القضاء هو الحكم بنظام جميع الموجودات على ترتيب
خاص في ام الكتاب اولا ثم في اللوح المحفوظ ثانيا على سبيل الاجمال
واما القدر فهو تعلق الارادة بالاشياء في اوقاتها وهو تفصيل قضائه
السابق بايجادها في المواد الخارجية المسماة بلوح المحو والاثبات كما
يسمى الكتاب بلوح القضاء واللوح المحفوظ بلوح القدر في وجه هذا
تحقيق كلام القاضي البيضاوي فذكر القدر دون القضاء من باب الاكتفاء
او لكون الايمان بالقدر مستلزما للايمان بالقضاء ولعل الاوجه ان
يقال انما اختار لفظ القدر لقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر وقوله
وكان امر الله قدرا مقدورا وذكر الراغب ان القدر هو التقدير والقضاء
هو التفصيل فهو اخص وقد قال ابو عبيدة لعمر رضي الله عنهما حين اراد
ان لا يدخل في الشام وقت الطاعون اتفر من القضاء فقال افر من
قضاء الله الى قدره اي القدر ما لم يكن قضاء فمرجو ان يدفعه الله فاذا
قضي فلا وقيل القدر التقدير والقضاء الخلق قال الجزري في النهاية
القضاء والقدر امران متلازمان لا ينفك احدهما عن الآخر لان احدهما

مطلب

بمنزلة الاساس والآخر بمنزلة البناء وقال بعضهم مثل هوا بان القدر ما
اعدّ للبس والقضاء بمنزلة اللبس ويؤيده ما ذكره الحكيم الترمذي انه كان
في البدء علم ثم ذكر ثم مشيئة ثم تدبير ثم تقدير ثم اثبات في اللوح ثم ارادة
ثم قضاء فاذا قال كن فيكون على الهيئة التي علم فذكر ثم شاء فدبّر ثم قدّر
ثم اثبت ثم قضى فيعلم منه ان ما من شيء حيث استقام في العلم الازلي الى ان
استقر في اللوح ثم استبان في عالم الوجود الا يتعلق به امور من الله سبحانه
وقال بعض العارفين ان القدر كتقدير النقاش الصورة في ذهنه والقضاء
كرسمه تلك الصورة للتلميذ بالاسرب ووضع التلميذ الصبغ عليها متبعا رسم
الاستاد هو الكسب والاختيار الجزئي وهو في اختياره لا يخرج عن رسم الاستاد
كذلك العبد في اختياره لا يمكنه الخروج عن القضاء والقدر ولكنه متردد
بينهما فتدبّر لتعلم ان لكل نعمة منه فضل وعدل لا يسأل عما يفعل وهم
يسألون وهو اعلم باحوال خلقه منهم قال تعالى هو اعلم بكم اذ انشأكم من
الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم وقال عز وجل هو الذي خلقكم
فمنكم كافر ومنكم مؤمن اذ لا يكفر احد بخالقه لقوله تعالى ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله فالمعنى فمنكم من هو كافر في علمه
ومنكم من هو مؤمن في علمه كما في حديث خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالي
وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالي ومن ثم قال بعض العلماء يجب السكوت
عن كيف في صفاته وعن لم في افعاله ثم اعلم ان الايمان بالقدر على
قسمين احدهما الايمان بانه استولى علمه بفعل عبيده من خير وشر
وما يجازون عليه وانه كتب ذلك عنده وامضاه وان اعمال العباد
يجري على ما سبق في علمه وكتبه وثانيهما انه تعالى خلق افعال عباده
كلها من خير وشر ونفع وضر وايمان وكفر وطاعة ومعصية وهذا القسم
ينكره القدرية والاول لا ينكره منهم الا قليلون وكفرهم بانكاره
كثيرون ومحل الخلاف حيث لم ينكروا العلم القديم والا كفروا كما نص
عليه الشافعي واحمد وغيرهما ثم الخير ما يصلح به حال الرجل او ما يرغب

فيه

فيه الكل والشر بخلافه وكل منهما اما مطلق لم يزل مرغوبا فيه كالعلم او عنه
كالجهل او مقيد يكون بالنسبة الى احد خيرا والى آخر شرا كالمال وكما ان
الخير ضربان اخروية وهي النجاة عن العقوبة ودخول الجنة ثم مشاهدة
الجمال الصمدية ودنيوية وهي اربعة نفسانية وهي الايمان والعرفان
وحسن الخلق والحكمة والعفة والشجاعة والعدالة وجسمانية وهي الصحة
وحسن الصورة وطول العمر والعبادة وخارجية وهي المال والجاه والاهل
والنسب كذلك الشر على هذه الرتب ثم اعلم بان الايمان بالقدر
يستلزم العلم بتوحيد ذات الحق لان اثبات المقدورات واحكامها الم
المختلفة على ما هو ازمنة وامكنة مخصوصة يدل على توحد الحكم بتقديرها
المقتضي لتوحد المقدر لها ويستلزم ايضا العلم بصفاته كسعة علمه ورحمته
على العالمين واثار قدرته وانوار حكمته للمخلوقين ونفوذ قضائه فيهم
مطيعين او مكرهين والعلم بجمال صنعه وافعال العلية وان الحوادث
مستندة الى الاسباب الالهية فيعلم ان الحذر لا يقطع القدر وقال
بعض العارفين ان قدر وجود الكائنات بمظاهر تجلي الاسماء
والصفات فكل ذرة من الذرات لسان ملكوتي ناطق بالتسبيح والتحميد
والتهليل والتمجيد تنزيها لله وحمدا له على من مظهريتها للصفات الجمالية
والنعوت الجلالية فالاشياء كلها مقادير لاسماء الله وصفاته دون
ذاته فانه لا يسعها الا قلب المؤمن المنور بتجلياته ففي الكلام الانسي
والحديث القدسي لا يسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي
المؤمن ولذا قيل القلب عرش الرب وقال ابو يزيد قدس سره
لو وقع العالم الف الف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف ما احس
ولعل من هنا قيل ان الانسان هو العالم الاكبر فتدبّر ولا تنظر بعين الحقارة
الى الاصغر والاكبر وقد كتب الحسن البصري الى الحسن بن علي رضي الله
عنهما يسأله عن القضاء والقدر فكتب اليه الحسن بن علي من لم يؤمن بقضاء
الله وقدره خيره وشره فقد كفر نسأل الله العافية ومن حمل دينه على

ربه فقد نجى وان الله تعالى لا يطاع استكراها ولا يعصى بغلبة لانه تعالى مالك
لما ملكهم والقادر على ما اقدرهم عليه فان عملوا بالطاعة لم يحل بينهم وبين
ما عملوا وان عملوا بالمعصية فلو شاء لحال بينهم وبين ما عملوا فان لم يفعل
فليس هو الذي جبرهم على ذلك ولو جبر الله تعالى الخلق على الطاعة
لاسقط عنهم الثواب ولو اجبرهم على المعصية لاسقط عنهم العقاب
ولو اهملهم كان ذلك عجزا في القدرة لكن له فيهم المشية التي غيبها
عنهم فان عملوا بالطاعة فله المنة عليهم وان عملوا بالمعصية فله الحجة عليهم
والسلام قال صدقت قيل يؤخذ من هذا الحديث تكفير القدرية بانكار
القدر لانه جعل الايمان به من جملة اركان الدين التي يكفر منكر واحد منها
ويشهد له تبرية بن عمر منهم وخبر القدرية مجوس هذه الامة والاشبه
عدم كفرهم لتعارض شبه عندهم فلهم نوع عذر انتهى والمختار الذي عليه
جمهور المتكلمين والفقهاء من اتباع المجتهدين انه لا يكفر احد من اهل القبلة
الا بانكار ما كان من ضروريات الدين كفناء العالم وحشر الاجساد
في المعاد وعلمه تعالى بالجزئيات والكليات وبخلاف ما اذا لم يكن
من ضرورياته كقول المعتزلة ان الشر مراد له سبحانه وان القران مخلوق
وامثاله الا اذا اريد بالمخلوق المختلق فان قائله حينئذ يكفر بلا خلاف
وذلك التفصيل لان الجهل به تعالى من بعض الوجوه ليس بكفر هذا واعلم
ان الايمان لا يشترط فيه الاستدلال والبرهان بل يكفي اعتقاد جازم
في ذلك العرفان اذ المختار الذي عليه السلف والائمة الاربعة واتباعهم
من الخلف صحة ايمان المقلد واما القول بنفي الصحة عن الاشعري امام السنة
فكذب عليه كما قاله الاستاذ ابو القاسم القشيري وايضا لما فتح الصحابة
رضي الله عنهم اكثر العجم قبلوا ايمان عوامهم كاجلاف العرب في افواههم
وان كان بعضهم تحت السيف او اسلم تبعا لكبيره ولم يامروا احدا اسلم
ترديد نظره ولم يسالوه عن دليل تصديقه واما خلاف الباقلاني والاسفرايني
وابي المعالي فمبني على المتابعة لما ابتدعه المعتزلة ومن الهذيان انه يشترط

لصحة

مطلب علم كلام

لصحة الايمان ما لم يعرفه هؤلاء الايمان وهم افهم من فهموا عن الله واخذوا
عن رسوله واتبعوا سنته وطريقته وبلغوا شريعته واما البراهين التي
حررها المتكلمون ورتبها الجدليون فانما احدثه المتأخرون ولم يخض
في شيء منها السلف الصالحون ومن ثم اختار الغزالي وغيره ان الذين
لا اهلية فيهم لفهمها انهم لا يخوضون فيها اي يحرم ذلك عليهم مخافة
ان يقعوا في شبهة لا يمكن ازالتها عنهم ولذا قال الشافعي لان القى الله
بجميع المعاصي ما عدا الكفر اهون علي من ان القاه بشيء من علم الكلام وهذا مع
انه يقل ان يرى مقلد في الايمان بالله سبحانه لانا نجد كلام العوام محشوا
بالاستدلال في مقام المرام واما ما نقل بعضهم من ان الاجماع على ان
المقلد بترك الاستدلال فمحمول على الاستدلال بالايات المنصوبة في
الافاق والانفس واختلاف الاحوال التي هي ظاهرة عند ارباب
الكمال بل واضحة عند الكفار والجهال اما ترى قوله تعالى ولئن سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله وقالت رسلهم افي الله شك
فاطر السموات والارض ثم ان جمعا من الحنفية ذهبوا الى ان الايمان
غير مخلوق وبالغ جمع منهم فكفر من قال بخلقه ولعله مبني على ان التصديق
لم يحصل الا بالتوفيق او بما اثبت الله في مقام التحقيق كما قال تعالى
اولئك كتب في قلوبهم الايمان وانما ينسب الى العبد اسنادا مجازيا
حيث دخل تحت كسبه ما يسمى اختيارا جزئيا فيكون نظير قوله تعالى
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فالايمان من حيث انه فعل الله
غير مخلوق بل هو فضل وهبي ومن حيث انه تحت اكتساب قلب العبد
فهو امر كسبي وهذا قريب من اصطلاحات الصوفية في مقام الجمع والتفرقة
وهذا القول ما انفرد به ابو حنيفة من السلف الصالحين بل نقله الاشعري
عن احمد وجماعة من المحدثين ومال اليه لكن وجهه بان المراد بالايمان
حينئذ ما دل عليه وصفه تعالى بالمؤمن فان ايمانه هو تصديقه في الازل بكلامه
القديم بوجوده ووحدانيته بخلاف تصديقه لرسوله باظهار المعجزة فانه من صفات

الافعال كالخالقية والرازقية فان الاشعرية ردوا ذلك الى صفة القدرة
وهي حادثة عند الاشاعرة اي باعتبار ظهور الخلق وتعلق الرزق
قديمة عند الماتريدية انتهى ولا يخفى بعدهم عن قصد هذا المعنى لان ما دل
عليه وصفه تعالى بالمؤمن فهو غير مخلوق قطعا ثم الايمان باق حكما شرعا
مع النوم والغفلة والاغماء والجنون وغلبة الحال ونظير ذلك بقاء حكم
النكاح ونحوه من العقود في هذه الاحوال هذا وقد منع جماعة من العلماء
الاعلام ومنهم ابو حنيفة واصحابه الكرام ان لا يقول انا احدا انا مؤمن
ان شاء الله واجازه كثير ومن قال السبكي وهم اكثر السلف من الصحابة
والتابعين ومن بعدهم من الشافعية والمالكية والحنابلة ومن المتكلمين
الاشاعرة وهو قول سفيان الثوري وقال المص وفي شرح مسلم
عن اكثر اصحابنا المتكلمين انه لا يقول انا مؤمن مقتصرا عليه بل يضم اليه
ان شاء الله وعن الاوزاعي وغيره التخيير وهو حسن اذ من اطلق نظر الى
انه جازم في الحال ومن قال ان شاء الله اما للتبرك او للجهل بخاتمة
الاعمال قال ابن حجر ووجه جوازه انه ليس القصد بالاستثناء فيه الا التبرك
اتباعا لقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فانه
يعم طلب الاستثناء حتى في قطعي الحصول وقد صرح به فيه لتدخلن المسجد
الحرام ان شاء الله مع انه خبره تعالى قطعي الحصول تعليما للعباد في
صرف الامور كلها الى مشيته انتهى ولا يخفى انه خلط بين الاستثناء
بالتعليق المستفاد وهو ما لا يخالف فيه احد من ارباب الكمال وبين
الاستثناء للتبرك الذي يقال في قطعي الحصول كما في الاية الثانية اجماعا بانه
لا يجب عليه شيء من الافعال وانما الكلام في ما يكون اوجهين متحقق في
الحال وقابل للزوال في الاستقبال وان الاولى ما ذا من الاقوال و
والظاهر انه لا يستثنى فيكون الجواب على طبق السؤال اذ السائل
ما قصد بسؤاله الا اتصافه بالايمان في زمان الحال اذ من المعلوم انه
لم يطلع على المآل وكذا لا يحسن الاستثناء عرفا في قطعي الوقوع

اصل

اصلا لانه اذا سئل انت مكي او مدني او جائع او عاطش او شاب او طويل
لا يقال ان شاء الله وكذا اذا سئل ان الرب واحد او محمد نبي فلا يقال
نعم ان شاء الله لانه يحصل التردد في تصديقه والشك في تحقيقه ولذا
قيل في توجيه منعه ان تركه ابعد من التهمة بعد الجزم في الحال وبتقدير
انه قصد غير التعليق فربما اعتادت نفسه التردد في الايمان لكثرة
اشعار النفس بواسطة الاستثناء بترددها في ثبوت الايمان واستمراره
انتهى واجاب عنه ابن حجر بما لا طائل تحته فتدبر ولعل ما صدر من الاستثناء
عن بعض السلف مبني على كثرة خوفه ان لا يكون داخلا في المنافقين حيث
قال تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين
وعن ثم البخاري عن ابن ابي مليكة ادركت ثلاثين صحابيا كلهم يخاف النفاق
على نفسه ما منهم من احد يقول في ايمانه على ايمان جبرئيل وميكائيل لان ايمانهما
مقطوع بهما لعصمتهما واما غير المعصوم فهو غير جازم الا بحسب الظاهر لانه
تحقق السابقة واللاحقة غير معلوم الا عند المطلع على السرائر ولذا لما سئل
ابو يزيد لحيتك احسن او ذنب الكلب فقال ان مت على الايمان فهي
احسن منه والا فذنب الحيوان خير منها وعند الشافعي خلاف غريب
في الكافر فقال بعضهم يقال هو كافر ولا يقال ان شاء الله ومنهم من يقول
هو كافر ان شاء الله قال فاخبرني عن الاحسان اي في الايقان
باعمال الاركان او المراد به ايقان الاسلام والايمان او الاخلاص فانه
غاية الاستحسان حيث قيل الاخلاص تصفية العمل عوض وكسب غرض وطلبه
عن رياء وسمعة ولو طرا او عوض وابعد ابن حجر حيث قال ال فيه للعهد الذهني
المذكور في الايات الكثيرة من القران نحو للذين احسنوا الحسنى وهل جزاء
الاحسان الا الاحسان انتهى ولا يخفى ان المراد بالحديث المعنى الاخص
من افراد الاحسان كما لا يخفى على ارباب العرفان وكما سياتي في جواب
جبرئيل ما يكون شافيا كافيا في ميدان البيان ودالا على انه اراد به مقام
المشاهدة او المراقبة على التنزل في الامكان قال ان تعبد الله كانك تراه

يعني في غاية الخضوع ونهاية الخشوع كما يقتضيه مقام الادب عند شهود
الرب والمعنى حال كونك مشتبها بمن ينظر الى الله ولم يلتفت الى ما سواه
فيكون فانيا عن نفسه باقيا ببقاء مولاه وهذا في جواهر الكلم فان العبد
اذا قام بين يدي سيده معاينا له وفي حضرته لم يترك شيئا من التحسين
عملا في خدمته مما قدر عليه في حالته وهذا المعنى موجود في عبادة العبد مع
عدم رؤية الله فينبغي ان يعمل بمقتضاه فان لم تكن تراه فانه يراك
اي فكن بحيث انه يراك او فلا تغفل في العمل فانه يراك ففيه الحث
على الاخلاص في الاعمال ومراقبة العبد ربه في جميع الاحوال قال القشيري
ولم يتم المراقبة الا بعد تحقق المحاباة وقال بعض العارفين الاول اشارة
الى مقام المكاشفة ومعناه اخلاص العبودية عن رؤية الغير المعبر عنها
بالاثنينية بمعنى ادراك القلب عيان جمال ذات الرب والثاني
في مقام المراقبة في الاجلال وحصول الحياء من العلم باطلاع ذي الجلال
وهاتان الحالتان من ثمرة معرفة الله وخشيته ولذا جاء في خبر ان تخشى
الله كانك تراه فعبر بالخشية عن العمل مجازا عن المسبب باسم السبب
اذ حالة الخشية اعم من حالة العبادة فينبغي ان يكون الكل دائما على
ذلك المنوال فانه مقام الكمال ولا يبعد ان يقال معنى تعبد الله
يكون عبدا له في جميع الاحوال مع صفة الخشية في الحال والمآل لتنال
حسن المقال وقد سئل ابن عطاء ما افضل الطاعات فقال مراقبة الله
على دوام الاوقات والحاصل ان الخلق يراقبون ظاهرك والله
رقيب باطنك هذا وليس معناه فان لم تكن تعبد الله كانك تراه
فاعبده كانه يراك فانه خطاء بين لا يخفى على ذوي الادراك واما ما توهمه
بعض الصوفية من ان المعنى فان لم يكن بان تكون فانيا تراه باقيا فلا يصح
اثبات الالف في تراه مع عدم ملائمته بما بعده من قوله فانه يراك وانما
لم يقل صدقت ههنا لان الاحسان هو الاخلاص وهو سر من اسرار الله
تعالى لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل كما جاء في الحديث المسلسل

الرباني الاخلاص سر من اسراري استودعته قلب من احببت من عبادي
كذا قيل وفيه بحث ظاهر فالاولى ان يقال انه سقط عن بعض الرواة
نسيانا واختصارا لانه في بعض الروايات صحيح مسلم وشرح السنة مسطور
واما ما وقع في شرح ابن حجر هنا من قوله قال صدقت فلا يوجد في اصل
من الاصول المعتمدة ولا في نسخة من الشروح المعتبرة نعم رواه الترمذي
في جامعه وفيه صدقت في المواضع الثلاثة وقيل النكتة في تركه ههنا الحج
من الرواية انه لما صدقه في البعض علموا التصديق له في الباقي واما ما قيل
من ان في الحديث دلالة على ان رؤيته تعالى في الدنيا ممكنة فمردود عليه
فان كاف التشبيه في المبنى يمنع عن ارادة هذا المعنى واما تقرير ابن حجر قوله
وتقييده بقوله وامكانها في الدنيا عقلا هو الحق ففيه انه ليس الكلام
في الامكان العقلي والحديث الذي هو المعتمد في الدليل النقلي يشير الى
انه لا يمكن في الدنيا بل انه مختص تحققه بالعقبى نعم جزاء هذا الاحسان
الذي هو المشاهدة والمراقبة ليس الا الاحسان في الجنة بالرؤية
والزلفة كما اشير اليه قوله هل جزاء الاحسان الا الاحسان
قال فاخبرني عن الساعة اي عن قيام الساعة كما صرح به في رواية
مسلم اي وقت وقوع القيامة وهي جزء من اجزاء الازمنة عبر بها عنها
وان طال زمنها اعتبارا باوائلها فانها تقع بغتة او لسرعة حسابها
او على العكس لطولها وهذا باختلاف احوال اهلها او لانها عند الحق كساعة
عند الخلق وليس المراد بها الساعة المتعارفة عند اهل الهيئة وهي جزء من
اربعة وعشرين جزء من اجزاء الليل والنهار ثم انها كما تطلق على القيمة وهي
الساعة الكبرى تطلق على موت اهل القرن الواحد من المدن والقرى و
يسمى الساعة الوسطى كما في قوله صلى الله عليه وسلم حين سألوه عن
الساعة فاشار الى اصغرهم ان يعيش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم
ساعتكم اذ المراد به انقضاء عصرهم ولذا اضاف اليهم وعلى موت
كل واحد وهي الساعة الكبرى قدرا وبها القيمة كما هنا وهي بالنفخة الثانية

وقد يراد بها النفخة الاولى فانها ايضا تقع بغتة في ساعة واحدة حتى
ان متناول لقمة لا يقدر على بلعها وهو المراد بقوله تعالى فهل ينظرون الا
الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها قال ما المسؤول عنها اي عن
الساعة والعائد الى اللام هو المستتر فيه اذ يقال سألت المسألة عن
زيد وسألت عنها زيدا اي ليس الذي سئل عن الساعة باعلم من السائل
اي عنها نفى ان يكون صالحا لان يسأل عنه في امر الساعة لانها من مفاتيح
الغيب لا يعلمها الا هو على سبيل الكناية لما عرف ان المسؤول عنه يجب
ان يكون اعلم من السائل فلا يقال لا يلزم من نفي الاعلمية نفي اصل علمهما
مع انهما متساويان في عدم العلم بها وسياق الكلام يقتضي ان يقول لست
اعلم بعلم الساعة منك لكنه عدل عنه ليفيد العموم لان المعنى كل سائل
ومسؤول متساويان في هذا الامر المجهول هذا خلاصة ما حققه الطيبي
فان قلت فلم سأل جبريل عنها مع علمه بانه غير عالم بها فالجواب انه لتنبيههم
بذلك على انه ليس له الجواب عما لا علم له به في هذا الباب وعلى عدم الاستنكاف
من قول لا ادري الذي هو نصف العلم فتم العلم على الوجه الاحكم والله اعلم
وقد روي عن علي كرم الله وجهه وابردها على كبدي اذا سئلت عما لا اعلم
ان اقول لا اعلم وقال بعض السلف اذا اخطأ العالم فقال لا ادري
فقد اصيبت مقاتله وقد قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا ويقول
الرسل لا علم لنا وسئل النبي صلى الله عليه وسلم اي بقاع الارض افضل
فقال لا ادري حتى اسأل جبريل فسأله فقال لا ادري حتى اسأل الله
ثم ذهب فاتاه جبريل فقال ان الله عز وجل يخبرك ان خير بقاع الارض
المساجد وشر بقاعها الاسواق رواه البزار وسأل النبي صلى الله عليه وسلم
جبريل عليه السلام عن معنى قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن
الجاهلين فقال لا ادري ثم ذهب فجاءه فقال ان الله يأمرك ان
تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وسئل مالك
عن اربعين مسألة فاجاب في اربعة وقال في ست وثلاثين لا ادري

قال فاخبرني عن اماراتها بفتح الهمزة اي علاماتها ويقال امارة
بلا ها لغتان لكن الرواية بالها قال المصنف وفي نسخة عن امارتها فاوردها
واراد جنسها اي علاماتها الدالة على اقترابها قال ان تلد الامة ربتها
اي سيدتها او سيدها وفي رواية بعلها بمعنى ربها ومنه قوله تعالى اتدعون
بعلا والتذكير باعتبار الشخص فيشمل جنس ولدها ولذا قيل المعنى مالكها
ومولاها لاجل انها سبب عتقها او مولاها بعد سيدها وعدم تأنيثها لاجل
الادب مع الله سبحانه وهذا اشارة الى قوة الاسلام والمسلمين واستيلائهم
على الكفرة والمشركين فتكثر السراري حتى تلد السرية بنت سيدها وهي
في حكم سيدها وهي من علامات القيمة لان بلوغ الغاية منذر بالانحطاط
المؤذن بقيام الساعة وقيل اشارة الى كثرة السراري لفساد الزمان
وفسق اهلها حتى يستعبد المرء امه جاهلا بحالها وقيل عبارة عن كثرة
العقوق واضاعة الحقوق فيعامل الولد امه معاملة السيد امته من المهنة
والمهانة ويلائمه رواية ان تلد المرأة وخبر لا تقوم الساعة حتى يكون الولد
غيظا والمطر قيظا او كناية عن كثرة بيع السراري حتى تزوج الانسان
امه وهو لا يدري ويناسبه بعلها بمعنى زوجها والتحقيق ما ذكره الطيبي من انه
اشارة الى ان الاعزة تصير اذلة لان الام مربية للولد ومدبرة لامره فاذا
صار الولد ربا سيما اذا كان بنتا ينقلب الامر كما ان القرينة الاخرى
تدل على عكس هذه القضية وهي ان الاذلة ينقلبون اعزة فقيل انهم المعطوفا
انتهى ويؤيده ما ورد من انه اذا ضيعت الامانة ووسد الامر الى غير اهله
فانتظر الساعة قال المؤلف قوله ربتها اي سيدتها ومعناه ان يكثر السراري
حتى تلد الامة السرية بنتا لسيدها وبنت السيد في معنى السيد وقيل
يكثر بيع السراري حتى يشتري المرأة امها وتستعبدها جاهلة بانها امها وغير
ذلك وقد اوضحته في شرح مسلم بدلائله وجميع طرقه وان ترى اي تبصر او
تعلم خطاب عام ليدل على بلوغ الخطب مبلغا لا يختص به رؤية راء دون
غيره الحفاة بضم الحاء جمع حاف وهو من لا نعل في رجله العراة بضم اوله

جمع عار وهو من لا شيء على جسده كذا ذكره ابن حجر والظاهر ان المراد بهم العراة
العرفية وهم الذين ليس لهم ما عدا ستر العورة العالة بتخفيف اللام اي الفقراء
واصله عولة بفتحتين جمع عائل من عال افتقر ومنه قوله تعالى ووجدك عائلا
فاغنى قال المص قوله العالة اي الفقراء ومعناه اسافل الناس بصيغة من اهل
ثروة ظاهرة رعاء الشاء بكسر الراء وبالالف الممدودة جمع راع والشاء اسم
جنس للشاة والمعنى حفاظ الغنم وفي رواية لمسلم رعاء البهم بضم الموحدة
جمع بهمة بفتحها صغار الضان والمعز وفيه غاية التحقير لحالهم وفي اخرى للبخاري
رعاء الابل البهم بضم اوله جمع بهيم بمعنى الاسود الصرف على انه نعت للمضاف
او المضاف اليه فان قيل القضية متحدة لا متعددة فكيف الجمع بين الروايات
المختلفة فالجواب انه صلى الله عليه وسلم جمع بينها فنقل كل راو ما ثبت
عنده حفظها او حدث الاختلاف بسبب نقل المعنى عند نسيان المبنى او
بتداخل الروايات في المستندات يتطاولون في البنيان يتفاضلون في رفعه و
يتفاخرون في حسنه وهو مفعول ثان ان جعلت الرؤية فعل البصيرة
او حال ان جعلتها فعل الباصرة والمعنى ان اهل البادية واشباههم من
اهل الفاقة تبسط لهم الدنيا فيستوطنون البلاد ويبنون القصور المرتفعة
ويباهون العباد فهو اشارة الى تغلب الارذال وتذلل ارباب الكمال
وتولي الرياسة من لا يستحقها وتعاطي السياسة من لا يحسنها ومن ثم صح
من اشراط الساعة ان توضع الاخيار وترفع الاشرار وصح ايضا في الاخبار
لا تقوم الساعة حتى يكون اسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع اي اللئيم بن اللئيم
وبالغ في رواية في تحقيرهم فوصفهم بانهم صم بكم اي جهلا لا يسمعون كلام الحق
ولا يتكلمون بالصدق ولعل تخصيص الامارتين من بين الامارات مع كثرة
العلامات لما ورد في الروايات بجلالة خطرهما ونباهة شانهما وقرب وقوعهما
ثم انطلق اي ذهب الرجل فلبثت اي مكثت وتوقفت لا ادري من
الرجل مليا بفتح فكسر فتشديد تحتية اي وقتا طويلا وهو ثلاثة ايام كما في رواية
ابي الدرداء والترمذي قال المؤلف قوله مليا هو بتشديد الياء زمانا كثيرا

وكان

وكان ذلك ثلاثا هكذا جاء مبينا في رواية ابي داود والترمذي وغيرهما
انتهى وهو مخالف لرواية ابي هريرة من انه صلى الله عليه وسلم ذكره في المجلس
اللهم الا ان يقال ان عمر لم يحضر في الحال بل قام فاخبر الصحابة ثم اخبر
عمر بعد ثلاثة ذكره في شرح مسلم على ما نقل بعض الشراح وخبر ابي هريرة هو قوله
فادبر الرجل فقال صلى الله عليه وسلم ردوه فاخذوا ليردوه فلم يروا
شيئا فقال هذا جبريل الحديث وقال ابن حجر وفي رواية ابي داود
والترمذي وغيرهما انه لبث ثلاثا وظاهرها انها ثلاث ليال انتهى وهو مخالف
لما نقل عن شرح مسلم ثم ان جعل لبث في حديث الاربعين اصلا ثم قال وفي
رواية فلبثت اخبارا عن نفسه وهو مخالف لما عليه النسخ المصححة اذ
كلها بلفظ المتكلم ثم رايت في شرح الفاكهاني قال الشيخ محي الدين هكذا
ضبطناه لبث اخره ثاء مثلثة من غير تاء وفي كثير من الاصول المحققة لبثت
بزيادة تاء المتكلم وكلاهما صحيح انتهى ولا يخفى انه يشير الى ان ضبطه مخالف
لسائر الاصول كما هو مستقيم ولعله اعتمد في اربعينه هذا على ما اتفقوا
عليه لا انه اصح مبنى واوضح معنى واما لبث بصيغة الماضي الغائب فيحتاج
الى تكلف بان يقال فيه التفات او ضميره الى جبريل او النبي صلى الله عليه وسلم
والكل بعيد فالاولى نقل السيد ثم قال اي النبي صلى الله عليه وسلم
يا عمر اتدري من السائل قلت الله ورسوله اعلم لان الامارات
السابقة والتعجب في الحالة اللاحقة اوقعه في التردد اهو بشر ام ملك
وهذا القدر يكفينا ان النكتة على ان اسم التفضيل كثيرا اريد به اصل الفعل
مع ما يقتضيه مقام الادب من التفويض الى علم الرب ثم الى علم رسوله
المستمد بالرب اي حقيقة سؤاله وحقيقة ما سواه فان من ادب التلميذ اذا ساله
استاذه عن شيء يعلم ان يقول في جوابه انت اعلم فان سماع الحكم من لسان
المعلم اعلى واحكم قال فانه جبريل جزاء شرط مقدر اي اذا فوضتم
العلم الى الله ورسوله وراعيتم الادب في جواب سؤاله فان ذلك الرجل
جبريل على تاويل الاخبار اي تفويضكم ذلك سبب الاخبار بانه جبريل

هنالك وقرينة المحذوف قوله الله ورسوله اعلم فالفاء فصيحة لانها تفصح عن
شرط مقدر فتدبر ووقع في اصل ابن حجر قال هذا جبرئيل وهو مخالف
للاصول المعتمدة ومتون الشروح المعتبرة ومع كونه ليس من الرواية لا وجه له
من جهة الدراية ثم اعلم ان جبرئيل بكسر الجيم والراء اشهر الروايات واكثر
القراءات ومنها فتح الجيم وكسر الراء ومنها فتحهما مع زيادة همزة بعد الراء وبدونها
اتاكم جاءكم قيل كان ذلك قبل موته عليه السلام بشهر يعلمكم دينكم وفي
رواية ابن حبان يعلمكم امر دينكم اي ليقرر امر دينكم بطريق السؤال والجواب
ليتمكن في النفوس اشد التمكن في مقام الصواب لان الحصول بعد
الطلب اعز من المنساق من غير التعب واشار الى ان الاسلام والايمان
والاحسان هو الدين الكامل من بين الاديان هذا وجبرئيل ملك متوسط
بين الله ورسوله ومن خواص الملك ان يتمثل البشر فيراه حسا قاله البيضاوي
وقال بعض المحققين والسر في التوسط ان المكالمة يقتضي المناسبة بين
المخاطبين فاقتضت الحكمة توسط جبرئيل ليتلقف الوحي بوجهه الذي
في عالم القدرة من الله سبحانه تلقفا روحانيا او من اللوح ويلقيه بوجهه
الذي في عالم الحكمة الى صاحب النبوة فربما ينزل الملك الى الصورة
البشرية وربما يرتقي النبي الى الرتبة الملكية ويتعرى عن الكسوة البشرية فيرد وحي
الرب على القلب في لبسة الجلال وابهة الكبرياء ويأخذ بمجامعه فاذا سري
عنه وجد المنزل يلقى في الروع كأنه المسموع وهذا معنى قوله يأتيني مثل صلصلة
الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لي الملك
رجلا فيكلمني فاعي ما يقول رواه مسلم ورواه البخاري ايضا في كتاب
الزكوة مع تغيير يسير لان ظاهر رواية البخاري انه لم يعرفه الا في اخر
الامر ورد ما جاءني في صورة لم اعرفها الا في هذه المرة وفي حديث
صحيح لابن حبان والذي نفسي بيده ما شبه علي منذ اتاني قبل مرتي
هذه وما عرفته حتى ولى ثم لم يخرج البخاري عن عمر فيه شيئا وانما اخرج
هو ومسلم عن ابي هريرة نحوه فالحديث متفق عليه وكان الاولى ان المصنف

يذكر

يذكر ما اتفقا عن ابي هريرة والله اعلم بالقصد في هذا المبنى وهذا الحديث متفق
على موضع عظم موقعه وجلالته وكاد ان يكون مدار الاسلام عليه وهو حقيق
بان يسمى ام السنة كما سميت الفاتحة ام القران لتضمنها جمل المعاني المندرجة في مقصد
المباني ومن ثم قيل لو لم يكن في هذه الاربعين بل في سنن سيد المرسلين غيره
لكان كافيا باحكام الشريعة وشافيا لقواعد الطريقة والحقيقة والله سبحانه
اعلم قال ابراهيم الخواص ليس العلم بكثرة الرواية وانما العالم من اتبع العلم
وبه استعمل واقتدى بالسنة وان كان قليل العلم

الحديث الثالث

عن ابي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما توفي
بمكة وهو ابن اربع وثمانين بعد ابن الزبير بثلاثة اشهر وقبره غير معروف
قال ابن سيرين كانوا يرون انه اعلم الناس بالمناسك بعد ابن عفان
وقال ابو اسحاق الهمداني كنا عند ابن ابي ليلى في بيته فجاء ابو سلمة بن
عبد الرحمن فقال عمر كان عندكم افضل ام ابنه فقالوا الا بل عمر فقال
ابو سلمة ان عمر كان في زمانه نظراء وان ابن عمر كان في زمانه ليس له نظير
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم الف حديث وستمائة وثلاثين حديثا
كان واسع العلم كثير الاتباع وافر الصلاح كثير الزهد في الدنيا اعتزل
الفتنة فلم يقاتل مع علي ولا مع معاوية ورعا ثم لما بانت الفئة الباغية
ندم على عدم قتاله مع علي كرم الله وجهه قيل وذكر له الخلافة يوم التحكيم
فقال بشرط ان لا يجري محجم دم فروي عنه عمرو بن العاص لما راى
انه لا يولي شيئا ان استخلف ويكفي من مناقبه ما روته اخته حفصة ام
المؤمنين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان عبد الله رجل صالح لو انه يقوم
الليل فلم يترك قيامه بعد وقال جابر ما منا الا من نال من الدنيا ونالت
منه الا عمر وابنه واولع بالحج ايام الفتنة وبعدها قيل حج ستين حجة واعتمر
الف عمرة وحمل على الف فرس في سبيل الله قال نافع مولاه اعتق الف
رقبة وازيد وكان ارقاؤه يقبلون على الطاعة ويلازمون المسجد والعبادة
ليعتقهم فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له وروي انه

ابن الزناد عن ابيه قال اجتمع في الحجر مصعب وعروة وعبد الله ابناء الزبير وعبد الله بن عمر فقالوا تمنوا فقال عبد الله ابن الزبير اما انا فاتمنى الخلافة وقال عروة اما انا فاتمنى ان يؤخذ عني العلم وقال مصعب اما انا فاتمنى امرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وقال ابن عمر اما انا فاتمنى المغفرة قال فنالوا كلهم ما تمنوا ولعل ابن عمر قد غفر له وسبب موته ان الحجاج سقه عليه حيث قال له ابن عمر بعد ما اخر الصلوة جدا ان الشمس لا ينظرك فقال لقد هممت ان اضرب الذي فيه عيناك فقال له عبد الله ان يفعل فانك سفيه مسلط فتنمر عليه فامر رجلا فسم زج رمحه فزحمه في الطواف ووضع الزج على قدمه فمرض اياما ولما دخل الحجاج يعوده فسأله عن الفاعل فقال وما يصنع به قال قتلني الله ان لم اقتله قال لست بفاعل قال ولم قال لانك الذي امرته به وروي عنه انه قال قتلني الذي امر بادخال السلاح الحرم ولم يدخل به فاوصى ان يدفن في الحل فلم تنفذ هذه الوصية لاجل الحجاج فدفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين وقيل بفخ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جملة حالية بني الاسلام اي اسس الانقياد للشريعة والاستسلام للحقيقة على خمس اي خمس قوائم او دعائم وصرح به عبد الرزاق في رواية او خصال قواعد وفي بعض الروايات على خمسة بالتاء وهي رواية لمسلم اي اركان او اشياء او اصول ويقال انما حذف التاء لان اسماء العدد اذا كان المميز مذكورا اما اذا لم يذكر فيجوز فيها الامران كما صرح به النحاة في قوله تعالى يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اي عشرة ايام وكحديث من صام رمضان واتبعه ستا من شوال كان كمن صام الدهر كله ففي هذا الحديث يجوز من جهة النحو وجود التاء وعدمها شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله بجر الشهادة مع ما بعدها على انه عطف بيان او بدل الكل من الكل وهو الاحسن وقال الكازروني هو الرواية ويجوز رفعه بتقدير مبتداء والخبر عند النحاة اي احدها او بحذف خبر اي منها وهذا اولى لان المختار عند تعارض حذف

[٢] انما يكون تذكيرها بالتاء وتانيثها بسقوط التاء منه

المبتداء

المبتداء والخبر عند النحاة حذف الخبر قال الكافيجي ويجوز النصب بتقدير اعني قال الحسن رضي الله عنه في مجمع شهود جنازة للفرزدق ما اعددت لهذا المقام شهادة ان لا اله الا الله منذ كذا سنة فقال الحسن هذا العمود فاين الاطناب فهو تمثيل شبه الاسلام بخيمة عمودها كلمة التوحيد واطنابها الاعمال الصالحة وفي رواية للبخاري تعليقا ايمان بالله ورسوله وهي اظهر في العمودية اللهم الا ان يقال المراد بالاسلام الايمان وبالخمسة اركان الاسلام فيكون تشبيها للمعقول بالمحسوس لانه اوقع في النفوس فشبه بحالة خباء اقيمت على خمسة اعمدة وقطبها الذي عليه بالاركان سوى الشهادة وبقية شعبه بمنزلة الاوتاد فيكون الايمان مغاير الاركان كمغايرة الخباء للعمود والاوتاد واقام الصلوة اصله اقوام فحذف الواو لنقل حركتها الى ما قبلها وقلبها واجتماع الساكنين عندها وعوض التاء عنها وتركت تخفيفا عند المضاف اليه ليقامه مقامها واما ما قيل من انه مصدر فغير صحيح وكذا ما ذكره ابن حجر من ان حذفها للازدواج خارج عن المنهاج وايتاء الزكوة اي اعطائها مستحقيها وتمليكها اياهم وحج البيت بفتح الحاء وكسرها لغتان مصدران وصوم رمضان هكذا رتبت العبادات كما في سائر الروايات وفي رواية بتقديم الصوم على الحج وهو محمول على ان ابن عمر رضي الله عنهما سمع الحديث مرتين في وقتين وروى بعض الرواة بالمعنى اذ الواو لمجرد الجمع في المبني والا فرمضان فرض في شعبان في السنة الثانية من الهجرة والحج سنة ست او تسع بالمثناة فوق والظاهر ان المراد بهن جميع ما تعبد الناس في ابدانهم واموالهم لان العبادة اما بدنية محضة كالصلوة ومالية محضة كالزكوة او مركبة منهما كالحج او كالاخيرين لدخول التكفير بالمال فيهما واما عدم ذكر الجهاد لانه غالبا فرض كفاية على العباد بل ذهب جماعة كثيرة الى ان فرض الجهاد قد سقط بعد فتح مكة المشرفة على ما صرح به القرطبي وذكر انه مذهب ابن عمر والثوري وابن سيرين الا ان نزل العدو بقوم من العباد وامر الامام

بالجهاد والله اعلم ثم اعلم ان هذا تعريف الاسلام الكامل عند اهل السنة
والجماعة فمن تركها ولو كلها ما عدا الشهادة على خلاف من فيها فهو فاسق
على ما ثبت عند الجمهور من الجمع بين ادلة الكتاب والسنة وخالف احمد
وآخرون فاخذوا بظاهر خبر مسلم بين الرجل وبين الشرك والكفر
ترك الصلوة وحديث من ترك صلوة متعمدا فقد كفر فكفر تاركها
مطلقا سواء استحل تركها او انكر فرضيتها ام لا وبالغ اسحق فقال عليه
اجماع اهل العلم وقال غيره عليه جمهور اهل الحديث واجرت طائفة ذلك
في الاركان الثلثة ايضا وهو رواية عن احمد اختارها طائفة من اصحابه وبعض
المالكية ثم اعلم ان لكل من تلك الاركان احكاما ظاهرية تبين تفاصيلها
في الكتب الفقهية ولها انوار وحقايق واسرار ودقايق ذكرها ارباب
القلوب من الطائفة الصوفية اما التوحيد فسيجي بعض بيانه في محل
اليق بشانه واما الصلوة فقد قيل كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
معراجان في عالم الحس وهو من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم
الى عالم الملكوت ومقام دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى
ومعراج في عالم الارواح والاسرار من الشهادة الى الغيب ومن
الغيب الى غيب الغيب وهكذا الى ان ينتهي الى نور الانوار وروح
الاسرار فلما اراد صلى الله عليه وسلم ان يرجع الى هذا العالم قال
الرب تعالى المسافر اذا عاد الى وطنه اتحف اصحابه وان تحفة امتك
الصلوة الجامعة بين المعراجين الجسماني بالافعال والروحاني بالاذكار
ولذا ورد الصلوة معراج المؤمن فالاركان السبعة وهي القيامان
والركوعان والسجودان والقومة بين الركوع والسجدة على مثال
طباق السبع والقعود للتشهد مطلع شمس الشهود ومنتهى سير
الوجود فاذا وصل الى ذلك المقام وانتهى الى غيبة الجلال الملك
العلام يقول التحيات لله باللسان والصلوات بالاركان والطيبات
بقوة الايمان فعند ذلك تتلاقى ارواحه بروح محمد صلى الله عليه وسلم

فيقول

فيقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فيجيبه بقوله على لسان
اظهار القوة شانه السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فكانه قيل
له في تلك الحالة بم نلت هذه المقامة فقال اشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ثم اتحف محمد امته الصلوة
عليه ثم دعا الله وتضرع اليه ثم سلم على الملائكة الكرام ومن حضره من
الخواص والعوام واما الصوم ففي الطريقة هو الامساك عما حرم الله
على عبده والافطار بما اباح في حكمه وفي الحقيقة هو الامساك عن الاكوان
والافطار بمشاهدة الرحمن والزكوة فهي اشارة الى تزكية احوال الظاهر
والباطن بترك الاقوال وصرفها الى اسباب الوصال وتخلية
القلب عن الاغيار وتجلية الخواطر لظهور تجليات الانوار واما
الحج فهو الاحرام بالخروج عن الرسوم والعادات والتجرد عن المالوفات
والتوجه الى الله بصفاء الطويات والوقوف بعرفات المعرفة والعكوف
الى عتبة جبل الرحمة والتقرب في المزدلفة الى مقام الزلفة ورمي
ما بين يديك من السوى في وصول المنى وقطع تعلق الخلق بالقصر او الحلق
ليحصل محو الاثار النفسية بموس الانوار القدسية ثم الطواف بالخروج
عن الاطوار السبعية بالاشواط السبعية حول كعبة الربوبية والسعي
بين صفا الصفات ومروة المروات وقس عليه سائر المناسك ونعم
در القائل **شعر** يا من الى وجهه حجي ومعتمري ٭ ان حج قوم الى
ترب واحجار ٭ لبيك من قرب ومن بعد ٭ سواء
اضمار او اظهار ٭ رواه البخاري اي في الايمان والتفسير رباعيا
ومسلم في الايمان والحج خماسيا وكذا رواه احمد والترمذي والنسائي

الحديث الرابع عن ابي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
هذلي اسلم قديما حتى روي انه قال سادس ستة ما على وجه الارض مسلم غيرنا
هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة وشهد بدرا والمشاهد كلها وشهد بيعة الرضوان
وصلى بالقبلتين وكان رسول الله يكرمه ويقربه ولا يحجبه وكان ابن مسعود

كثيرا يدخل عليه واذا قام يلبسه نعليه واذا جلس ادخلهما في ذراعيه
وكان يمشي معه وبين يديه ويستره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام وكان
معروفا في الصحابة بانه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وسواكه
ووسادته وطهوره في السفر وروي في بعض طرق حديث العشرة
المبشرة بالجنة انه احدهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقه
رضيت لامتي ما رضي لها ابن ام عبد وسخطت لها ما سخط لها ابن
ام عبد وقال من احب ان يقرا القران غضا كما انزل فليقرا على
قراءة ابن ام عبد وكان رجلا قصيرا نحيفا يكاد قيامه يوازي جلوس
طوال الرجال وقد روي عن علي انه عليه السلام امره يعني ابن مسعود
ان يصعد شجرة فصعد فنظر اصحابه الى حموشة ساقيه فضحكوا فقال
النبي عليه السلام لرجل عبد الله في الميزان اثقل من احد وقال فيه ابو
موسى لا تسالوني ما دام هذا الحبر فيكم ودخل عليه عثمان بن عفان في
مرض موته فقال ما تشتكي قال ذنوبي قال فما تشتهي قال المغفرة قال
الا امر لك بالطبيب قال الطبيب امرضني قال الا تركت لاولادك
فقال اني لا اخشى عليهم الفقر بعد ان علمتهم سورة الواقعة يقرؤونها
كل ليلة توفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين وهو ابن بضع وستين
سنة ودفن بالبقيع روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانمائة
حديث ثمانية واربعين حديثا روى عنه الخلفاء الاربعة وكثير من
من الصحابة ومن بعدهم رضي الله عنهم قال حدثنا اجمل معناه انشاء
خبرا حادثا لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق اي في
اقواله وافعاله واحواله مع الحق المصدوق اي فيما ياتيه من الوحي
المطلق والجمع بينهما للتاكيد وقيل المصدوق فيما وعده سبحانه او المصدوق
بمعنى المصدق والجملة حالية اعتراضية لا حالية لتشمل الاحوال بالكلية
ان احدكم بكسر الهمزة على حكاية لفظه صلى الله عليه وسلم وجزم به المص في
شرح مسلم وجوزه غيره فتحها والخطاب لبني ادم والمعنى ان واحدا منكم

يجمع

يجمع خلقه بصيغة المجهول اي يضم ويحرز مادة خلقه وهو ماء يخلق منه في
بطن امه اي في رحمها اربعين يوما حال كونه نطفة كما في نسخة صحيحة
اي منيا سائلا في مدة الاربعين مجتمعة او متفرقة وهو الاظهر اذ الجمع
انما يكون بعد التفرقة وذلك ان النطفة اذا وقعت في الرحم فاراد الله ان
يخلق منها بشرا طارت في بشرة المراة تحت كل ظفر وشعر ثم تمكث اربعين
ليلة ثم تنزل دما في الرحم فذلك جمعها ووقت كونها علقة وقد روي ذلك
عن ابن مسعود والصحابة اعلم الناس بتفسير ما سمعوه واحق بتاويل ما نقلوه
فليس لمن بعدهم ان يرد عليهم كذا حققه الطيبي وجاء تفسير الجمع بمعنى اخر
عند الطبراني وابن منذر بسند صحيح على شرط الترمذي والنسائي انه
صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى اذا اراد خلق عبده فجامع الرجل المراة
طار ماؤه في كل عرق وعضو منها فاذا كان يوم السابع جمعه الله ثم احضره
كل عرق له دون ادم وفي اي صورة شاء ركبه ويؤيد هذا المعنى قوله
صلى الله عليه وسلم لمن قال ولدت امراتي غلاما اسود لعله نزعه عرق
هذا والخلق في الاصل بمعنى التقدير يستعمل في ايجاد الشيء بمادة وغيرها
فالايجاد بالاسباب والمواد يتعلق بعالم الملك والشهادة وهو مظهر
الحكمة والايجاد بغيرها يتعلق بعالم الملكوت والغيب وهو مظهر
الامر والقدرة فالاشباح لما كانت من عالم الخلق اقتضت المادة
والارواح لما كانت من عالم الامر لم يقتض شيئا من تلك القدرة وهذا
معنى قوله تعالى الا له الخلق والامر ثم قالت الصوفية خصوصية الاربعين
لموافقة تخمير طينة ادم وميقات موسى عليهما السلام وذلك لاختصاصها
بالكمال لتركبها من عشرة واربع ولكل خاصية في الكمال اما الاول فلانها
نهاية الاحاد من غير تكرار واما الثاني فلانه قد استقر كل مستقيم البنيان
على اربعة اركان كالطبايع والفصول الاربعة قال القرطبي وهذا الترتيب
العجيب وان خفيت علينا حكمته فقد لاحت لنا حقيقته وهو انه كذلك
سبق في علمه ونبت في قضائه وحكمه والا فمن الممكن ان يوجد الانواع

الانسان واصناف الحيوان بل وجميع المخلوقات في اسرع من لحظة وايسر
من النطق بلفظة كيف لا وقد سمع السامعون انما قولنا لشيء اذا اردناه ان
نقول له كن فيكون اقول ولعل حكمة التدريج في عالم الاصغر والاكبر نفي
توهم القدم وثبوت تقدم العدم والله اعلم وقال الخطابي الحكمة في
تأخير كل منها اربعين يوما ان يعتاده الرحم لانه لو خلق دفعة واحدة لشق
ذلك على الام ويخاف عليها الغم وايضا فيه اظهار آثار قدرته تعالى واشعار
اكثار نعمته على عبده ليعبدوه ويشكروا له على جميل نعمه وايضا تقلبه
في هذه الاطوار المتباينة تأكيد لامر البعث لان من قدر عليه ابتداء اقدر على
اعادته انتهى بل في العادة ادخل فيها واهون منها هذا في بطن امه متعلق
بيجمع على انه ظرف مكان له وقوله اربعين يوما ظرف زمان له واغرب
الكازروني فيما اغرب حيث قال في بطن امه صفة لخلقه او حال منه
اي مادة لخلقه التي اصله في بطنه او حاصلة وقوله اربعين يوما ظرف لذلك
المقدر فتدبر ثم يكون اي عقب هذه الاربعين يصير خلقه علقة وهي
قطعة دم جامدا وطري وهو الاظهر وسمي بها لانها اذ ذاك تتعلق بالرحم
مثل ذلك اي مقدار الزمن الذي هنالك يعني اربعين يوما او نصفه
على انه صفة لعلقة والاشارة الى خلقه والمعنى علقة مماثلة لخلقه في انهما
يكونان اربعين يوما ثم يكون مضغة اي قطعة لحم قدر ما يمضغ كذا قاله
الشراح والظاهر انه قطعة لحم كانها ممضوغة مثل ذلك واما ما ذكره الفاكهاني
على ما وقع في اصله ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك وفي شرحه فذلك
الاول اشارة الى المحل الذي اجتمعت فيه النطفة وصارت علقة وذلك
الثاني اشارة الى الزمان الذي هو الاربعون وكذا القول في قوله ثم يكون في ذلك
مضغة مثل ذلك فهو مبني على خلاف الاصول المعتمدة من متون هذه الاربعين
ثم الظاهر انه ثم في هذا الحديث وقع موقع الفاء اذ لا مهلة بين الاربعين
واما قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة الآية فقال
البيضاوي واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات انتهى مدفوع بهذا

الحديث

الحديث كما لا يخفى والتحقيق المرجح ما ذكره الرضي من ان افادة الفاء الترتيب
بلا مهلة لا ينافيها كون الثاني المرتب يحصل تمامه في زمان طويل اذا كان
اول اجزائه متعقبا لما تقدم كقوله تعالى خلقناه نطفة في قرار مكين ثم
خلقنا النطفة علقة نظرا الى تمام صيرورتها علقة ثم قال فخلقنا المضغة
عظاما فكسونا العظام لحما نظرا الى ابتداء كل طور ثم قال ثم انشأناه خلقا
آخر اما نظرا الى تمام الطور الاخير واما استبعاد المرتبة هذا الطور الذي
فيه كمال الانسانية عن الاطوار المتقدمة والله سبحانه اعلم ثم اي الطور
الرابع حين يتكمل اجزاؤه وتشكل اعضاؤه يرسل اليه الملك بصيغة
المجهول وفي نسخة بغير اليه وفي اصل ابن حجر تبعا للفاكهاني ثم يرسل
الله الملك وهو مخالف للاصول المحررة نعم ضبط في بعض النسخ بصيغة
المعلوم من غير ذكر الجلالة فرجع الى هذه العبارة مآله ولعله تصحف عليه اليه
بالاله لديه والمراد بالملك الموكل بالرحم من حين كان نطفة او ذاك
ملك آخر غير ملك الحفظ وعجن النطفة بتراب قبره كما ورد في تفسير
قوله تعالى منها خلقناكم ان الملك يأخذ من تراب مدفنه فيذره على
النطفة لكونه سلالة من ماء مختلف الالوان والاخلاق حسب اختلاف
اجزاء الطين بل بحسب اختلاف المركبات من الطين فيه حرص النملة
والفارة وشهوة العصفور وغضب الفهد وكبر النمر وبخل الكلب وشره
الخنزير وحقد الحية وغير ذلك من ذمائم الصفات وفيه شجاعة الاسد
وسخاوة الديك وقناعة البوم وحلم الجمل وتواضع الهرة ووفاء
الكلب وبكور الغراب وهمة البازي ونحوها من محاسن الاخلاق
فان قلت قد ورد في صحيح مسلم برواية حذيفة بن اسيد لا ابن مسعود
كما في المشارق انه اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله ملكا
فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها وعظامها ثم يقول يا رب اذكر
ام انثى فيقضي ربك ما شاء ثم يكتب اجله ورزقه فعلم منه ان التصوير بعد
الاربعين الاولى وهو مناف لهذه الرواية الجواب ان لتصرف الملك

او قاتا احدها حين يكون نطفة ثم ينقلب علقة وهو اول علم الملك بانه
ولد وذلك عقيب الاربعين الاولى وحينئذ يامره ربه بكتب رزقه
واجله وعمله وخلقه وصورته ثم يتصرف فيه بتصويره وخلق اعضائه وذلك
في الاربعين الثالث ثم ينفخ فيه الروح فالمراد بتصويرها بعده انه يكتب
ذلك ثم يفعله في وقت اخر لان التصوير بعد الاربعين الاولى غير موجود
عادة كذا في شرح مسلم وقد استفاض بين الناس ان النطفة اذا
قدرت ذكرا تتصور بعد الاربعين الاولى بحيث يرى منه كل شيء
حتى الشعرة فيحمل رواية ابن مسعود على النادر او الغالب او باختلاف
في خلق العباد على ما اراد ففي رواية لمسلم ان النطفة تقع في الرحم اربعين
ليلة ثم يتسور عليها الملك وفي اخرى لمسلم ان ملكا موكلا بالرحم اذا
اراد الله تعالى لبضع واربعين ليلة الحديث وفي رواية في الصحيح يدخل
الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم باربعين يوما وفي اخرى
او بخمس واربعين فيقول يا رب اشقي ام سعيد وفي اخرى اي رب
علقة اي رب مضغة والمعنى يقول وقت النطفة يا رب هذه نطفة ونحو ذلك
في البقية وفي رواية في سندها السدي وهو مختلف في توثيقه عن ابن
مسعود وجماعة من الصحابة ان التصور لا يكون قبل ثمانين يوما وبه اخذ
طوائف من الفقهاء وقالوا اقل ما يتبين فيه خلق الولد احد وثمانون يوما
لانه لا يكون مضغة الا في الاربعين الثالثة ولا يتخلق قبل ان يكون
مضغة فينفخ فيه اي الله او الملك فيه الروح اي بعد تكميل جسده
وتصوير شكله وفي نسخة بصيغة المجهول قال القاضي العياض واقره المص
وغيره ظاهر الحديث ان الملك ينفخ الروح في المضغة وليس مرادا بل
انما ينفخ فيها بعد ان تتشكل بشكل ابن ادم ويتصور بصورته كما قال تعالى
فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر اي ينفخ
الروح فيه وقال القاضي اتفق العلماء على ان نفخ الروح لا يكون الا بعد اربعة
اشهر اي عقبها كما صرح به جماعة وعن ابن عباس وانما ينفخ بعد اربعة اشهر

وعشرة

وعشرة ايام واخذ به احمد قيل وهذا حكمه كون عدة الوفاة اربعة اشهر
وعشرا لانها بالشروع في الخامس من غير ظهور حمل يتبين براءتها منه
والعشرة احتياطا وان الروح ينفخ فيها كما قاله ابن المسيب وتبعه احمد
فيما روي عن ابن عباس ثم اعلم ان ظاهر ايات القران شاهد بان التصوير
يكون من الله تعالى وقد ورد في بعض الروايات اضافة ذلك الى الملك الموكل
على الرحم والحمل على ظاهر القران اولى قال تعالى هو الذي يصوركم في الارحام
كيف يشاء كذا ذكره بعضهم والاولى ان الاضافة الى الله حقيقة والنسبة
الى الملك مجازية كما جمع بين قوله تعالى يتوفى الانفس وبين قوله قل
يتوفاكم ملك الموت وهذا جمع لطيف يؤدي الى جمع شريف مستفاد
من قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقد جمع بعضهم بين القران
والخبر بان الملك الموكل بالرحم من اعوان اسرافيل وهو ناظر اليه واسرافيل
ناظر الى الصور المنقوشة في العرش كما ورد به الخبر ان الله تعالى جعل لكل
ما خلق صورة مخصوصة في ساق العرش وتلك الصور حكاية عما في علم
الله تعالى الازلي فيأخذ اسرافيل الصورة المختصة بتلك الذرة ويلقيها
الى الارحام وملك الارحام يلقيها الى الجنين فيتصور بتلك الصورة
المختصة فحيث ما اضاف الى نفسه تعالى التصوير فلانه هو المقدر المصور
في الاصل حقيقة وما اضيف الى الملك فلانه المباشر لصاحب ما راى
في نسخة اسرافيل واما نفخ الملك في الصورة فسبب يخلق الله عنده
فيها الروح والحيوة وقد قال بعض العارفين في الحديث الشريف معنى
لطيف بلسان الاشارة بعد بيان العبارة وهي انه اذا سقطت من
صلب ولاية رجل من رجال الحق نطفة ارادة في رحم قلب مريد صادق
يستسلم لتصرفات ولاية الشيخ اذ هي بمثابة تلك الارحام وينضبط
المريد احواله الظاهرة والباطنة على وفق امر الشيخ وتدبيره فالله
تعالى يتصرف ولاية الشيخ المؤيد بتاييد الحق بمرور كل اربعين عليه اطوارا
يحولها من حال الى حال ومن مقام الى اخر الى ان يرجع الى حظائر القدس

ورياض الانس التي صدر منها الى عالم الانس فيكون الجنين في رحم القلب
وهو طفل خليفة الله في ارضه فيستحق الان ان ينفخ فيه الروح المخصوص بانبيائه
واوليائه يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده وايدهم بروح منه فاذا
نفخ فيه يكون آدم وقته فيسجد له الملائكة اجمعون اي فيتعاودون له بالصلاة
عليه ويعظمون امره ويكرمون شانه ويؤمر اي الملك عطف على فينفخ باربع
كلمات اي بكتابة اربعة احكام مقدرة له على جبهته لخبر البزار كتابة ذلك
لكل ما هو لاق هنالك يكون بين عينيه او بطن كفيه او ورقة تعلق بعنقه
كما قال مجاهد ويؤيده قوله تعالى وكل انسان الزمناه طائره في عنقه واعلم
ان الكتابة التي في ام الكتاب تعم الاشياء كلها وهذا اخص به لكل انسان
اذ الكل كتابة سابقة وهي ما في اللوح ولاحقة تكتب ليلة القدر ومتوسطة
المشار اليها في الحديث ثم ظاهر سياق هذا الخبر ان هذا الامر والكتابة
بعد الاربعين الثالثة ورواية البخاري ان خلق احدكم يجمع في بطن امه
اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثله ثم يكون مضغة مثله ثم يبعث اليه الملك
فيؤمر باربع كلمات فيكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه
الروح كالصريحة في ذلك لكن في روايات لمسلم وغيره ان كتابة تلك
الامور عقب الاربعين الاولى وبها اخذ جماعة من الصحابة وجمع بعضهم
بان ذلك يختلف باختلاف الناس فمنهم من يكتب له ذلك عقب
الاربعين الاولى ومنهم من يكتب له عقب الاربعين الثالثة ولا يبعد
تكرر الكتابة والله اعلم ثم ظاهر رواية البخاري ان النفخ بعد الكتابة
وفي رواية البيهقي عكسه واما رواية الكتاب فتحتمل البعدية والقبلية
لان الواو لمطلق الجمعية وفي صحيح ابن حبان خمس وهي الثلاثة الاخيرة
والاثر والمضجع الى القبر ولا ينافي لان الزائد على تلك الاربع اعلم به
صلى الله عليه وسلم بعد اخباره او هذا الزائد يكتب لبعضهم دون آخرين
يكتب رزقه اي ما ينتفع به حلالا او حراما ماكولا او غيره قليلا او كثيرا
والجار بدل كل من قوله اربع اذ المضاف مقدر فيه ويروى بكتب على الاستئناف

معلوماً وكذا مجهولا فيتغير اعراب ما بعده واجله اي مدة عمره طويلا او قصيرا
وعمله صالحا او طالحا وفي رواية حرفه اي صنايعه التي عليها اعماله وشقي
اي وهو شقي في الآخرة او سعيد فيها وكان مقتضى ظاهر العبارة ان
يقال وشقاوته وسعادته فعدل عنه اما حكاية لصورة ما يكتبه لانه
يكتب شقي او سعيد او التقدير انه شقي او سعيد فعدل لان الكلام مسوق
اليهما والتفصيل الآتي وارد عليهما كما حققه الطيبي وظاهر الحديث يدل
على ان الامر بالكتابة ابتداء منه تعالى والاحاديث الصحيح تدل على ان
الامر بها بعد ان يسال الملك عنها فيقول يا رب ما الرزق ما
الاجل ما العمل وهل هو شقي او سعيد ومن تلك الاحاديث ان النطفة اذا
استقرت في الرحم اخذها الملك بكفه فقال اي رب اذكر ام انثى شقي
ام سعيد ما الاجل ما الاثر باي ارض تموت فقال له انطلق الى ام الكتاب
اي اللوح المحفوظ فانك تجد قصة هذه النطفة فينطلق فيجد قصتها في ام
الكتاب انها تخلق وتاكل رزقها وتطا اثرها فاذا جاء اجلها قبضت
فدفنت في المكان الذي قدر لها ومنها انه يقول يا رب مخلقة او غير
مخلقة فان كانت غير مخلقة قذفتها الارحام دما وان قيل مخلقة
قال يا رب اذكر ام انثى وذكر ما مر ثم السعادة معاونة الامور الالهية
للانسان على نيل الخيرات والمبرات الرضية وتضادها الشقاوة وهي
اما قلبية او بدنية او ما حول البدن فالقلبية هي المعارف والحكم اللدنية
والكمالات العلمية والعملية والبدنية الصحة والقوة واللذات الجسمية
وما حول البدن من الاموال والاسباب الدنيوية المعينة للامور الدينية
والاحوال الاخروية وقدم الشقاوة ليعلم ان الشر كالخير من عند الله و
بتقديره على ما قضاه رداً على الثنوية المثبتين شريكا فاعلا للشر في
المرتبة الربوبية وما احسن قول الشاعر شعر
وكم اديب فهيم قلبه ، مستكمل العقل مقل عديم ، وكم جهول
مكثر ماله ، ذلك تقدير العزيز العليم ، وتحقيق هذا المقام ان

بصفتي جمال وجلال او بمعنى لطف وقهر فالسعداء واعمالهم ومآلهم ومنالهم
مظاهر اللطف وفائدة بعثة الانبياء وانزال الكتب من السماء ترجع اليهم
انما انت منذر من يخشيها كما ان فائدة نور الشمس لاهل البصر فهي اشارة
وبشارة لهم بالسعادة والاشقياء وافعالهم ومثوبهم ومأويهم مظاهر القهر
وفائدة البعثة لهم الزام الحجة عليهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
وهي في الحقيقة نعي عليهم بالشقاوة قال البيضاوي ومن وجده مستعدا لقبول
الحق اثبته في عداد السعداء ومن رآه قاسي القلب جبارا بالطبع متخلعا
متأبيا عن قبول الحق كتبه في ديوان الاشقياء هذا اذا لم يعلم من حاله وقوع
ما يغير ذلك في ماله فان علم كتب اوائله واواخره وحكم عليه وفق ما يتم
عمله وما يختم به امره كما اشار اليه بقوله فوالذي اي الفاء فصيحة اذا كانت
الشقاوة والسعادة مكتوبة فوالذي لا اله غيره اكده بالقسم لئلا يدام
القضاء في القضية ليعلم ان الكسب لا مدخل له في الحقيقة ان احدكم ليعمل
بعمل اهل الجنة اي فيما يبدو للناس وهو من اهل النار كما في خبر مسلم
حتى ما يكون بالنصب وفي بعض النسخ المصححة بالرفع قال الطيبي حتى هي
الناصبة وما نافية ولم تكف يكون عن العمل فهي منصوبة بحتى واجاز غيره
ان تكون حتى ابتدائية فيكون على هذا بالرفع وهو مستقيم ايضا كذا ذكره
الشيخ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح البخاري وقال بعض الشراح
يكون في الموضعين بالرفع لا لان ما النافية كافة عن العمل بل لان المعنى على
حكاية حال الرجل لا الاخبار عن المستقبل نحو مرض حتى لا يرجونه انتهى ولا يخفى
ان وجه النصب اظهر ورواية اشهر واغرب ابن حجر تبعا للكرماني
حيث اقتصر على تعيين الرفع وعلل بان ما الغت حتى وفيه ان ما النافية
لا تلغي وان كان اعتبرها كافة فلا بأس لعدم صحة الاستثناء حينئذ بقوله
بينه وبينها الا ذراع اي قدره وهو مثل يضرب بمعنى المقاربة كحديث
من تقرب الي شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت
اليه باعا فالمراد به التمثيل من موته ودخوله عقيبه في جنة فيسبق عليه

الكتاب

الكتاب اورد الفاء ليدل على حصول السبق بلا مهلة وعداه بعلى تضمينا
لمعنى يغلب اي فيغلب عليه كتاب الشقاوة قبل النفخ عند الولادة
المستند الى اللوح المأخوذ من ام الكتاب وهو العلم الازلي المتعلق
به في هذا الباب والكتاب في المتن يحتمل ان يكون مصدرا وان يكون
بمعنى المكتوب فيعمل اي في تلك الحالة بعمل اهل النار اي ويموت
على ذلك فيدخلها اي مع اهلها هنالك لان بذر الشقاوة والسعادة
قد اختفى في اطوار الانسانية لا يبرز الا اذا انتهى الى الغاية الطبيعية
والايمانية وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا
ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة اي بان يستغفر
ويتوب منه فيدخلها اذ الخاتمة نسخة السابقة وفي هذا الحديث اثبات
القدر كما هو مذهب اهل السنة خلافا للمعتزلة ومن تبعهم من اهل البدعة قال
القاضي وغيره والاول نادر جدا بخلاف الاخير فانه كثير الوجود ولعله نظر الى ان رحمتي
سبقت غضبي وفي رواية يغلب غضبي فلله الحمد والمنة ثم الحكمة في اخفاء
القضية ان يعلم ان لا عبرة بالصورة بل بالاخلاص وحسن السيرة وان
لا يغتر بحسن الاعمال ولا يقنط من روح الله بقبح الافعال ولا يحقر اهل الشقاوة
في ظاهر الاحوال اذ الامر منوط بمطلق القضاء في الازل وان يعلم ان
ما يجري في العالم من الايمان والكفر والطاعات والسيئات من الكليات والجزئيات
بتقدير الله وايجاده في عباده وفق مراده اذ لا مؤثر في الوجود الا
الله الملك المعبود لا معارض لفعله ولا معقب لحكمه ثم القدر سر لم يطلع عليه
ملك مقرب ولا نبي مرسل فلا يجوز البحث عنه فانه تعالى لا يسأل عما
يفعل ولذا قال علي كرم الله وجهه لمن سأل عن القدر هو طريق مظلم لا تسلكه
فاعاد السؤال فقال بحر عميق لا تلجه فاعاد السؤال فقال سر خفي عليك
فلا تفتشه ولله در من قال شعر تبارك من اجرى الامور بحكمه كما شاء
لا ظلما اراد ولا هضما فما لك شيء غير ما الله شاءه فان شئت طب نفسا
وان شئت مت كظما ثم في هذا الحديث الشريف ايماء للسالك الى مبدأ

احواله ومنتهى اماله من غير اعتبار اعماله وفيه سر قول من عرف نفسه فقد
عرف ربه ثم منهم من نظر الى السابقة ومنهم من نظر الى الخاتمة اللاحقة والاول
اولى وفي المرتبة اعلى فان فيه ملاحظة فعل الحق مجردا عن الخلق فهو انسب
الى مقام التفريد وحال التوحيد بل هو مرتبة الجمع بخلاف الاخر فانه
يشير الى منزلة التفرقة رواه البخاري ومسلم وكذا الاربعة وفي
بعض روايات هذا الحديث وانما الاعمال بالخواتيم وفي حديث الشقي
من شقي في بطن امه والسعيد من سعد في بطن امه وفي الصحيحين انه
صلى الله عليه وسلم قال ما من نفس منفوسة الا وقد كتب الله مكانها
من الجنة او النار فقالوا يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا وندع العمل
فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما اهل السعادة فييسرون لعمل
اهل السعادة واما اهل الشقاوة فييسرون لعمل اهل الشقاوة ثم قرا
فاما من اعطى واتقى الآيتين وفي رواية للبخاري انما الاعمال بخواتيمها
كالوعاء فانه اذا طاب اعلاه طاب اسفله واذا خبث اعلاه خبث
اسفله وفي رواية لمسلم ان الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل اهل الجنة
ثم يختم له عمله بعمل اهل الجنة واخرج احمد والترمذي والنسائي عن ابن
عمر قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان
فقال اتدرون ما هذان الكتابان فقلنا لا يا رسول الله اما تخبرنا فقال
للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه اسماء اهل الجنة
وابائهم وقبائلهم ثم اجمل على اخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم
ابدا وقال للذي في شماله هذا كتاب من رب العالمين فيه اسماء
اهل النار وابائهم وقبائلهم ثم اجمل على اخرهم فلا يزاد فيهم ولا
ينقص منهم ابدا فقال اصحابه ففيم العمل يا رسول الله ان كان امر قد
فرغ منه فقالوا سددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل
اهل الجنة وان عمل اي عمل وان صاحب النار يختم له بعمل اهل النار
وان عمل اي عمل ثم قال اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم

بيديه

بيديه فنبذهما وقال فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير
واخرج احمد والترمذي انه صلى الله عليه وسلم كان يكثر ان يقول في دعائه
يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقيل له يا رسول الله امنا بك
وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين اصبعين من
اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال اللهم مصرف
القلوب صرف قلوبنا على طاعتك فلنختم الكلام على هذا الحديث العظيم
بهذا الدعاء الكريم **الحديث الخامس** عن ام المؤمنين كنية ازواج
سيد المرسلين لقوله تعالى وازواجه امهاتهم اي في حرمة النكاح وباب
التعظيم والتكريم دون نحو النظر والخلوة وسائر ما يتعلق بالاجنبيات
من التحريم ام عبد الله كناها صلى الله عليه وسلم بابن اختها اسماء عبد الله
ابن الزبير او بسقط من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمي عبد الله وهو ضعيف
كما ذكر في الاذكار عائشة بكسر الهمزة لا بالتحتية كما يقوله العامة رضي الله
عنها اسلمت صغيرة وتزوجها صلى الله عليه وسلم وهي بنت ست سنين بمكة
قبل الهجرة بثلاث سنين ودخل بها في المدينة في شوال منصرفه من بدر
سنة اثنتين من الهجرة وهي بنت تسع وبقيت معه تسعا وعاشت
بعده اربعين سنة من روياتها الف ومائتا حديث وعشرة قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث اي اتى بامر حادث
بان ابتدع من قبل نفسه واخترع من عند عقله في امرنا شاننا او شرعنا
او امرنا المهتم عندنا وفي رواية في ديننا هذا في ايراد هم الاشارة
بدلا وصفة افادة التعظيم وايماء الى ظهور التعظيم واشعار بان امر الدين
كمل وظهر ظهور المحسوس في مقام التكريم ما ليس منه اي من اصوله او هو قائم
بنا فيه بحسب معانيه او مبانيه وفي نسخة ما ليس فيه اي ما ليس
فيه مستند من الكتاب او السنة واجماع الامة سواء كان فعلا او قولا او حالا
فهو رد بفتح الراء وسكون اي فذلك المحدث مردود عن جنابنا ومطرود
عن بابنا فان الدين اتباع اثار الآيات والاخبار واستنباط الاحكام

منها لارباب الاثار وقد كمل الدين كما اشار الى ذلك في الكتاب المبين
فمن رام الزيادة عليه حاول امرا غير مرضي لديه لانه من قصور فهمه راه ناقص
بدون احداثه او ما احدثه مردود فلا تقبلوا او بمقتضاه لا تعملوا فالضمير الى
الشخص او الامر والاول ابلغ والثاني اظهر قاله بعض الشراح والصواب
يقال الضمير الى من او الى ما فتفكر ثم ايراد الرد بصيغة المصدر مبالغة عظيمة
فتدبر وقال المؤلف قوله رد اي مردود كالخلق بمعنى المخلوق رواه البخاري
ومسلم وكذا ابو داود والنسائي وفي رواية لمسلم من عمل عملا اي من اي شيء
من الطاعات البدنية او الحالات القلبية او لشيء من الاعمال الدنيوية او الاخروية
سواء كان محدثا لاحقا او مقدما على الامر سابقا وكان من صفته انه ليس عليه امرنا
اي اذننا وحكمنا بل اتى به على حسب هواه وان حسن غرضه فيما نواه فهو رد
اي مردود عليه غير مقبول فيما نسب اليه فهذه الرواية اعم وفي افادة الدراية
اتم فهذا الحديث عماد في التمسك بالعروة الوثقى واصل في الاعتصام
بحبل الله الاقوى ورد للمحدثات والبدع والهوى وقد انشد في هذا المعنى
شعر اذا ما دجا الليل البهيم واظلما ، بامر فظيع شق اسود او بما ،
فاعلى البرايا من الى السنن اعتزى ، واعمى البرايا من الى البدع انتهى ،
ثم اعلم ان هذا الحديث اصل عظيم في ابطال المنكرات وحوادث الضلالات
وقد قال تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق
بكم عن سبيله قال مجاهد السبل البدع وروى الدارمي انه صلى الله عليه وسلم
خط خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ثم قال
هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا الآية وقال عز وجل
فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول قال ميمون بن مهران من
فقهاء التابعين الرد الى كتابه والى رسوله في حيوته والى سنته بعد مماته
وقال عز وجل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وفي حديث
مسلم انه صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته ان احسن الحديث كتاب الله
وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة

وكل

وكل بدعة ضلالة زاد البيهقي وكل ضلالة في النار وروى الدارمي ان ابن
مسعود انكر على جماعة اجتمعوا في المسجد بعد من الاذكار بالحصا واشار
اليهم انه بدعة واساءتهم وانهم مفتتحوا باب ضلالة واخرج البيهقي ان ابن
عباس قال ان ابغض الامور الى الله تعالى البدع وان من البدع الاعتكاف
في المساجد التي في الدور واخرج ابو داود عن حذيفة كل عبادة لم يفعلها الصحابة
فلا تفعلوها وقال الغزالي السكوت عما تكلم فيه السلف جفاء والكلام فيما
سكتوا عنه شقاوة وورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال عمل قليل في سنة
خير من عمل كثير في بدعة اي ولو مستحسنة لان من البدع ما استحسنه السلف
ومنها ما استحسنه الخلف فمن قبيل الاول جمع القران كما اتفق عليه الشيخان
وكذا جمع عثمان بن عفان وكما وقع لعمر رضي الله عنه في جمع الناس لصلوة
التراويح في المسجد بعد تركه عليه السلام لذلك بعدما فعله ليالي وقال
عمر نعمت البدعة هي لانها وان حدثت في الجملة الا انها ليس فيها رد لفعلة
المتقدمة بل مقوية لتلك الحسنة فانه عليه السلام علل تركها بخشية الفرضية
فزال بوفاته عليه السلام توهم عود الفرضية او من مثل الثاني بناء نحو الربط
وخانات السبل فانها في معنى الخيرات الجارية الداخلة في الاحكام الوقفية
وكالتصنيف في العلوم الشرعية من الاصول والفروع الفقهية وما يتعلق بها
من الآلات الضرورية من القواعد الصرفية والنحوية والمعاني والبيان والمحسنات
البديعية وقال الشافعي ما احدث وخالف كتابا او سنة او اجماعا او اثرا
فهو البدعة الضالة وما احدث من الخير ولم يخالف شيئا من ذلك فهو البدعة
المحمودة وقال الامام ابو شامة شيخ المص ومن احسن ما ابتدع في زماننا كل
عام في اليوم الموافق مولده عليه السلام من الصدقات واظهار السرور والزينة
فان ذلك مع ما فيه من الاحسان الى الفقراء اشعر بمحبته سيد الانبياء وتعظيم
سيد الاصفياء كذا ذكره ابن حجر ثم قال وصلوة الرغائب اول جمعة من رجب
وليلة النصف من شعبان بدعتان مذمومتان خلافا لمن استحسنها وحديثها
موضوع كما بينه المص في شرح المهذب وغيره ممن قبله وبعده انتهى وفيه

ان الصلوة خير موضوع واحياء كل ليلة بالعبادة مشروع واذا لم يصح حديثهما لم
يلزم عدم فعلهما نعم لا يعتقد سنيتهما مع انه جاء في ليلة نصف شعبان قوموا ليلها وصوموا
يومها على ما رواه الترمذي وفي خبر ان الله تعالى يغفر ليلتها لاكثر من عدد شعر غنم
كلب وفي خبر انه تعالى يغفر ليلتها لجميع خلقه الا المشرك او مشاحن وقد
اخرج البيهقي انه عليه السلام صلى ليلتئذ وقال في هذه الليلة يكتب كل مولود
وهالك من بني آدم وفيها ترفع اعمالهم وينزل ارزاقهم ويعين اجالهم وقد
سماها الله سبحانه في القران انا انزلناه في ليلة مباركة فهي من مواسم الخيرات
ومنازل البركات فصلوة مائة ركعة في كل ركعة قراءة الاخلاص عشر مرة بأي
طريق لا يكون من البدع المذمومة مع ما ورد عن ابن مسعود ان ما راه المسلمون
حسنا فهو عند الله حسن ثم قال ومنه الوقود ليلة عرفة او المشعر الحرام
والاجتماع لليالي الختوم اخر رمضان فيكره ما لم يكن فيه اختلاط الرجال بالنساء
فان تضام اجسامهم فانه حرام انتهى وهو ليس على اطلاقه فان التوقيد
المشعر بالتعظيم كتعظيم ليلة المولد والاجتماع عند ختم القران من المستحبات كما
في البناية نعم ما يترتب عليه من المفاسد وتشويش خاطر العابد والساجد والاسراف
في المال باعتبار عدم الاحتياج الى كثرة السراج لا سيما في الليلة القمراء وامثال
هذه الاشياء يكون من الامور المنكرة وقد اغرب بعض الشافعية وجد منها مداومة
الامام في صبح الجمعة قراءة سورة السجدة وسورة الدهر وكذا مداومة
الاضطجاع بين سنة الفجر وفرضه لكن فيه ملحظ لطيف وسر شريف لئلا يتوهم
الفريضة بالمواظبة السنية بل اقول وكان على الائمة الحنفية ان يقرؤا السو
السورتين في بعض الاوقات الرضية ليرتفع الوهم وسئلوا عن غرائب ما رأوا
في سيرهم ومعادهم فقال واحد رأيت الشافعية بمكة يصلون صلوة الفجر ثلاث
ركعات فقال الاخر انما كان ذلك يوم الجمعة لا لجميع الاوقات واما ايراد
ابن حجر ما رواه الطبراني انه صلى الله عليه وسلم كان يقرؤهما في كل جمعة
فمحمول على الاغلبية لا الكلية والا فالمواظبة دليل الوجوب في القواعد الاصولية
واما ما قال ابن حجر صلوة بلال شكر الوضوء في البدعة المستحسن فمدفوع

لانه

لان الصلوة باعتبار اصلها مشروع مع انه صلى الله عليه وسلم قررها فهو من السنة
المقررة والعبادة المحررة ثم اعلم ان الانسان له روح نورانية من عالم الملكوت
ونفس ظلمانية من عالم الملك ولكل منهما نزاع وشوق الى عالمه فغاية بعثة
الانبياء تزكية النفوس عن ظلمة اوصافها وتحليتها بانوار الارواح حتى
يتجلى فيها ان الوجود الحقيقي ذات الله وصفاته وافعاله فالواجب على
العبد ان يدق بمطرقة كلمة التوحيد تمرد النفس الى ان تؤمن بذلك
ويكفر بطاغوت وجوده ووجود ما سوى الله هذا هو الدين القويم والطريق
المستقيم فمن احدث فيه بتسويل الشيطان غير ذلك بان التبس عن الله
وتعلق قلبه بما سواه ولم ينسلخ عن صفاته وافعاله وآثاره ولم ينطمس
ظلمات ذاته في انواره فهو مردود ولا يكون مريدا بل لم يتبع الا شيطانا
مريدا **الحديث السادس** عن ابي عبد الله النعمان بضم اوله ابن بشير
بفتح الموحدة صحابيان انصاريان رضي الله عنهما ولد على راس اربعة
عشر شهرا من الهجرة على الاصح وحنكه عليه السلام بتمرة وسواء اول مولود
ولد في الانصار بعد قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة كما ان عبد الله
بن الزبير المولود معه في عامه اول مولود ولد للمهاجرين بها روي له
مائة واربعة عشر حديثا قتلها بقرية من قرى حمص سنة اربع وستين ولم
ينفرد برواية هذا الحديث بل رواه ايضا سبعة من اكابر الصحابة رضي الله
عنهم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وفي رواية انه
اهوى الى اذنيه باصبعيه وفيها تاكيد للتصريح بسماعه عن النبي عليه السلام
وهذا هو الصحيح ولا التفات الى اختلاف فيه قاله المص والمراد به ما نقله
الشيخ صلاح الدين بن العلائي عن يحيى بن معين ان اهل المدينة يقولون
لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم الاحديث واهل العراق يصححون سماعه
منه وليس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في حديث الحلال
بين والباقي يقول عن ان الحلال بين اي واضح غير خفي حله نظرا الى ما
نص الله ورسوله او اجمع المسلمون على تحليله ومنه ما لم يعلم فيه منع على الظهر

القولين كما بين في محله وان الحرام بين في اكثر النسخ المصححة باعادة ان لتأكيد القضية وهو ما دل دليل ظاهر على تحريمه من كتاب او سنة او اجماع امة ثم التحريم اما لمفسدة جلية او مضرة خفية كالربوا ومذبوح المجوس واما لمفسدة واضحة او مضرة لائحة كالسم والخمر وكذا سائر المسكرات والمخدرات كالحشيشة والافيون والبنج وكذا جوزة الطيب كما افتى به ابن حجر ونقل فيه نص ارباب المذاهب الثلاثة من الشافعية والمالكية والحنابلة قال وهو مقتضى كلام الحنفية يعني ان وصل الى حد السكر واما الافيون فصرح علماؤنا بانه يحرم اكله واذا اعتاده يجب عليه استعماله وبينهما مشتبهات اى امور مشتبهة لوقوعها بين اصلين متغايرين او وجودها بين دليلين متعارضين بحيث يعسر ترجيح احد الطرفين فيقع الاشتباه في الحكمين او لكونها ذات جهة الى الحلال لم يجز ان تعد من الحلال المبين ولكونها ذات جهة من الحرام لم يجز ان تعد من الحرام المعين لا يعلمهن اى لا يعرف حكمهن كثير من الناس وقد جاء واضحا في رواية الترمذي ولفظه لا يدري كثير من الناس امن الحلال ام من الحرام يعني لتعارض الامارتين وتناقض العلامتين واما العارفون المحققون والعلماء المجتهدون وقليل ما هم لا يشتبه ذلك عليهم فاذا تردد الشيء من الحل والحرمة ولم يكن نص واجماع الامة اجتهد فيه المجتهد فالحقه باحدهما بالدليل شرعي ظهر له فاذا فقد فالورع تركه كما يدل عليه الحديث فيما بعده قال المص وللعلماء فيه ثلاثة اقوال الحكم بالحل والحرمة والتوقف فالاول دليله قوله عليه السلام كالراعي يرعى حول الحمى فيدل على ان ذلك حلال والثاني دليله قوله استبرأ لدينه وعرضه والثالث دليله التعارض او قوله عليه السلام الحلال بين والحرام بين فالمشتبه ليس بينهما قلت فينبغي ان يقال مكروه ثم رأيت الوطى صوب الكراهة فسر الامام احمد واسحق وغيرهما المشتبه بما اختلف في حل اكله كالخيل او شربه كالنبيذ او لبسه كجلود السباع او بيعه كبيع العينة وفسره احمد مرة باختلاط الحلال والحرام قيل ومنها اموال السلاطين لكن في زماننا لا يخفى حكمها على اهل الدين نعم منها اذا اشترى

مطلب في الافيون

شيئا

شيئا في الذمة وقضى ثمنه من مال حرام ومنها معاملة من في ماله حرام ولذا قيل هذا زمان المشتبهات والورع عن المحرمات والاظهر ما اعتمده الغزالي من ان من كان اكثر ماله حراما حرمت معاملته ثم لما كان سياق الكلام وتفصيل الاحكام للارشاد والتحرز من الحرام وذلك لا يحصل الا بالاشتهاء عن المشتبه لتمام النظام قال فمن اتقى الشبهات فيه وضع الظاهر موضع المضمر تفخيما لشانها فقد استبرأ اى فمن اجتنبها في المعاملات واحترزها في الاستعمالات استبرأ اى طلب البراءة لدينه من الذم الشرعي وعرضه من الطعن العرفي لانهامهم اياه بموافقة المحظورات اذ المرتبة الشبهات قال المص اى صان دينه وحمى عرضه عن وقوع الناس فيه واما قول ابن حجر فقد استبرأ بالهمز وقد يخفف ففيه ان لفظ فقد غير موجود في الاصول وتخفيف الهمز المتحرك غير صحيح الا حال الوقف عند بعضهم وحمل الشارح المظهر العرض على النفس حيث قال طهر دينه وبدنه من العقوبة وكلامه صحيح ففي النهاية العرض موضع المدح والذم من الانسان سواء كان في نفسه او سلفه ولما كان موضعه النفس حمل عليها اطلاقا للمحل على الحال والحاصل ان ما اشتبه امره في الحل والحرمة ينبغي اجتنابه لئلا يجره الى الوقوع في الحرام وانه لو وجد في بيته ما لا يدري انه له ام لغيره فالورع تركه كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم في التمرة التي وجدها في بيته وقال خشي ان يكون من الصدقة ولا يحرم لانه في يده والاصل ان لا يكون من الصدقة كما ان الاصل في الثوب الطهارة كذا ترك المعاملة مع من في ماله شبهة ربا ونحوه اولى ما لم يتيقن حرمته فانه صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند يهودي بشعير اخذه لقوت اهله او ضيفه مع اكلهم الربا واثمان الخمور كذا ذكره شارح لفعله صلى الله عليه وسلم لبيان الجواز ولعله ان شعيره هو ليس فيه شبهة لما كان هناك من قرينة او لم يكن موجودا الا عنده فكانا ضرورة هذا وفي عطف العرض على الدين اشعار الى ان طلب براءته مطلوب للمتقين ومن ثم ورد ما وقى به العرض فهو صدقة بل جاء في الاثر من وقف موقف تهمة وفي رواية عن عرض نفسه للتهمة فلا



من اساءة الظن به وقد قال صلى الله عليه وسلم لرجلين رأياه مع امرأة
على رسلكما انها صفية خوفا عليهما ان يظنا به شيئا فيهلكا فقالا يا رسول
الله من كنا نتهمه فلا نتهمك فقال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم
واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شرا وروي ان من خرج لصلوة
الجمعة ورأى الناس رجع استحيى من الله وقيل دفعه الطبراني لو امره احد ابويه
باخذ شبهة لو اكلها فقال احمد لا يطيعهما وقال بعض السلف يطيعه وتوقف
اخرون ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام اي من تساهل على نفسه
واكثر تعاطي الشبهات افضاه الحال متدرجا الى ارتكاب المحرمات
المقطوع بحرمتها وان لم يعدها هنالك اذ قد يأثم اذا قصر في التحري من ذلك
او المعنى يعتاد المساهلة في المعاملة ويتجرأ على شبهة اغلظ منها ثم اخرى اي
ان يقع في الحرام عمدا في الحالة الاخرى والمعنى وقع في الحرام اي في ارتكاب
المحرمات بخلاف المحتاط فانه اذا امتنع من الشبهات فبالاولى ان
لا يرتكب المحرمات ولذا جاء في خبر الترمذي لا يكون احد من المتقين
حتى يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وقال الحسن ادركت قوما كانوا
يتركون سبعين بابا من الحلال خشية الوقوع في باب من الحرام ومن
ثم قيل الصغيرة تجر الى الكبيرة والكبيرة الى الكفر وقال بعض السلف المعاصي
بريد الكفر وقيل انه حديث ويؤيده قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون وروى الترمذي عن ابي هريرة ان الرجل ليصيب الذنب
ذنبا كانت نقطة سوداء في قلبه وكلما زاد زادت حتى تعلو قلبه
فذلكم الران وفي رواية ان هذه القلوب تصدى كما يصدى الحديد
قيل فما جلاؤها يا رسول الله قال ذكر الموت وتلاوة القران وحاصله
ان من اكثر من موافقة الشبهات اظلم قلبه لفقدان نور الورع فيقع
في الحرام ولا يشعر بالمرام وحاصله ان ما قارب الشيء يخالطه غالبا ومنه تعالى
تلك حدود الله فلا تقربوها نهي عن المقاربة حذرا من المواقعة والبسر
من الخمر ليس محذورا في نفسه وانما حرم لئلا يتدرج منه الى الكثير المحذور

وكذا

وكذا الخلوة بالاجنبية لا محذور فيه الا لكونه داعية بالتدريج الى الوطء المحرم
وكذا قبلة الصائم اذا حركت شهوته انما يكره لئلا يتدرج الى الوطء المفسد
للصوم ومنه قوله عليه السلام لعن السارق يسرق البيضة فيقطع يده اي
يتدرج من سرقة ما لا قطع فيه الى سرقة ما يقطع به هذا وفي رواية للصحيحين ومن
اجترأ على ما يشك فيه من الاثم اوشك ان يقع فيما استبان اي الحرام
الذي ظهر وتبين وفي رواية لغيرهما ومن يخالط الريبة يوشك ان يجسر
على الحرام المحض وفي حديث مرسل من يرعى بجانب الحرام يوشك ان يخالطه
ومن تهاون بالمحقرات يوشك ان يخالط الكبائر ومحل الامرين الحرام البين
ابتلاء للعامة والشبهة اختبار للخاصة كالراعي اي حاله كحال الراعي للابل
ونحوها يرعى اي دوابه حال او صفة لان الراعي في المعنى كالنكرة حول
الحمى بكسر الحاء الحمى من الارض لاجل الدواب ويمنع دخول الغير وهذا غير جائز
الا للنبي صلى الله عليه وسلم لقوله لا حمى الا لله ورسوله وقد حمى حرم المدينة
عن ان يقطع شجره او يصاد صيده وفي معناه الخليفة اذا حمى لابل الصدقة
كما روي عن صنيع عمر رضي الله عنه يوشك بضم الياء وكسر الشين اي
يسرع ويقرب ان يرتع بفتح الياء والتاء اي المحافظة وجرأته على الرعي
والمخالطة فيستحق العتاب او العقاب وهذا ضرب مثل وفائدته تجلية
المعاني المعقولة بصور المحسوس لزيادة كشف المعقول ولانه عجيب في
ابراز الحقائق ورفع الاستار عن وجوه الدقائق ثم نبه بكلمة الا على امر
خطير في الشرع في ثلاثة مواضع من هذا الحديث ارشادا الى ان كل امر
دخله حرف التنبيه بكلمة شأنه التنبيه يستحق ان ينبه المخاطب له ويستأنف
الكلام لاجله فقال الا وهي مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي فتفيد
التنبيه على تحقق ما بعدها ولافادة التحقيق لا يكاد يقع الجمل بعدها الا مصدرة
بنحو ما يتلقى به القسم كقوله الا ان اولياء الله وان لكل ملك اي من
ملوك العرب حمى يمنع الناس عنه ويعاقبون عليه كما في الجاهلية فقيل هو
عطف على الانباء على انه يفهم من لفظة الا انه ومن قوله ان لكل ملك احق

فبهذا التأويل صح العطف اذ عطف المفرد على الجملة لا يصح الا باعتبار في زماننا
هذا اذ المكاسب فسدت والمحارم كثرت مع ضرورة المخالطة والحاجة
الملجئة الى المعاملة وعلى هذا فالخلاص بعيد والامر شديد وقد بلغني عن
شيخ مشايخ العالم الرباني مولانا اسمعيل الشرواني انه قال من يوم دخلت
الصرة وهو الوظيفة في الحرمين الشريفين ذهبت الولاية وسبب
ذلك انهم كانوا قبل ذلك يتعيشون بالمكاسب الشرعية من التجارة والزراعة
او بالمواهب الغيبية والفتوحات الملكية من حيث لا يحتسبون ثم ابتلوا
في هذه الازمنة باكل مال الحرام كعشور جدة والشبهة كالصرة فصار
اماناتهم واذانهم وقراءتهم ونحو ذلك كلها معلومة وبعد كونها خالصة مقبولة
وبحكم البلية اذا عمت طابت لم يبق في قلوب اهلها تحاشي من تناولها
بل عرض لهم مرض الاستسقاء حيث لا اكتفاء لهم بشرب الماء ولا يقنعون
بمقدار الضرورة حتى يكون لهم بالجملة نوع من المعذرة فان الضرورات تبيح
المحظورات بل يتعدون عن حد الفقراء ويصلون الى مرتبة الاغنياء وهم
يزاحمون المساكين على حقوقهم من سكنى الخلوة ووظيفة الخدمة ولا يفرقون بين
الحل والحرمة فنسأل الله العفو والعافية وحسن الخاتمة عند حلول
العاقبة قال بعض العارفين القلب هدف سهام القهر واللطف ومظهر
الجمال والجلال ومنشأ القبض والبسط ومبدأ المحو والصحو ومنبع الاخلاق
الرضية والاحوال الردية فاذا وقعت هذه المضغة في بحار المنكرات
مالت من نتائج الشهوات الى عالم الشهوات وافاضته الى الجوارح مباشرة
السيئات واذا وقعت في بحار المعارف مالت بنعت المحبة والشوق
الى المشاهدة فاستنارت بنورها فنورت العقل والحس والروح
والصورة فيتولد من حسن جوارها خشوع الصورة في هيئة وصلاح
الجوارح في خدمته ثم له ظاهر وهو المضغة الصنوبرية المودعة في تجويف
الايسر من الصدر وهو محل اللطيفة الانسانية ولذا نسب اليه الصلاح
والفساد في الامور الدنيوية والاخروية وله باطن وهو اللطيفة النورانية

الربانية

الربانية العاملة التي هي مهبط الانوار الالهية الصمدانية وبها يكون الانسان
انسانا وبها يستعد باكتساب الاوامر واجتناب الزواجر وهي
خلاصة تولدت من الروح الروحاني ويعبر عنها بالنفس الناطقة قال تعالى
ونفس وما سواها وبالروح قال عز وجل قل الروح من امر ربي وهو محل
الايمان كما في القرآن اولئك كتب في قلوبهم الايمان كما ان الصدر محل الاسلام
كما قال عز وجل افمن شرح الله صدره للاسلام والفؤاد مقر المشاهدة
لقوله سبحانه ما كذب الفؤاد ما رأى واللب مقام التوحيد لقوله انما
يتذكر اولوا الالباب اي الذين خرجوا من قشر الوجود المجازي وبلغوا
لب الوجود الحقيقي لكن معرفته كما هي متعذرة والاشارة الى حقيقتها
على ارباب الحقائق واصحاب الدقائق متعسرة رواه البخاري ومسلم
وكذا الاربعة على ما في جامع الصغير ولفظه الحلال بين والحرام بين وبينهما
امور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى المشتبهات استبرأ
لعرضه ودينه ومن وقع في المشتبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول
الحمى الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله تعالى في ارضه محارمه الحديث
وروى الطبراني في الاوسط عن عمر مرفوعا ولفظه الحلال بين والحرام
بين فدع ما يريبك الى ما لا يريبك وروى الترمذي وابن ماجه
والحاكم في مستدركه عن سلمان مرفوعا ولفظه الحلال ما احل الله في كتابه
والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفي عنه

الحديث السابع

عن ابي رقية بضم الراء وفتح القاف وتشديد الياء التحتية
قال المصنف انه لم يولد له غيرها تميم بن اوس الداري نسبة الى جد له
اسمه الدار وقيل الى موضع يقال له دارين ويقال فيه ايضا الديري
نسبة الى دير كان يتعبد فيه وقد بسطت القول في ايضاحه في اوائل
شرح مسلم قال المصنف رضي الله عنه كان نصرانيا وقدم المدينة فاسلم وذكر
للنبي صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة والدجال انه وجده هو واصحابه
في البحر فحدث النبي صلى الله عليه وسلم بذلك على المنبر وعد ذلك من

من مناقبه اذ لم يقع نظيره لغيره في مراتبه فيكون من رواية الاكابر عن الاصاغر
قال ابن السكن اسلم سنة تسع هو واخوه نعيم ولهما صحبة وقال ابو نعيم كان
راهب اهل عصره وعابد اهل دهره في فلسطين وهو اول من اسرج السرج
في المسجد واول من قص في زمن عمر باذنه انتقل الى بيت المقدس بعد قتل
عثمان وسكن فلسطين وكان عليه السلام اقطعه بها قرية وكان كثير التهجد
يختم القران في ركعة قام ليلة بقوله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات
الآية حتى اصبح مات سنة اربعين ودفن ببيت جبرئيل او جبرين
من بلاد فلسطين وهو قرية من قرى الخليل روى له ثمانية عشر حديثا
لمسلم منها واحد هو هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدين
اي دين الاسلام يعني مدار قوامه ومعظم مرامه النصيحة مأخوذة من النصح
ضد الغش من نصحت العسل اذا صفيته وهي كلمة جامعة تفسيرها ارادة
الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناها
غيرها كما قالوا في الفلاح ليس كلمة اجمع لخير الدنيا والآخرة منه ذكره في
المشكوة ثلثا ثم لما كانت النصيحة من الامور الاضافية استفصلت
لرفع الحالة الابهامية قلنا معشر السامعين من الصحابة والظاهر ان
السؤال وقع من بعض ارباب الكمال لكن لما كان رضي بقية ارباب
الكمال نسب اليهم المقال لمن اي النصيحة لمن والنكتة في الابهام
اولا ثم التبيين ثانيا ليكون القضية اوقع في النفس مما اذا جاء
من اول وهلة وفي حال غفلة قال اي النبي صلى الله عليه وسلم لله تعالى اي
بالايمان بوجوب وجوده وانكار عدم وجوده وبصفاته الثبوتية والسلبية
والاضافية وبافعاله المحمودة المرضية وبان يعلم ان كل ما سواه فانما
حدث بقدرته القوية ومشيته الجلية وحكمته الخفية وباحكامه بان يعلم
انها غير معللة وان المراد من شرعها منافع عائدة الى العباد ولا يجب
عليه شيء ان اثاب فبفضله وان عذب فبعدله ثم باخلاص الطاعة
واجتناب المعصية وهذه الاوصاف راجعة الى العبد في نصيحته نفسه

فان

فان الله غني عن العالمين وعن نصح الناصحين وحكي ان الحواريين قالوا
لعيسى عليه السلام يا روح الله من الناصح لله قال الذي يقدم حق الله
على حق الناس هذا والمفهوم من شرح ابن حجر زيادة عز وجل هنا في المتن
وهو غير موجود في الاصول ولكتابه بان يعتقد ان كلامه ويعتبر مواعظه
ويتدبر في عجائبه وغرائبه ويعمل بحكمه ويسلم في متشابهه ويكل علمه الى
عالمه ويذب عنه تأويل المحرفين وطعن الطاعنين علومه ونشر عمومه
وخصوصه وناسخه ومنسوخه ومطلقه ومقيده ومجمله ومبينه وحفظ مبانيه
ويراعي معانيه ويعمل بما فيه والمراد بالكتاب القران لان الايمان به يتضمن
الايمان بجميع الكتب المنزلة او جنس الكتب السماوية اذ الجنس المضاف
يفيد العموم كما قرر في الاصول ولرسوله بالايمان به وبجميع ما جاء
به والانقياد لاوامره والامتثال لزواجره ومعاداة من عاداه
وموالاة من والاه ونصر ملته ونشر دعوته واحياء سنته ومحبة اهل
بيته وصحابته والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم او الجنس ليشمل الانبياء
والملك ايضا لانهم رسل الى الانبياء كما قال تعالى جاعل الملائكة رسلا
ولائمة المسلمين بان ينقادوا لطاعتهم ولا يخرج عليهم والامام من له خلافة
الرسول في اقامة الدين بحيث يجب اتباعه على الخلق اجمعين قال الخطابي
ومن النصيحة لهم الصلوة خلفهم والجهاد معهم واداء الصدقات اليهم انتهى يعني
مال الخراج اذا كانوا عدولا في حكمهم والا فلا خفاء عنهم وصرفها الى المستحقين
اولى ان لم يخش ضررا منهم وفي معناهم العلماء الاعلام بقبول ما رووه
من الاحكام واحسان الظن بهم فيما استنبطوه من فروع الاسلام ولعامتهم
بارشادهم الى مصالحهم ومنافعهم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
ودفع الضر عنهم وجلب الخير اليهم وستر عوراتهم وسد خلاتهم وتوقير كبيرهم
والشفقة على صغيرهم وان يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه
من الشر وقد قال بعض السلف من وعظ اخاه سرا فهي نصيحة ومن وعظه على
رؤس الناس فهي فضيحة هذا ولم يقل ولعامتهم للاشعار بان عامة الامة

اتباع للائمة رواه مسلم منفردا به عن تميم وليس له في صحيحه عنه سواه واخرجه البخاري في صحيحه تعليقا وفي بعض النسخ رواه البخاري ومسلم وهو كذا في الاذكار والمشكاة ورياض الصالحين لكن فيه مسامحة ومسامحة لان العبارة يقتضي ان يكون البخاري في صحيحه روى هذا الحديث متصل سنده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق تميم الداري وليس كذلك بل انما اورده في ترجمة باب بدون ذكر تميم الداري ثم بعد انه روى صدر هذا الحديث في تاريخه عن ثوبان فالصواب الاكتفاء بقوله رواه مسلم والله اعلم

الحديث الثامن عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت اي امرني ربي وفائدة العدول عن التبيين دعوى التعيين والتعويل على شهادة العقل اذ ليس يأمره غيره عز وجل ان اقاتل الناس اي بان اقاتلهم اذ تعدية الامر بنفسه بغير حرف نحو امرتك الخير لكن ما ائتمرت به والمراد بالناس عبدة الاوثان دون اهل الكتاب كما ذهب اليه اكثر شراح الحديث لان غاية مقاتلتهم ليس ما ذكر فقط بل اما ذلك او اعطاء الجزية والمراد بهم الاعم لكن خص منه اهل الكتاب بالآية ذكره الطيبي قيل وهو الاولى لان الامر بالقتال انما نزل بالمدينة مع كل من يخالف الاسلام قال ابن الضباغ في الشامل لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم فرض عليه التوحيد والتبليغ وقراءة القران لقوله اقرا باسم ربك الذي خلق ثم فرض الصلوة بمكة وفرض الصوم بعد سنتين من الهجرة والحج في السنة السادسة او التاسعة واما الزكوة فقيل بعد الصيام وقيل قبله واما الجهاد فلم يؤذن له بمكة واذن له بالمدينة لمن ابتدأه ثم ابتدأ اسم بدون الحرم والاشهر الحرم ثم نسخ ذلك واببيح ابتداؤهم في الاشهر الحرم الحرم واما قول الخطابي ان المراد بالناس عبدة الاوثان لان اهل الكتاب يقولون لا اله الا الله ثم يقاتلون ولا يرفع عنهم السيف حتى يقروا انما له بالشهادتين فمحمول على رواية ابي هريرة من اقتصارها على لا اله الا الله لا على رواية ابن عمر لقوله حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول

مع

مع ان التحقيق في المراد بلا اله الا الله كلمتا الشهادة وان الاقتصار عليها من باب الاكتفاء او صار هذه الكلمة علما للمجموع ولذا ورد في كثير من الاحاديث من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة واما قول ابن حجر ان تخصيص جمع من الشراح الناس بما قاله الخطابي وهم فانما هو وهم منه لعدم فهم كلامهم وغرض مرامهم على ما قررنا بيانه وحررنا برهانه هذا وفي رواية حتى يقولوا وهي صريح في عدم اشتراط لفظ الشهادة وفي الرد على من يقول بعدم صحة التقليد في باب التوحيد بل ايمان المقلد صحيح عند ارباب التأييد قال المص وهو مذهب المحققين والجماهير من السلف والخلف واشتراط تعلم ادلة المتكلمين ومعرفة الله بها والا لم يكن من اهل القبلة خطاء ظاهر فان المراد بالايمان هو التصديق الجازم وقد حصل ولانه صلى الله عليه وسلم اكتفى بالتصديق بما جاء به ولم يشترط المعرفة بالدليل وقد تظاهرت هذه الاحاديث في الصحيح فحصل بمجموعها التواتر والعلم القطعي انتهى ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة خصهما بالذكر من بين اركان الاسلام اهتماما بشانهما لانهما اما العبادات البدنية والمالية ولذا سمي الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام وقد ان بينهما في القران امرهما والمعنى حتى يقبلوا احكام الاسلام وينقادوا تحت الاحكام والا فبمجرد الشهادتين لا تجوز المقاتلة معهم حيث اتوا بنظام المرام ولا يتوقف اجراء احكام الاسلام على اداء الصلوة وايتاء الزكوة باجماع العلماء الاعلام واغرب ابن حجر في هذا المقام حيث قال فيه دليل لقتل تارك الصلوة وادعى ان عليه اكثر العلماء لانه غيّ الامر بالقتال ولا يخفى ما فيه من تزييف المقال اذ القائل بقتل تاركها لا يخرجه عن كونه مسلما بل يقتله حدا كقتل القاتل قصاصا وهو مناف لان يكون غاية للمقاتلة مع ان المقاتلة مع الكفار والقتل مع الفجار على ان الشافعية لم يقولوا بقتل تارك الزكوة وقد وقع الاجماع على قتال مانعيها بطريق الامتناع كما وقع في زمن الصديق والفاروق ومن تبعهما من اهل التحقيق ولم ينقل من السلف والخلف انهم قتلوا احدا بترك

صلوة او زكوة بل وعلم لم يشترط احد لمريد الاسلام التزام صلوة ولا زكوة بل
روى عن الامام احمد انه قبل اسلام من اشترط ان لا زكوة ولا جهاد ومن اشترط
ان لا يصلي الا صلاتين ومن اشترط ان يسجد من غير ركوع وهذا مبني على
ان الاسلام يصح على الشرط الفاسد ثم يؤمر بالشرائع كلها وهذا هو المناسب
لمقام التدريج في احكام الاسلام وقد جاء في حديث ضعيف على ما قيل
انه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقبل من اجابه الى الاسلام الا باقامة الصلوة
وايتاء الزكوة وهذا لا ينافي قتال اهل الردة وامتناعهم اداء الزكوة
بعد انقياد احكام الاسلام وحديث ابي هريرة في صحيح مسلم كالتصريح
لما ذهبنا اليه وهو انه صلى الله عليه وسلم يوم خيبر حين اعطى الراية لعلي
فقال علي ما اقاتلهم قال على ان يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله فاذا فعلوا ذلك عصموا منك دماءهم واموالهم الا بحقها
فجعل مجرد الاجابة اليها عاصمة للنفوس والاموال الا بحقها ومنه حديث
معاذ لما بعثه الى اليمن امرهم ان يدعوهم اولا الى الشهادتين وانهم ان
اطاعوه بها اعلمهم بالصلوة ثم بالزكوة فمنهم نقاتل قوما او اهل قرية اتفقوا على
ترك الصلوة وكذا في ادنى شعائر الاسلام كالاذان على ما صرح به علماؤنا
الاعلام الا انه لا يجوز قتل كل فرد منهم بمجرد ترك الصلوة والاذان
اجماعا الا ما قال الامام احمد من ان تارك الصلوة متعمدا كافر يعني يصير
كافرا بمجرد تركها والجمهور اولوا الحديث بان المراد بقوله من ترك صلوة
متعمدا فقد كفر اي النعمة او قارب الكفر او يخشى عليه الكفر او محمول على
المستحل فاذا فعلوا ذلك اي ما ذكر من الشهادتين والاقامة والايتاء
واطلاق الفعل على المشار اليه مع ان بعضه قول اما باعتبار انه عمل اللسان
المعبر عن عمل الجنان او على سبيل تغليب الاثنين على الواحد عصموا بفتح
الصاد اي حفظوا مني اي من تعرضي دماءهم واموالهم فان قيل جعل
غاية المقاتلة وجود ما ذكر فمقتضى الحديث ان من شهد واقام واتى ترك القتال
معه وان جحد سائر ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم لكنه ليس كذلك اجيب

بانه

بان الشهادة برسالته يتضمن التصديق بجميع ما جاء به مع ان قوله الا بحق
الاسلام يدخل فيه جميع ذلك وانما خصصنا بالذكر لما قدمناه هنالك
والمراد بحق الاسلام القتل بالقصاص والزنا والقطع بالسرقة وغرامة
ما اتلف من مال اخيه المسلم ونحو ذلك فانها حدود واجبة الاحكام
بحق الاسلام والمسلم الملتزم لها باسلامه فيقام عليه بمقتضى التزامه والمعنى
فاذا فعلوا ذلك لا نتعرض لهم بسبب من الاسباب يحدث هنالك
الا بحق الاسلام وحسابهم اي محاسبة بواطنهم على الله تعالى اي انا
احكم فيهم بهذه الاحكام ظاهرا وحسابهم يتعلق الى الله عز وجل باطنا
فرب عاص يصادف عند الله عز وجل خيرا في الباطن وبالعكس لحديث
نحن نحكم بالظواهر والله اعلم بالسرائر لحديث ما امرت ان اشق عن
قلوب الناس ولا بطونهم وقال لاسامة فهلا شققت عن قلبه وفيه
دليل على ان من اظهر الاسلام وابطن الكفر قبل اسلامه ظاهرا وهو
ما ذهب اليه الجمهور وقال مالك واحمد لا تقبل توبة الزنديق وكذا
قال بعض علمائنا رواه البخاري ومسلم ان ما عدا قوله الا بحق الاسلام
ولما كان الاعتبار لاكثر الكلام صح اسناده الى مسلم في هذا المقام
فاندفع قول ابن حجر وعجيب من المصنف مع شدة تحفظه وحفظه كيف
اوهم ان كلا من الشيخين خرجه جميعه انتهى ويؤيد ما قلنا ان السيوطي
ذكر هذا الحديث في الجامع الصغير وقال رواه الشيخان والاربعة
عن ابي هريرة مرفوعا ولفظه امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا
ان لا اله الا الله واني رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحقها وحسابهم على الله وذكره في الكبير ايضا وقال رواه ابن جرير
والطبراني في الاوسط عن انس ولفظه امرت ان اقاتل الناس حتى
يشهدوا ان لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحقها قيل وما حقها قال زنا بعد احصان او كفر بعد اسلام او قتل نفس
فيقتل بها في حصر الثلاثة في معرض البيان دلالة على ان تارك الصلوة

لا يقتل فتأمل واما تعرك قول ابن حجر من ان سياق الحديث وان
كان في الكافر لكن المسلم اولى منه بذلك لانه تركها مع اعتقاده وجوبها
بخلاف الكافر الاصلي فانه ممنوع ومدفوع بان المسلم معصوم الذمة
الا ان ترك احدى الثلاثة المذكورة على ما ورد بصيغة الحصر في
حديث صحيح بلفظ لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث الحديث كما سيأتي
في اصل الكتاب هذا وجاء في رواية للشيخين عن ابي هريرة امرت
ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما
جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وفي
رواية حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله عصم مني الى آخره
واخرجه مسلم عن جابر بهذا اللفظ وزاد ثم قرأ انما انت مذكر لست عليهم
بمسيطر واخرجه مسلم عن انس ولفظه امرت ان اقاتل المشركين حتى
يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وان يستقبلوا
قبلتنا وان يأكلوا ذبيحتنا وان يصلوا صلوتنا فاذا فعلوا ذلك حرمت
علينا دماؤهم واموالهم الا بحقها لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين
واخرج الذهبي عن يونس بن بكير عن قتادة قال لما توفي النبي صلى الله
عليه وسلم ارتدت طوائف كثيرة من العرب عن الاسلام ومنعوا الزكوة
اي ومنهم من منع الزكوة ولم يكفر كما صرح به غيره فنهض ابو بكر لقتالهم
فاشار اليه عمر وغيره ان يفرغ عن قتال مانعي الزكوة فقالوا والله لو منعوني
عقالا او عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم
عن منعها فقال عمر كيف نقاتل الناس وقد قالوا لا اله الا الله وقد
قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله
فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها فقال ابو بكر لاقاتلن
من فرق بين الصلوة والزكوة فان الزكوة حق المال وقد قال الا بحقها
قال عمر فوالله ما هو الا رأيت الله شرح صدر ابي بكر للقتال فعرفت انه
الحق انتهى وبهذا اندفع قول ابن حجر ومن العجب ان حديث ابن عمر هذا

الذي

الذي ساقه المص نص في قتال مانعي الزكوة ولم يبلغه ابا بكر وعمر رضي الله
عنهما مع تناجيهما واختلاف رأيهما فاستدل ابو بكر بالحديث الثاني
وعمر بانه اقتصر على قول لا اله الا الله انتهى ان عمر وغيره رضي الله عنهم
ذهبوا الى ان كثير الاحاديث فيه الاكتفاء بالشهادتين في الغاية فلا يجوز
قتال مانعي الزكوة كما لا يجوز قتال تارك الصلوة واختار ابو بكر انه يجوز
قتال قوم تركوا من شعائر الاسلام شيئا من ترك صلوة وزكوة وجمعة وجماعة
واذان ونحوها من حقها ورجعوا الى قوله رضي الله تعالى عنه فيكون اجماعا
واما قتل احد بترك الصلوة او جمعة ونحوها مع اقراره بالفرضية فلا يعرف له
سند مرضي في القضية وحاصل جميع الاحاديث انه امر ان يقاتل
الكفرة حتى يقروا بالتوحيد والنبوة وان ينقادوا للاحكام الملتزم اعلم
ان في هذا الحديث اشارة الى نور التوحيد وظهور التفريد وشهود صنوح
فناء آثار الحادثة بتشعشع انوار بقاء الحق وله مراتب منها التوحيد النظري
اي علم بالاستدلال والتقليد اي علم مجرد تصديق المخبر الصادق في مقام
الكمال وسلم القلب في توحيد الرب من الشبهة والحيرة والريبة وهو ان
يعتقد ان الله منفرد بوصف الالوهية متوحد باستحقاق العبودية كما
اشار اليه في الحديث انه به تحقن الدماء والاموال وتخلص من الشرك
الجلي في الاحوال ومنها التوحيد العلمي وهو ان يصير العبد بتجرده من غشاوة
صفاته وخلاصه من سجف ظلمات ذاته وانسلاخه عن لباس الاختيار جرا
في فضاء انوار عظمة الجبار ولهان تحت سبحات سطوات الانوار فيعرف
ان الموجد الحق والمؤثر المطلق هو الله الواحد القهار وان كل ذات
فرع من نور ذاته وكل نعت من علم وقدرة وارادة وسمع وبصر عكس من
انوار صفاته واثر من آثار افعاله واسرار مصنوعاته ومنشأه نور المراقبة
ومنها التوحيد الحالي وهو ان يصير التوحيد وصفا لازما لذات الموحد فتلاشى
ظلمات رسوم وجود الغير الا قليل في غلبة اشراق نور التوحيد واستتار نور
جماله في نور علم التفريد كما قال بعض اهل الاشارة فلما استنار الصبح ادرج

مطلب

ضواه باسفاره اضواء نور الكواكب واستغراقه فى مشاهدة جمال وجود
الواحد بحيث لا يظهر عند شهوده الا ذات الواحد ويرى التوحيد صفة
الواحد لا صفته بل لا يرى ذلك هنالك قال الجنيد التوحيد معنى تضمحل
فيه الرسوم وتندرج فيه العلوم ويكون الله كما لم يزل ومنها التوحيد الالهى
وهو ان الله تعالى كان فى الازل موصوفا بالوحدانية فى الذات وبالاحدية
فى الصفات كان ولم يكن معه شئ والآن كما كان كل شئ هالك الا وجهه
ولم يقل يهلك لان عزة وحدانيته لم تدع لغيره وجودا وفى هذا المعنى
انشد العارف الانصارى لنفسه شعرا شريف المبنى ظريف المعنى ما وحد
الواحد من واحد اذ كل من وحده جاحد توحيد من ينطق عن نعته عارية
ابطلها الواحد توحيده اياه توحيده ونعت من ينعته لاحد ثم اعلم ان كل
جمع ليس بعده تفرقة فهو الحاد وزندقة فرجع من هذا التدقيق ونقول
فى مقام التوفيق ان التحقيق سوا ان يقال الشهادة اشارة الى تخلية
لوح القلب عن الشرك الجلى والخفى وسائر النقوش الكونية ثم تحلية بالمعارف
والحكم الالهية والاعتقادات الحقية واحوال المعاد وغيرها من الامور
الاخروية فمن اثبت ذات الله بجميع اسمائه وصفاته التى دال عليها اسم
الجلالة ونفى غيره وصدق رسالة النبى شهدنا الصدق والامانة فقد
وفى بعهده عهده وبذل نهاية جهده فى بداية جهده وآمن بجميع ما جاء به
من الكتب والرسل والمعاد ولذا لم يتعرض فى الحديث لاعداد سائر
الاعداد ثم اقامة الصلوة ارشاد الى ترك الراحات البدنية والتعاب
الالات الجسدية وهى ام العبادات التى اذا وجدت لم يتاخر عنها البقية
ولذا استغنى عن عد ما عداها وعن ترك السيئات بعدها فان الصلوة تنهى عن
الفحشاء والمنكر ثم ايتاء الزكوة هو الاعراض عن الفضول المالية بل
عن كل الموجودات الوهمية وبذل المال الذى هو شقيق الروح لاستفتاح ابواب
الفتوح ورفع المانع عن الاشتغال بمقامات ارباب الكمال ولعدم الانس
بالفانى عن الباقى ومطالعة الجمال ومشاهدة الجلال والله سبحانه اعلم بحقيقة

الاحوال

الاحوال الحديث التاسع عن ابى هريرة قيل بالتنوين وصوبه
جماعة لانها جزء علم واختار اخرون منع صرفه كما هو الشايع على السنة
العلماء من المحدثين وغيرهم لان الكل صار كالكلمة الواحدة واعترض
عليه بانه يلزم عليه رعاية الاصل والحال معا فى كلمة فى لفظ هريرة اذا
وقعت فاعلا مثلا فانها تعرب اعراب المضاف اليه نظرا للحال ونظيره
خفى فى جنس المقال قال ابن حجر ويجاب بان الممتنع رعايتهما من جهة
واحدة لا من جهتين كما هنا وكان الحامل عليه الخفة وانتهاها وهذه الكنية
حتى سمى بالاسم الاصلى بحيث اختلفوا فيه اختلافا كثيرا انتهى ولا يخفى ان
هذا انما لا يشفى الغليل ولا يشفى العليل فالمعتمد ما قدمناه فى الخطبة ان
هريرة صارت علما حتى كان يطلق عليها وهى كنية وسبب تلقيبه بذلك
ما رواه ابن عبد البر عنه انه قال كنت احمل يوما هرة فى كمى فرآنى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه فقلت هرة فقال يا ابا هريرة واختلف
فى اسمه على خمسة وثلاثين قولا اصحها ما ذكره المص بقوله عبد الرحمن
وقد روى ابن اسحق عنه انه ابدل به فى الاسلام عن عبد شمس اسمه
فى الجاهلية ابن صخر رضى الله عنه اسلم عام خيبر وشهدها ثم لازم النبى
صلى الله عليه وسلم الملازمة التامة رغبة فى العلم راضيا بشبع بطنه فى باب
القناعة ومن ثم كان من احفظ الصحابة قال البخارى روى عنه اكثر من
ثمانمائة ما بين صحابى وتابعى توفى سنة سبع وخمسين بالمدينة ودفن
بالبقيع وما اشتهر ان قبره بقرب عسقلان لا اصل له وانما ذاك صحابى
اخر اسمه جيدره قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما نهيتكم
عنه سواء كان نهى تحريم او تنزيه ليشمل الحرام والمكروه فاجتنبوه
اى اجعلوه فى جانب واتركوه وفى رواية فدعوه قاله فى حجة الوداع حين
خطب قائلا ايها الناس فرض عليكم الحج فقام رجل اكل عام يا رسول الله
فسكت حتى قالها ثلاثا فقال لو قلت نعم لوجب ولما استطعتم هذا الحديث
ونحوه يختص لغة بالموجودين عنده نزوله وعرفا يشمل من بعدهم لما هو

معلوم من الدين بالضرورة ان هذه الشريعة عامة الى يوم القيمة ولقوله حكمي
على الواحد حكمي على الجماعة وما امرتكم به فأتوا وفي نسخة صحيحة فافعلوا منه
اي مما امرتكم وجوبا في الواجب وندبا في المندوب ما استطعتم ما قدرتم
عليه فانه سبحانه يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولا يكلف الله نفسا
الا وسعها وبهذا الحديث والاية الموافقة له يخص عموم قوله تعالى وما اتيكم الرسول
فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا ثم هذا الحديث موافق لقوله تعالى فاتقوا الله
ما استطعتم واما قوله عز وجل اتقوا الله حق تقاته فقيل منسوخ والاصح
ان تلك مبينة لهذه وانما تم هذا على تفسير بان يذكر فلا ينسى ويطاع
فلا يعصى فالاوجه النسخ فان هذه لما نزلت تحرجت الصحابة رضي الله
عنهم منها وقالوا اينا يطيق ذلك فنزلت والاظهر ان هذا التفسير
بيان للتقوى الخاصة وما سبق للتقوى العامة وعن احمد انه يؤخذ من الحديث
ان النهي اشد من الامر لانه لم يرخص في شيء منه والامر مقيد بالاستطاعة
ويؤيده قول بعضهم اعمال البر يعملها البار والفاجر والمعاصي لا يتركها
الا الصديقون وقد يؤخذ من هذا الحديث مبنى القاعدة المشهورة
وهي ان درء المفاسد اولى من جلب المصالح فاذا تعارضت مفسدة
ومصلحة قدم دفعها على نفعها لان اعتناء الشارع بالمنهيات اشد منه
بالمأمورات وهذا يوافق الحكمة البدنية ايضا فان الاحتماء اولى من استعمال
الدواء فانما اهلك الذين من قبلكم اي صار سبب هلاكهم كثرة مسائلهم
اي ما لم يحتج اليها الضرورات وقيل الاستفسار بحسن الاخبارات
وبقبح في الاشارات وذلك كقصة بني اسرائيل في قضية البقرة ونحوها
واختلافهم قال المص هو برفع الفاء لا بكسرها يفضي لفساد المعنى اي عصيانهم
على انبيائهم او ترددهم في اتيانهم ثم اعلم ان هذا الحديث من جوامع
الكلم وقد تضمن احكاما منها وجوب ترك المنهيات ومنها وجوب
فعل المأمورات لان الامر فيها للوجوب ومنها تحريم الاختلاف الموجب
للاختلال وكثرة السؤال من غير ضرورة داعية الى تلك الحال لانه توعد

عليه

عليه بالهلاك والوعيد على الشيء يقتضي تحريمه وقد قال تعالى واعتصموا بحبل الله
جميعا ولا تفرقوا اما الاختلاف فلانه سبب تفرق القلوب ووهن الدين
وظهور العيوب كما جرى للخوارج حين تبرأ بعضهم من بعضهم وانه خصوا و
ذلك حرام وسبب الحرام حرام واما كثرة السؤال من غير ضرورة به مشعر
بالتعنت او مفض اليه وهو حرام وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن قيل وقال
وكثرة السؤال وروى احمد انه عليه السلام نهى عن الاغلوطات وهي المسائل
المشكلات وورد سيكون اقوام من امتي يغلطون فقهاءهم بعضل المسائل
اولئك شرار امتي وقال الحسن شرار عباد الله الذين يتبعون شرار المسائل
يعمون بها عباد الله وقال الاوزاعي ان الله اذا اراد ان يحرم عبده
بركة العلم القى على لسانه المغاليط فلقد رايتهم اقل الناس علما وكان ابي بن كعب
وزيد بن ثابت وغيرهما من افاضل الصحابة اذا سئل احدهم عن مسئلة يقول
اوقعت فان قيل نعم قال فيها بعلمه او احال على غيره وان قيل لا قال
دعوها حتى تقع ثم هذا الكلام فيمن يسأل تعنتا وتكلفا واما من سأل حاجة وتفقها
فهو مثاب لقوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون لا سيما اذا كان
المسؤول عنه معدن الحقائق ومنبع الدقائق وان كنت لا بد مستشربا
فمن اعظم البحر تستشرب وفي الحديث اشارة الى وجوب اتباعه عليه
السلام وتسليم ما جاء به من الاحكام من غير معارضة ولا مدافعة اذ لم يترك
شيئا يقرب الى الله الا امر به ولا شيئا يبعد عنه سبحانه الا نهى عن
ذلك وهي امور لا يرشد اليها مجرد العقل اذ العقل لاقامة رسم العبودية
لا لادراك رسوم الربوبية بل تلك اسرار يكاشف بها من حضرة القدس
وحظيرة الانس القلب الاصفى للنبي المصطفى لانه من بين الخلق تخلق باخلاق
الحق فهذا العرش محمود وهذا محمد قال السهروردي العارف وجاء
مثالك ايها المحبوس في قفص عالم الحكمة مثال الجنين في بطن الام فانه
لو قيل له ان الله خلق السموات والارض والعرش والكرسي والشمس والقمر
ما يفهم ذلك ولا يهتدي ما هنالك فانت ايها المتعقل بعقلك ذلك



الجنين بما انكشف عينك من عالم الشهادة ولا تقضقضت بيضة وجودك
بعد ما ولدت فاذا انت بحالك تكشف عنك غطاءك فبصرك اليوم
حديد فتستيقظ من قدر رقدتك بموتك وترى عالما رأيته بعينك
كما قال بعضهم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا واما اهل الله وخاصته فوجدوا
ذلك ذوقا ومالوا الى ما هنالك شوقا وقد قال قائلهم لو كشف الغطاء ما ازددت
يقينا رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة خطبنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا ايها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا فقال رجل اكل
عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال ذروني ما تركتكم فانما
هلك الذين من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بشيء
منه فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فدعوه هذا وقد قال تعالى
لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم فقيل انها نزلت لما سئلوه عن الحج وقالوا
افي كل عام والمعنى ان جميع ما يحتاج اليه من امر الدين لا بد ان يبين
في القرآن المبين فلا حاجة الى السؤال وانما المحتاج فهم ما فيه بمساعدة
احاديث سيد المرسلين قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون
وقد صح ان اعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من اجل
مسألته وعن انس نهينا ان نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء
وكان يعجبنا ان يجيء الرجل من اهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع
وروى احمد انهم رشوا اعرابيا بردا حتى يسأل لهم ولعل هذا هو سبب
بسؤاله جبرائيل عليه السلام **الحديث العاشر** عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى طيب اي
جيد مأخوذ من الطيب والمعنى الثناء وسنده الاسماء قيل من اسمائه
الحسنى لصحة الحديث به كالجميل لحديث ان الله جميل يحب الجمال رواه
البيهقي بسند صحيح عن ابي سعيد واما ما زاد ابن عدي سخي يحب السخاء
ونظيف يحب النظافة فسنده ضعيف وكذا ما رواه الترمذي ان

مطلب

الله

الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة جواد يحب الجود ففي اسناده
مقال والحاصل ان معناه متصف بجميع صفات الكمال ومنزه عن
سمات النقصان والزوال لا يقبل من الاعمال والاقوال والاموال
الا طيبا لقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والمعنى
الا طاهرا خالصا من المفسدات كالعجب والرياء او حلالا احترازا من
مال المغصوب والربوا واعلم ان الطيب يطلق لمعان منها المستلذ
طبعا نحو هذا طعام طيب نحو قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء
ومنها الحلال ويقابله الخبيث كقوله تعالى قل لا يستوي الخبيث والطيب
ومنها الطاهر كقوله تعالى الطيبون للطيبات اي الطاهرون من العيوب
للطاهرات من الذنوب والله عز وجل طيب بهذا المعنى اي هو طاهر منزه
عن جميع النقائص والافات لا يقبل من الاعمال الا طاهرا من المفسدات
ولا من الاقوال الا طاهرا من المحرمات ثم اعلم انتفاء القبول قد يؤذن
بانتفاء الصحة كما في حديث لا يقبل الله صلوة احدكم اذا احدث حتى يتوضأ
وقد يفسر القبول بالثواب ومنه خبر احمد من صلى في ثوب قيمته عشرة دراهم
فيه درهم حرام لم يقبل له صلوة ما كان عليه ومنه قوله تعالى انما يتقبل
الله من المتقين فمعنى الحديث لا ينبغي ان يتقرب الى الملك المتعال
الا بما يكون حلالا من خيار المال كما قال تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون ولا يقبل الا عبدا متحليا بفضيلتي العلم والعمل نقيا من الشبهات
نقيا من النجاسات سليما قلبه من الافات ثم هذه الجمل المصدرة توطئة
لما هو الغرض من سياق هذا الحديث وهو استعمال اكل الحلال لحيازة
الكمال المستلزم لاجابة الدعاء في غالب الاحوال ولذا قال وان الله
عز اي شأنه وجل اي برهانه امر المؤمنين بما امر به من المرسلين
فسوى بين الرسل واممهم في خطاب المقال بعموم وجوب اكل الحلال
فقال اي الله كما في نسخة صحيحة وفي اخرى اكتفى بقوله تعالى يا ايها
الرسل هذا الخطاب والنداء ليسا على ظاهره لانهم ارسلوا في ازمنة مختلفة

فالمراد الاعلام بان كل رسول نودي بهذا في زمانه ليعتقد السامع ان ما نودوا
به جميعا حقيق بالاخذ والعمل م كذا في الكشاف وفيه نفحة اعتزالية لانهم لما لم
يثبتوا قدم الكلام حملوا على ذلك لنظام المرام لكن الحق ان الله متكلم في الازل
وان لم يكن ثم مخاطب فالخطاب على ظاهره واجيب عن هذا بان التعلق
التنجيزي في حال العدم بان يطلب من المكلف العقل او الفهم في حال العدم
محال بالاتفاق والمراد بالخطاب للمعدوم كما حققه شارح المختصر التعلق
العقلي وهو ان المعدوم الذي علم الله انه يوجد بشرائط التكليف توجه عليه
حكم في الازل بما يفهمه ويعقله فيما لا يزال انتهى وقد يقال يمكن الجمع بين القولين
بانه كما تعلق العلم الازلي بهذا الخطاب ظهر على وفقه التعلق التنجيزي بخطاب
الرسل واحدا بعد واحد في هذا الباب ويؤيده ان هذا كله محفوظ في ام الكتاب
كلوا من الطيبات اي الحلال ولو كان من المستلذات م قدمه على قوله
واعملوا صالحا اي كل ما يصلح من العبادات ليكون اشارة الى ان الصالح
من الاعمال لا بد ان يكون مسبوقا باكل الحلال وقال تعالى يا ايها الذين
امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم اي حلالات ما ملكناكم واعطيناكم اسند
الرزق اليه تحريضا لهم على غاية احتياطهم حتى لا ياكلوا الا الحلال المطلق
الذي يستاهل ان يضاف اليه ومن تبعيضية صيانة لهم عن الاسراف في
الكمية او اشارة الى ان جل رزقه ومحصوله اكثر من ماكوله ومع هذا حريص
على زيادة تحصيل والامر للاباحة او للوجوب كما لو اشرف على الهلاك في
المجاعة او للندب لموافقة الضيف ومعاونة الصوم وقوة العبادة
قال سهل بن عبد الله اداب الاكل ان يكون حلالا وهو ما لا يعصى الله فيه
وصافيا وهو ما لا ينسى الله فيه وقواما وهو ما يمسك النفس والعقل
وتماما وهو ان يؤدي شكر المنعم وفي الاية اشارة الى ان الحرام رزق
وهو مذهب اهل السنة خلافا للمعتزلة ودليلنا من الكتاب قوله
تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقد علمنا ان جميع المكلفين
ليس ياكلون حلالا فانهم قد يسرقون ويغصبون فيتغذون به ومن السنة

حديث ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فدل على ان جميع ما اكلته كل نفس
رزقها حلالا كان او حراما مع اجماع الامة على ان الله يرزق البهائم ما ياكله
وليس بملك لها فدل على ان اصل الرزق لا يشترط فيه الملك قال ابو
هريرة ثم ذكر اي النبي عليه السلام الرجل استطرادا بان عقب كلامه بذكر
الرجل الموصوف استبعادا لان الله يقبل دعاء اكل الحرام لبعد مناسبته
عن جنابه الاقدس لتكدر وقته وتسود قلبه فلفظة ثم للترتيب في الوجود
لا في رتبة الشهود يطيل السفر منصوب المحل لانه صفة للرجل لانه في المعنى
كالنكرة او حال كما جوز الوجهان في قوله تعالى يحمل اسفارا وقيد الاطالة لانها
اقرب الى الاجابة لان طول الغربة يقتضي زيادة الكربة والمعنى يطيل
السفر في العبادات كالحج وطلب العلم والغزوات ومع ذلك لا يستجاب له
الدعوة فكيف بمن هو منهمك في المعصية او الغفلة اشعث متفرق الشعر
كما هو من لوازم السفر اغبر متغبر الوجه في الاكثر صفتان اخريان او حالان
مترادفان من فاعل يطيل او متداخلان وفي هذين الحالين ايضا اشارة
الى ان رثاثة الهيئة من اسباب الاجابة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم
رب اشعث اغبر ذي طمرين مدفوع بالابواب لو اقسم على الله لابره ولذا ابد
ذلك في دعاء الاستسقاء يمد يديه اي رفعهما الى السماء لانها قبلة
الدعاء قائلا يا رب اعطني كذا يا رب جنبني كذا والمراد بها التكرار والالحاح
ويؤيده انه اخرج البزار مرفوعا اذا قال العبد يا رب اربعا قال الله
لبيك عبدي سل تعطه ولذا غالب ادعية القران مصدرة بذكر الرب
فانه نعت الربوبية يناسب حالة العبودية وقد قال جعفر الصادق من
حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد
لان الله تعالى حكى عنهم في اخر ال عمران انهم قالوه خمسا ثم قال فاستجاب
لهم ربهم وفي الحديث ان الله كريم يستحيي من عبده ان يرفع اليه كفيه ثم
يردهما صفرا خائبتين رواه احمد وابو داود والترمذي والحاكم والبيهقي
عن ابي موسى وسبب ذلك ان في رفعهما اشعارا الى الذل والانكسار والاقرار

بسمة العجز والافتقار ولذا قال صلى الله عليه وسلم سلوا الله ببطون اكفكم
ولا تسألوه بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم واما ما ورد في صحيح
مسلم انه صلى الله عليه وسلم جعل ظهورهما الى السماء فلعله من خصوصية دعاء
الاستسقاء لما فيه الايماء الى انقلاب الاحوال كما ذكر في تقليب الرداء
وروى احمد انه صلى الله عليه وسلم فعله وهو واقف بعرفة وحملوه على انه جمع
بين الوجهين فالاول لحصول مطلوب من النعماء والثاني لدفع ما وقع
به من البلاء وجاء ايضا انه رفع يديه وجعل ظهورهما الى جهة القبلة وهو
مستقبلها وجعل بطونهما مما يليه ولعله لبيان الجواز او لدفع ما يتوقع به
من المحنة فجعل يديه بمنزلة الجنة ثم في رفعهما الى السماء ايماء الى ان السماء
مخزن الارزاق ومعدن اسرار الخلاق ومعبد العمال ومحل الضياء و
منزل الصفاء ومطعمه حرام حال من فاعل تناول وهو مصدر ميمي بمعنى المفعول
وكذا قوله ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي هو بضم الغين وكسر الذال ذكره
المصر وهو بتخفيف الذال المعجمة في اكثر النسخ المعتبرة وفي المصابيح
وردت مشددة هي الحال انه قد حصل تغذيته وتنميته وتربيته بالحرام
فهو اشارة الى حال صغره كما ان قوله مطعمه الى حال كبره تنبيها على استمرار
حاليه في امره فاني الاستفهام للاستبعاد اي كيف ومن اين يستجاب
اي يجاب الدعاء لذلك اي الرجل الموصوف بالابتداء او لاجل كون
مطعمه ومشربه وملبسه حراما من الابتداء الى الانتهاء وقد قيل ان للدعاء جناحين
اكل الحلال وصدق المقال لكنه في هذا الزمان لا يوجد الا قليل في كثير من
الاحوال فلنكتف بغيره بما يحفظ دره عن البلا بموت جوعا وما احسن
قول بعض الظرفاء شعر يقولون لي الجهول بغير علم دع المال الحرام
وكن قنوعا فلما لم اجد مالا حلالا ولم اكل حراما مت جوعا
لكن قال بعض العارفين واذا كنت مضطرا ياكل الميتة فينبغي انك
ما دمت تلقى غنما لا تاكل من حمار وما دمت تجد حمارا لا تاكل من كلب وما دمت
يصادف كلبا لا تباشر خنزيرا ففيه الاشارة الى ان وقت الابتلاء

بالمحرمات

بالمحرمات والشبهات ينبغي ان يراعي ما يوجد اقرب الى الحلال ثم اقل المراتب
في هذا الباب ان يحترز عما حرمه فتوى العلماء وهو ورع العامة ثم يمتنع عما يتطرق
اليه احتمال التحريم وان افتى المفتي بحله بقوله عليه السلام فيما سياتي واتى افتوك
وهو ورع الصالحين ثم ترك ما لا باس به مخافة ما به باس وهو ورع
المتقين ثم الحذر عن كل ما لا يراد بتناوله القوة على الطاعة او يتطرق الى
بعض اسبابه معصية او كراهية وهو ورع الصديقين رواه مسلم وهو احد
الاحاديث التي عليها قواعد الاسلام وبيان الاحكام وعليه العمدة في اكتساب
الحلال واجتناب الحرام واخرج الطبراني عن ابن عباس قال تليت عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية يا ايها الناس كلوا مما في الارض
حلالا طيبا فقال سعد بن ابي وقاص يا رسول الله ادع الله ان يجعلني
مستجاب الدعوة فقال النبي عليه السلام يا سعد اطلب مطعمك
تكن مستجاب الدعوة والذي نفس محمد بيده ان العبد ليقذف اللقمة
الحرام في جوفه ما يتقبل منه اربعين يوما وايما عبد نبت لحمه من سحت
فالنار اولى به وقد قيل لم يستجاب دعوتك دون الصحابة
فقال ما رفعت الى في لقمة الا وانا اعلم من اين جاءت ومن اين خرجت
وجاء في حديث انه اذا خرج الحاج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز اي
الركاب فقال لبيك ناداه ملك من السماء لا لبيك ولا سعديك وحجك
مردود عليك **الحديث الحادي عشر** قيل انه مبني على السكون وقيل
على الفتحة التقديرية وقيل بالفتحة اللفظية عن ابي محمد الحسن كناه به
بذلك وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علي بن ابي طالب
وقع في اصل ابي حجر هنا رضي الله عنهما وهو في غير محله لتوهم رجع الضمير
الى علي وابي طالب فالصواب تاخيره كما في النسخ المعتبرة على ما سياتي
سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجر على انه بدل من ابي محمد او بيان
للحسن ويجوز رفعه على انه خبر مبتدا مقدر هو هو ونصبه بتقدير اعني
اي ابن بنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها وريحانته اي طيب قلبه

او رزق ابيه او راحة روحه وليه وهو مأخوذ من قوله عليه السلام في شأن
الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا وفي رواية من الجنة ولد في
نصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة على الاصح ومات سنة خمسين
مسموما من زوجته بارشاد يزيد بن معاوية لها على ذلك كما قيل ودفن
بالبقيع وكان من العلماء الكرماء ومروياته ثلاثة عشر حديثا وعلقت فاطمة بأخيه
الحسين بعد خمسين يوما من ولادته رضي الله عنهما اي عن الحسن وعلي ومن
جملة مناقبه وعلو مراتبه ما رواه مسلم عن ابي هريرة انه عليه السلام قال للحسن
اللهم اني احبه فاحبه وعن معاوية قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم
يمص لسانه او قال شفته يعني الحسن وانه لن يعذب لسان او شفة
مصها النبي صلى الله عليه وسلم وروي انه حج خمس عشرة حجة ماشيا
والنجائب تقاد بين يديه وخرج من ماله مرتين وقاسم الله ماله ثلاث
مرات وربما اجاز الواحد مائة الف وقد احصى سبعين امرأة ولما
بايعه الناس بعد ابيه ولي الخلافة سبعة واحد عشر يوما ثم تركها خشية
سفك الدماء مطابقة لما روى الحسن البصري عن ابي بكرة قال بينما رسول
الله يخطب جاء الحسن حتى صعد المنبر فقال ان ابني هذا سيد وان الله سيصلح
به بين فئتين عظيمتين من المسلمين قال حفظت من وفي نسخة ضبطت
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك هو بفتح
الياء وضمها لغتان والفتح افصح واشهر ومعناه اترك ما شككت فيه
واعدل الى ما لا تشك فيه ذكره المص واشار فيه الى ان الى متعلقة بمقدر
كاعدل او اذهب والمعنى خذ ما تيقنته حسنا وحلالا واترك ما شككت في
كونه حسنا ام قبيحا وفي كونه حلالا او حراما ويقال دع ذلك الى كذا اي
استبدله به والامر فيه للندب فعن عمر رضي الله عنه ما شبه فيها بعض الريبة
خير من المسألة وروي عن زيد بن ثابت انه قال ما شيء اسهل من الورع
اذا رابك شيء فدعه وقال ابو ذر تمام التقوى ترك بعض الحلال
خوفا ان يكون حراما وقيل لابن ادهم الا تشرب من ماء زمزم فقال

لوكان

لو كان لي دلو لشربت اشارة الى ان الدلو من مال السلطان وهو شبهة
ثم اعلم ان الريبة يقع في العبادة والمناكحة وسائر انواع المعاملة ومن ثم
كان الخروج من الخلاف في كل مسألة افضل باجماع علماء الامة لانه ابعد عن
الشبهة فالمعنى اترك ما تشك فيه من الاموال انه من نوع الحرام والحلال
او ما تردد فيه من الاقوال والافعال انه منهي عنه او لا او سنة او بدعة
واعدل الى ما لا تشك فيه من الاحوال والمقصود ان يبني المكلف اموره
في الدين على اليقين واما بلسان العارفين لمعناه اذا كنت صحيح الخاطر
طاهر الباطن نقي القلب مراقبا للغيب وتعرف لمة الملك لمة من الشيطان
والالهام من حديث النفس وكنت مميزا بين الحق والباطل بنور الفراسة
دع ما يريبك من الاغلوطات القلبية والشبهات النفسانية او الشيطانية
الى ما لا يريبك مما ينزل بقلبك وعقلك وروحك من الالهام
الالهي وكما ان ترك ما لا يريبك مامور به فترك ما يريب الغير مما صعب
على افهام العامة اولى كما اشار الى ذلك الامام الاعلى شعر اني لاكتم
من علمي جواهره * كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا * يا رب جوهر علم لو
ابوح به * لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا * ولاستحل رجال مسلمون دمي
يرون اقبح ما يأتونه حسنا * رواه الترمذي بكسر التاء والميم وبفتح
الاولى وحكي ضمهما والكل بالذال المعجمة نسبة لمدينة قديمة على طرف
جيحون نهر بلخ وهو ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة وكان من اوعية الفقه
والحديث لقي البخاري وخلقا كثيرا توفي بترمذ من وراء جيحون في رجب
سنة تسع وسبعين ومائتين والنسائي بفتح النون والسين مقصورا
وبمد منسوب الى نسا خراسان وهو الامام ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب
رحل واجتهد واتقن الى ان تفرد فقها وحديثا وامانة وديانة ومات بمكة
سنة ثلاث وثلثمائة كذا ذكره الشارحون ونسبوه الى جامع الاصول
ونقل ابن حجر انه مات بالرملة والله اعلم ورواه ايضا ابن حبان في صحيحه والحاكم
وقال الترمذي حديث حسن صحيح اي حسن باعتبار اسناده آخر والجمع

بينهما باعتبار التردد فيه هل هو مترق من درجة الحسن الى الصحة ام لا
بحذف كلمة او كما تحذف من الذي بعده فلا يرد ما قيل من ان الجمع بينهما في
حديث واحد كالجمع بين المتنافيين لان الحسن قاصر درجة عن مرتبة الصحيح
كما يظهر لك من تعريفهما في اصول الحديث وذكر ابن الصلاح وجها
آخر وهو انه اراد بالحسن اللغوي بالصحيح الاصطلاحي وهو ما تستحسنه
النفس ويميل الطبع اليه انتهى ولا يبعد ان يكون الامر بالعكس
بان يراد الصحيح الثابت سنده وقد يقال حسن لذاته وصحيح لغيره
وعند الترمذي وغيره زيادة فيه وهي فان الصدق طمانينة والكذب
ريبة ولفظ ابن حبان فان الخير طمانينة وان الشر ريبة وقد اخرجه
احمد ايضا عن انس والطبراني عن ابن عمر وروى ابو نعيم في الحلية والخطيب
عن ابن عمر مرفوعا دع ما يريبك الى ما لا يريبك فانك لا تجد
فقد شيء تركته لله وروى باسناد ضعيف عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل دع ما يريبك الى ما لا يريبك
قال كيف لي بالعلم قال اذا اردت امرا فضع يدك على صدرك
فان القلب يضطرب للحرام ويسكن للحلال وان المسلم الورع يدع
الصغيرة مخافة الكبيرة زاد الطبراني قيل له فمن الورع قال الذي يقف
عند الشبهة ومن ثم تنزه يزيد بن زريع عن خمسمائة الف من ميراث
ابيه فلم يأخذها وكان ابوه يلي الاعمال للسلاطين وكان يزيد يعمل
الخوص ويتقوت منه الى ان مات وقد قيل ينبغي ان التدقيق
في التوقف عن الشبهات انما يصلح لمن استقامت احواله وتشابهت
اعماله بخلاف المنتهك في المحرمات ومن ثم قال ابن عمر لمن ساله عن
دم البعوض قتلوا الحسين ولم يسالوا واستاذن رجل بعض السلف
ان يكتب من محبرته فقال هذا ورع مظلم وقال لآخر في مثل ذلك ما بلغ
ورعي ولا ورعك هناك وقد قال بعض علمائنا هذا زمان
الشبهات وقت اي استعمالها وترك المحرمات والمعنى ان كثرة الشبهات

وقلة

وقلة الحلال اوجبت ان يكون الورع منحصرا في ترك المحرمات ويؤيده
انه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انتم في زمان لو تركتم عشر ما علمتم
لهلكتم ويأتي على الناس زمان لو عملوا العشر مما علموا لنجوا وفقنا الله
لمرضاته ورزقنا رزقا حسنا مقويا للطاعة

الحديث الثاني عشر

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه بفتح اول ذكره المصري بكسر
ثالثه اي لا يهمه من العناء بمعنى الاعتناء والمعنى ما لا ضرورة فيه ولا منفعة له
والضمير المستتر المرفوع راجع الى ما والضمير المنصوب الى المرء بمعنى الشخص
الشامل للرجل والمراة ومن للتبعيض لان محاسن الاسلام كثيرة ومن
جملتها فعل ما يعنيه وتركه مصدر مضاف الى الفاعل الراجع الى المرء وما لا
يعنيه مفعوله والمجموع مبتدا ومن حسن خبره وانما قدم الخبر لاشتمال
المبتدا على ضمير يرجع الى متعلق الخبر فهو من باب على التمرة مثلها زبدا
ثم اعلم ان الذي يعني الانسان من الامور ما يتعلق بضرورة حياته في
معاشه مما يشبعه من جوع ويرويه من عطش ويستر عورته ويعف فرجه
ويليقه ويسكنه ولضرورة سلامته في معاده وهو الاسلام والايمان
والاحسان على ما مر بيانه وسبق برهانه وذلك يسير بالنسبة الى ما لا يعنيه
ان يسلم من سائر الآفات وجميع الشرور والمخاصمات وكان ذلك من الفوائد الدالة
على حسن اسلامه وثبات مقامه وحقيقة تقواه ومجانبة لهواه لاشتغاله
بمصالحه الاخروية واعراضه عن اغراضه الدنيوية واعراضه الشهوية
من التوسع في الدنيا الدنية وطلب المناصب والرياسات النفسية وجمع
الكلام انه ينبغي للمرء ان يشتغل بالامور التي يكون فيها صلاح معاشه
ومعاده ويتصرف في الدنيا بمقدار اخذ زاده لحصول مراده ويسعى
في الكمالات العلمية والحالات العملية التي هي وسائل الى حصول السعادات
الابدية ووصول النعم السرمدية وقد قال انس استشهد غلام منا
يوم احد فوجد على بطنه صخرة مربوط من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه

وقالت هنيئا لك الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله
كان يتكلم فيما لا يعنيه وروي انه عليه السلام قال لابي هريرة تريد ان
لا يجري عليك القلم قال نعم يا رسول الله اد فرائض الله وكف المحارم
ودع الكلام فيما لا يعنيك وكان الصديق الاكبر يقول يا ليتني كنت
اخرس الا عن ذكر الله وقال معروف مقت الله للعبد ان يراه مشتغلا
بما لا يعنيه فانه من اشتغل بما لا يعنيه فاته ما يعنيه وقال الغزالي حد ما لا
يعنيك في الكلام ان يتكلم بما لو سكت عنه لم يأثم ولم تتضرر حالا ومآلا
فانك به تضيع زمانك وتحاسب على ما نطق به لسانك اذ تستبدل
الذي هو ادنى بالذي هو خير ولو صرفته في الفكر والدعاء ربما ينفتح لك من
نفحات رحمة الله ما يعظم جدواه ولو سبحت بني لك قصر في الجنة ومن قدر
على ان يأخذ كنزا من كنوز الجنة واخذ بدله بدرة كان خاسرا في التجارة ثم
حسن الاسلام عبارة عن كماله وتمامه والاستسلام لاحكامه وهو علامة شرح
الصدر بنور الرب ونزول السكينة على القلب حديث حسن بل صرح
ابن عبد البر بانه صحيح رواه الترمذي وغيره في الجامع الصغير للسيوطي انه رواه
الترمذي وابن ماجه عن ابي هريرة واحمد والطبراني عن الحسن بن علي والحاكم
في الكنى عن ابي بكر والشيرازي عن ابي ذر والحاكم في تاريخه عن علي بن ابي طالب
والطبراني في الاوسط عن زيد بن ثابت وابن عساكر عن الحارث بن هشام
هذا وفي اصل ابن حجر زيادة هكذا في الغالب في الاصول فقال موصولا
ولا ينافيه رواية مالك له في الموطأ عن الزهري مرسلا لان للزهري
فيه اسنادين احدهما مرسل وهو ما رواه مالك والآخر موصول وهو
ما رواه الترمذي وغيره والاتصال مقدم على الارسال وبذلك
يجاب عن قول احمد والبخاري وابن معين والدارقطني لا يصح الا مرسلا
اقول وله جواب آخر وهو ان اسناد المرسل صحيح واسناد الموصول
حسن ولا تنافي بينهما فلا يحتاج الى قول ابن حجر على ان الطرق وان ضعفت
اذا اجتمعت احدثت له قوة ولعل هذا من اسباب تحسين المصنف له انتهى

ولا يخفى انه لم يقل احد بضعف هذا الحديث حتى احتيج الى تحسينه بتعدد
طرقه بل لعل تعدد طرقه باسانيد حسنة اوجب ابن عبد البر ان يقول
بتصحيحه فكانه اراد انه حسن لذاته صحيح لغيره او باعتبار بعض طرقه صحيح
ومن ثم قال ابن عبد البر رواته ثقات ثم هذا الحديث من جوامع الكلم
الجزلة لاندراج المعاني الجليلة في اندماج المباني القليلة ولعله مستفاد
من قوله تعالى فيما وصف به المؤمنين الكاملين قد افلح المؤمنون الذين
هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون ولهذا لما رأى
عليه السلام من يعبث بلحيته في صلاته قال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه
وفيه اشارة الى ان اللغو يكون في القول والفعل والخاطر وقد قال
ابو داود هذا الحديث ربع الاسلام وروي عنه عليه السلام انه قال
في صحف ابراهيم من عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وروي ان رجلا
وقف على لقمان الحكيم وهو في حلقة عظيمة فقال الست عبد بني فلان
قال بلى قال فما الذي بلغ بك ما ارى قال قدر الله وصدق الحديث
وترك ما لا يعنيني وعن الحسن من علامة اعراض الله عن العبد ان يجعل
شغله فيما لا يعنيه واخرج الترمذي ان رجلا مات اي شهيدا كما في رواية
فقال آخر ابشر بالجنة فقال صلى الله عليه وسلم اولا تدري فلعله
تكلم فيما لا يعنيه او بخل بما لا يغنيه واخرج الفضيلي مرفوعا اكثر الناس ذنوبا
اكثرهم كلاما فيما لا يعنيه الحديث الثالث عشر عن ابي حمزة بحاء مهملة
وزاي مفتوحتين لبقلة [illegible] كناه صلى الله عليه وسلم بها لاجتنائه اياها
انس بن مالك رضي الله عنه الانصاري الخزرجي النجاري خادم
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صح عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما قدم المدينة كان عمره عشر سنين وان امه ام سليم اتت به النبي
صلى الله عليه وسلم اي في السنة الاولى من الهجرة فقالت له خذه
غلاما يخدمك فقبله وقد قالت له يوما يا رسول الله ادع له فقال اللهم
اكثر ماله وولده وادخله الجنة وفي رواية اكثر ماله وولده وبارك له فيما

قال فلقد رزقت من صلبي سوى ولد ولدي مائة وخمسة وعشرين اى ذكورا
ولم يرزق الا ابنتين على ما قيل وان ارضي تثمر في السنة مرتين وانا ارجو
الثالثة واستمر في خدمته صلى الله عليه وسلم الى ان توفي وهو عنه راض ثم
توطن بالبصرة وكان آخر الصحابة بها موتا سنة تسعين عن مائة سنة او عشرين
سنة مات بقصره بالطف على فرسخين من البصرة واوصى ثابت البناني
ان يجعل تحت لسانه شعرة كانت عنده من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ففعل وهو احد المكثرين روى له الفان ومائتا حديث منها عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لا يؤمن احدكم اى ايمانا كاملا بدليل ما سبق
في حديث جبريل من تعريف اهل الايمان انه التصديق فقط ونفي اسم
الشيء على نفي الكمال عنه مستفيض شائع في كلامهم لقولهم فلان ليس
بانسان فان قيل فاذا حصل هذه المحبة يلزم ان يكون مؤمنا كاملا وان
لم يأت بسائر اركان الطاعة اجيب بان هذا مبالغة كان الركن
العظيم فيه هذه المحبة نحو لا صلوة الا بطهور او هذا الحصر بالنسبة الى
حقوق العباد دون حقوق الله سبحانه والمعنى لا يكمل ايمان احدكم بان
يترقى من حضيض التقليد الى ذروة اليقين والتأييد حتى يحب لاخيه
اى المسلم كما في رواية الاسماعيلي وكذا رواية احمد والنسائي ولفظ
حتى هنا جارة لا عاطفة ولا ابتدائية اذ ما بعدها خلاف ما قبلها وان
بعدها مضمرة ولهذا النصب يجب ولا يجوز رفعه هنا لان عدم الايمان
ليس سببا للمحبة ما يحب لنفسه اى من الطاعات والمباحات كما جاء
في رواية النسائي من الخير كذا قال شارح ولكن رواية الاسماعيلي
والنسائي وابن منده حتى يحب لاخيه من الخير ما يحب لنفسه اى مثل
ما يحب لنفسه فان عين ذلك المحبوب محال ان يحصل في محلين
قال المص في شرح مسلم وليس هذا من الصعب الممتنع كما ظن اذ القيام
بذلك يحصل بان يحب له مثل ذلك من جهة لا يزاحمه فيها بحيث لا تنقص
النعمة عن اخيه شيئا من النعمة عليه ويرحم عليه في جميع الاحوال وذلك سهل

على القلب

على القلب السليم انتهى وكذا من كمال الايمان ان يبغض لاخيه ما يبغض
لنفسه ولم يذكره لان حب الشيء يستلزم بغض نقيضه فيكون من الاكتفاء
وكما اكتفى في الحديث السابق بترك ما لا يعنيه عن فعل ما يعنيه ثم رأيت
في رواية احمد افضل الايمان ان تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره
لنفسك وتحقيق ذلك ان المؤمنين متحدون بحسب الارواح متعددون
باعتبار الاشباح كنور واحد في مظاهر مختلفة او كنفس واحدة في ابدان
متفرقة بحيث لو تألم البعض تألم الكل كما جاء في الحديث الآخر المؤمنون
كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر
وذلك لان ايمانهم من اثر نور الهداية شريعة وطريقة ومن اثر انوار اسمائه
وصفاته حقيقة فارواحهم اتحدت بذلك النور المقتضي للالفة والرحمة
فان حزن واحد حزنوا وان فرح واحد فرحوا وهذا مقام الجمع بالروح
وهو ان يجتمع عند تجلي الروح له عن تفرقة الطبيعة وهناك مقام اعلى
يقال له جمع الجمع وهو ان يجتمع عند تجلي الحق له عن تفرقة الغير روحانيا
ونفسانيا وملكيا وملكوتيا فلا يرى غير الله لاختفاء ما سواه من جميع
الاشياء كاختفاء النجوم عند اشراق الشمس في السماء وكالهباء في
الهواء رواه البخاري ومسلم و/ رواه احمد والترمذي والنسائي وابن
ماجه كلهم عن انس لكن لفظ مسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى
يحب لاخيه او قال لجاره ما يحب لنفسه ولفظ احمد لا يبلغ عبد حقيقة
الايمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير هذا وقد ورد لا حرج على
من كره الامتياز بالجمال وروى احمد والحاكم وصححه ان مالك بن مرارة
قال يا رسول الله قد قسم لي من الجمال ما ترى فما احب ان احدا من الناس
فضلني بشراكين فما فوقهما أليس ذلك هو البغي فقال لا ليس ذلك من
البغي ولكن البغي من بطر او قال سفه الحق

الحديث الرابع عشر

عن ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ بحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه اى لا يحل اراقة دم شخص وهو

كناية عن قتل مسلم ان يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله كما
في البخاري ومسلم وجامع الاصول وقال اخرجه الخمسة فوجدته
لا يظهر ولعل الاكتفاء به وقع في رواية لها لا ان الاولى ان يختار لفظ
الاشهر والاكثر فتدبر الا باحدى ثلاث اي ثلاث خصال والتقدير
لا يجوز قتل مسلم بسبب من الاسباب الا بارتكاب احدى خصال ثلاث
وهي زنا المحصن وقتل النفس بغير حق والارتداد فتفصيل ذلك
بتعداد المتصفين به المستوجبين القتل لاجله فقال الثيب بالرفع
وهو الرواية كما صرح به الشارح الكازروني فيقدر المبتدا اي
احدها او الخبر اي منها او مضاف اي خصلة الثيب او زناه او يقال
هم الثيب الى اخره وهو الاظهر فتامل وجوز نصبه بتقدير اعني وجره
بالبدل وهو اسم جنس يشمل الرجل والمراة الزان بحذف الياء
تخفيفا كالمتعال وفي نسخة صحيحة باثبات الياء والمراد بالثيب
المحصن وهو المكلف الحر الذي اصاب بعد التكليف والحرية
نكاحا صحيحا ولابد من تحقق وطي عنه بالمقابلة بقوله عليه السلام البكر
بالبكر ثم للامام لا للاحاد رجمه ولا يجوز قتله بغير ذلك اجماعا لما ثبت
ان عمر رضي الله عنه قال في خطبته ان الله بعث محمدا نبيا وانزل عليه
كتابا وكان فيما انزل الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة
نكالا من الله ان الله كان عزيزا حكيما وقد رجم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورجمنا الحديث رواه مسلم وغيره وكان ذلك بمشهد
من الصحابة فلم ينكر عليه وفي صحيح البخاري قال عمر رضي الله عنه خشيت
ان يطول بالناس زمان حتى يقول قائل لا نجد الرجم في كتاب الله
فيضلوا بترك فريضة انزلها الله الا وان الرجم حق على من زنى وقد
احصن اذا قامت البينة او كان الحبل او الاعتراف ورجم علي ايضا
كما في صحيح البخاري وغيره وحكوا على ذلك اجماع الصحابة ومن بعدهم
ممن يعتد باجماعه واما البكر والمكلف غير المحصن فان كان حرا فيجلد

مائة

مائة وان كان رقيقا فيجلد خمسين والتغريب عندنا ثم من الحكمة في قتل
الزاني ان في الزنا مفاسد من اختلاط الانساب وتضييع الاولاد وتوثب
كل رجل على كل امراة بمقتضى طبعه وهواه فيهيج الفتن والحروب
بين الانام بعد التشبيه بالبهائم والانعام والله رؤف بالعباد وهو
لا يحب الفساد ثم حكم اللواطة يعرف بادلة اخرى تفصيلها في محلها الاخرى
والنفس بالنفس اي وقاتل النفس يحل قصاصا بالنفس التي قتلها
عدوانا بالشروط المعتبرة في الفروع وهو مخصوص بولي الدم ولا يحل
قتله لاحد سواه حتى لو قتله غيره لزمه القصاص وظاهر الحديث المطابق
لقوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس يؤيد مذهب ابي حنيفة
في ان المسلم يقتل بالذمي وان الحر يقتل بالعبد خلافا للائمة الثلاثة في
اعتبارهم [illegible] الحرية لمفهوم قوله تعالى الحر بالحر والعبد بالعبد
وفي الاسلام لقوله عليه السلام لا يقتل المسلم بكافر ودفع بان المراد
بالكافر الحربي بدليل ما رواه الطحاوي في مسنده ان النبي عليه السلام
قتل مسلما بذمي وقال انا احق من وفى بذمته وكذا رواه ابو حنيفة
وابو داود في مراسيله وعبد الرزاق والدارقطني ويؤيده ما رواه
الشافعي والدارقطني عن علي من كانت له ذمتنا فدمه كدمنا وديته
كديتنا واما الحديث الحسن الذي في التاريخ الاوسط للبخاري وسنن
ابي داود من قوله عليه السلام لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد بعهده
فمحمول على الكافر الحربي المستامن بين الادلة وان المقابلة في الاية
رد على اهل الجاهلية في عدم اعتبار المماثلة بالكلية كما يدل عليه قوله سبحانه
والانثى بالانثى فان الاجماع على انه يقتل الذكر بالانثى والانثى بالذكر
فتدبر واما الاستدلال لهم بقوله تعالى ولكم في القصاص فرد بانه لا مساواة
في الانفس كما لو قتل عشرة واحدا او قتل صحيح سليم كبيرا صغيرا او
رجل امراة مع نقصان عقلها وديتها عن دية الرجل فثبت ان لا
اعتبار بالمساواة في ايجاب القصاص في الانفس وان الكامل يقاد منه

لئن قصر وتخن قال بان الحر يقتل بالعبد سعيد بن المسيب والنخعي والشعبي
وقتادة والثوري محتجين بقوله عليه السلام المسلمون تتكافؤ دماؤهم
بل وذهب النخعي والثوري في احد قوليهما الى ان الحر يقتل به وان كان
عبده محتجين في ذلك بما رواه النسائي من حديث الحسن عن سمرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل عبده قتلناه ومن جدعه
جدعناه ومن خصاه خصيناه قال البخاري وانا اذهب اليه وقال غيره
لم يسمع الحسن عن سمرة الا حديث العقيقة وهو مدفوع بان من حفظ
حجة على من لم يحفظ وبان اعتبار الاتصال اولى من اعتبار الانفصال
قال بعض العرفاء كما كتب الله سبحانه القصاص على القتلى كتب على نفسه
الرحمة في قتلاه الذين بذلوا الروح الانساني عند شهود الجلال الصمداني
كما قال من احبني قتلته اي بسيف المجاهدة وسنور المشاهدة ومن قتلته
فانا ديته الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى اي من كان في رق غيره
من المكونات لم يتصل به غاية الاتصال ومن كان ناقصا في دعوى محبته
لم يكن مستحقا لكمال مودته ومن كان الله ديته فله حيوة الدارين والبقاء
برب الثقلين والتارك لدينه يعني به المرتد بعد يقينه وفي رواية
للمسلم التارك للاسلام وهو اظهر في المرام المفارق اي بقلبه و
اعتقاده او ببدنه او لسانه للجماعة اي المعهودين وهم جماعة المسلمين
فهو تاكيد لما قبله اي الذي فارق جماعة المسلمين وخرج عن جملتهم وانفرد
عن زمرتهم بالردة التي هي قطع اهل الاسلام ومودتهم فيجب قتله ان لم يتب
واستثناء المرتد من المسلم باعتبار ما كان قبل ردته خصوصا وعلاقة
الاسلام مرتبطة بدليل انه لا يقتل حتى يستتاب ثلاثا وانما يقتل لان
في اقراره على الردة مع اصراره خللا لنظام عقد الاسلام فوجب قتله
حفظا للاحكام واختلف في المرأة المرتدة فقال الشافعي واحمد
تقتل بقوله عليه السلام من بدل دينه فاقتلوه رواه الشيخان وهو عام في
الرجل والمرأة ولان اشارة الحديث المذكور الى ان العلة تبديل الدين

موجودة

موجودة في المرأة وقال ابو حنيفة لا تقتل لنهيه صلى الله عليه وسلم
عن قتل النساء كما في الصحيحين وهو خاص فيهن فيقدم على عموم من بدل
دينه فاقتلوه وفي اثار محمد بن الحسن عن ابن عباس اذا هن ارتددن
لا يقتلن ولكن يحبسن ويدعين الى الاسلام ويجبرن عليه ولان العلة
في قتل الرجل بالردة انه لو اقر على الاصرار للحق بالكفار فكثر سوادهم و
حارب المسلمين فكفت عاديته بالقتل وهذا مفقود في المرأة فانها
ليست من اهل الحرب والنكاية فلا يخاف منها الاعانة واما قول ابن
حجر هذا منقوض بجواعل والرهبان فمدفوع بانه من النوادر في هذا
الجنس ثم في الحديث دليل على انه لا يقتل بالبدعة او نفي الاجماع الخالي
عن نقل التواتر كالروافض والخوارج وكذا تارك الصلوة لا يقتل واما
قوله صلى الله عليه وسلم من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر فليس على ظاهره
خلافا لاحمد فان الجمهور اولوه بان معناه قارب الكفر او شابه
الكافر او كفر نعمة ربه او جره الى كفره في اخر امره او حملوه على مستحل
فيدخل في حد المرتد واما تفسير الشافعي للحديث بانه استحق عقوبة
الكفر فليس ظاهرا في المراد فانه يحتمل استحقاق عقوبته في الدنيا
والاخرى مع انه ليس يقاتل الكفر في المعاد واما ما ذكره بعضهم من
ان المرتد بدل كل دينه والمفارق بعض دينه فدخل في الحديث
اهل البغي والخوارج يجب المقاتلة معهم حتى يرجعوا الى الحق ففيه ان
الكلام في القتل لا في المقاتلة الا ترى ان الاجماع على عدم جواز قتل
باغ بانفراده او خارجي او رافضي وحده فانه لا يلزم من جواز المقاتلة
جواز القتل الا ترى ان مانعي الزكوة يقاتلون بخلاف من تركها من غير
قتال فانه لا يقتل فكذا تارك الصلوة فحصلت الموافقة بين هذا
الحديث وما سبق من حديث امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا
ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة بل هذا الحديث مبين لاجمال قوله
الا بحق الاسلام فانه محصور في هذه الثلاثة من الاحكام كما جاء مصرحا

مرويا عنه عليه السلام ثم خص من عموم هذا الحديث دفع الصائل فانه
لو ادى الامر الى قتله حل اراقة دمه او التقدير لا يحل تعمد قتله الا في هذه الثلاثة
وقد ابعد من قال يدخل في المفارق للجماعة ولا يخفى ان الارتداد حال
الاشقياء من اهل القهر الالهي والطرد الكلي لا يفتح لهم باب القلب فبابه
الالهام ولا باب السمع والبصر فيدخلهما الفهم والاعتبار فارتدوا
عن طريق الحق وصراط التوحيد واجتنبوا الظلمات دار البوار فنسأل
الله اللطيف العزيز الغفار رواه البخاري ومسلم وتقدم انه رواه
الخمسة وقد اخرجه احمد ايضا لكن عن ابي امامة ابن سهل قال كنا
مع عثمان وهو محصور في الدار فقال انهم ليتوعدونني بالقتل قلنا
يكفيكهم الله يا امير المؤمنين قال ولم يقتلونني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث
رجل كفر بعد اسلامه او زنى بعد احصانه او قتل نفسا فيقتل بها فوالله
ما احببت بديني بدلا منذ هداني الله ولا زنيت في جاهلية ولا
اسلام قط ولا قتلت نفسا فبم يقتلونني

الحديث الخامس عشر

عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من كان يؤمن اي ايمانا كاملا بالله واليوم الآخر اكتفى بهما في ما يؤمن به
لان المدار عليهما وخص اليوم الآخر بالذكر لان الخير والشر ورجاء الثواب
وخوف العقاب كلها راجعة الى الايمان باليوم الآخر فمن لم يعتقده لم
يرتدع عن شر ولم يقدم على خير وتكرير الشرطية في كل جملة للاهتمام والاعتناء
بكل خصلة مستقلة فليقل بسكون اللام وبكسرها اي فليقل قولا خيرا او فليذكر
خيرا لما فيه منفعة او ليصمت بضم الميم ذكره المصنف اي ليسكت ويترك
شرا لما فيه مضرة واو للتنويع والمعنى اذا اراد المؤمن ان يتكلم فان
كان ما يتكلم به خيرا يثاب عليه واجبا كان او مندوبا فليتكلم به وان
لم يظهر له خيره سواء ظهر انه حرام او مكروه او مباح فليمسك عنه فالكلام
المباح مأمور بتركه مخافة انجراره الى حرام او مكروه او خيفة من غفلة عن جناب

ذكره

ذكره ومقام فكره ولذا قال الصديق الاكبر ليتني كنت اخرس الا عن ذكر الله
وفي الخبر ليس يتحسر اهل الجنة يوم القيمة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا
الله فيها وفي حديث اخر من صمت نجا فاعلم ان الصمت في وقته صفة الرجال
لما في الكلام من الآفات النقال واختلاف الاحوال من حظ النفس
واظهار الامتياز من بين الاشكال وبه يظهر لمعات الطوارق وتطلع
شموس الحقائق كما ان النطق في موضعه من افضل الخصائل واشرف
الشمائل ولذا قال الدقاق من سكت عن الحق فهو شيطان اخرس
وقال غيره الجاهل اذا تكلم فهو كالحمار واذا سكت فهو كالجدار وفيه
اشعار بان سكوته في مقامه خير من كلامه اذ لا ضرر في سكوته مع ظهور الشر
في رفع صوته ولقد صدق من قال وحقق شعر تكلم وسدد ما استطعت
فانه ، كلامك حق والسكوت جماد ، فان لم تجد قولا سديدا تقوله ،
فصمتك عن غير السديد سداد ، قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا
الله وقولوا قولا سديدا وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم ان في صحف
ابراهيم عليه السلام على العاقل ان يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا
للسانه ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وجاء في خبر انك
لن تزال سالما ما سكت فاذا تكلمت كتب لك او عليك وروى
احمد والترمذي والنسائي ان احدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لم
يظن ان تبلغ ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه الى يوم القيمة وان
احدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت فيكتب الله
عليه بها سخطه الى يوم القيمة والاحاديث في هذا المعنى كثيرة المبنى وقال
الفضيل لا حج ولا رباط ولا جهاد اشد من حبس اللسان على العباد
وقال لابنه لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب ومعناه
كما قال ابن المبارك لو كان الكلام بطاعة الله من فضة لكان السكوت
عن معصية الله من ذهب وهو صريح في ان الكف عن المعصية افضل
من الطاعة التي لا يكون تركها معصية وفيه اشارة الى ان الصمت افضل

من الكلام لكن ذهب جماعة من السلف الى تفضيل الكلام ويؤيده هذا الحديث
حيث قدم الكلام في معرض المرام وامر بالسكوت عند عدم وجود قول الخير
خوفا من وقوعه في الشر فيفيد ان قول الخير غنيمة والسكوت عن الشر سلامة
والايمان مشتق من الامان ولا امان لمن فاته الغنيمة والسلامة فان الانسان
اما ان يتكلم او يسكت فان تكلم فاما بخير وهو ربح واما بشر فهو خسر وان سكت
فاما عن شر وهو ربح واما عن خير فهو خسر فله في كلامه وسكوته رجحان فينبغي ان
يكتسبهما وخسارتان فينبغي ان يجتنبهما وما احسن ما قال بعض ارباب
الحال زيادة المرء في دنياه نقصان وربحه غير محض الخير خسران وقد
قال تعالى ان الانسان لفي خسر الاية وقد قال عز وجل ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد قال محمد بن الحسن اخبرني هشام بن عروة عن عكرمة عن ابن عباس
قال ان الملائكة لا يكتب الا ما فيه اجر او وزر وقد روى البيهقي عن عائشة
قالت ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما قبل العشاء ولا لاغيا بعدها
اما ذاكرا فيغنم واما نائما فيسلم وروي ان داود الطائي لما اراد ان يقعد
في بيته اعتقد ان يحضر مجلس ابي حنيفة اذ كان تلميذا له ويقعد بين اضرابه
من العلماء ولا يتكلم في مسالة فلما قوى نفسه على ممارسة هذه الخصلة سنة
كاملة قعد في بيته عند ذلك واثر العزلة وقال بشر بن الحارث اذا اعجبك
الكلام فاصمت واذا اعجبك الصمت فتكلم وروي عن معاذ بن جبل انه قال
كلم الناس قليلا وكلم ربك كثيرا لعل قلبك يرى الله سبحانه وقيل ان ابا بكر
رضي الله عنه كان يمسك في فيه حجرا ذا سنة ليقل كلامه واما التزام الصمت
واعتقاده قربة مطلقا او في بعض العبادات كالصوم والاعتكاف فمنهي عنه
لخبر ابي داود لا صمات يوم الى الليل وروى الاسماعيلي النهي عنه في الاعتكاف
وروي ايضا في الصوم ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره
بالاحسان اليه وتحمل ما يصدر منه وكف الاذى عنه واما ما وقع في رواية
من قوله فلا يؤذي جاره محمول على ادنى الاكرام فقد قال عليه السلام اتدرون
ما حق الجار ان استعانك اعنته وان استقرضك اقرضته وان افتقر عدت

عليه وان مرض عدته وان مات اتبعت جنازته وان اصابه خير هنأته
وان اصابته مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه
وان اشتريت فاكهة فاهد له وان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك
ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا ان تغرف له منها اتدرون
ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحم الله تعالى
ذكره الغزالي في الاربعين وكذا البيهقي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن
جده وقد قال تعالى والجار ذي القربى والجار الجنب فقيل المراد
بالاول الزوجة والقريب وبالثاني الاجنبي وقيل الاول المسلم
والثاني الكافر وقيل الاول القريب المسكن منك والثاني
ضده الخبر عائشة يا رسول الله ان لي جارين فالى ايهما اهدي قال
الى اقربهما منك بابا والى صل ان الجيران ثلاثة كافر فله حق واحد
بالجوار ومسلم فله حقان الجوار والاسلام ومسلم قريب فله حقوق ثلاثة
الجوار والاسلام والقرابة وهذا مضمون حديث له طرق متعددة
وبعضها متصلة وبعضها مرسلة وروى الزهري مرسلا ان رجلا اتى النبي
صلى الله عليه وسلم يشكو اليه جاره فامر صلى الله عليه وسلم بعض
اصحابه الا ان اربعين دارا جار وبه اخذ جمع من السلف وقيل من جار
المسجد من سمع الاذان والاقامة فيقدر ذلك المقدار في الدار وقيل
من ساكنك في محل او بلد فهو جارك وروى مسلم عن ابي ذر اوصاني
خليلي اذا طبخت مرقا فاكثر ماءه ثم انظر الى اهل بيت من جيرانك
وروى البخاري في الادب بمعروف فصلهم منها بمعروف وفي رواية
فاكثر ماءه وتعاهد جيرانك وروى البخاري في الادب كم جار متعلق
بجاره يوم القيامة يقول يا رب هذا اغلق بابه دوني فمنع معروفه وفي
الصحيحين ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى سيورثه ومن كان
يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه بالبشر في وجهه وطيب
الحديث معه وتعجيل ما حضر عنده وقيامه بنفسه في خدمته واطعامه

ثلاثة ايام بقدر وسعه ثم موادعته بلطف في تودده واعتذار في تقصير حقه وروى ابو الليث السمرقندي والبيهقي ان ابراهيم عليه السلام يسمى ابا الضيفان وكان لقصره اربعة ابواب يمشي الميل والميلين في طلب من يتغدى معه وروى البيهقي عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل بم اتخذ الله ابراهيم خليلا قال لاطعامه الطعام واما خبر الضيافة على اهل المدر وليست على اهل الوبر فقيل موضوع وقيل ضعيف والجمهور على ان الضيافة مستحبة وذهب احمد والليث بن سعد انها واجبة هذا ويلبان العارفين كان الحديث يشير الى رعاية السالك حال الاقرب فالاقرب فيبدا بتكميل نفسه ويروضها بذكر الحق والسكوت عن غيره والغلبات الروحانية واستيلاء سلطان الحقيقة الفردانية حتى ينسى اولا نفسه في ذكره ثم ينسى ذكره في ذكره ثم ينسى كل ذكر في ذكر ربه ثم يمشي بتكميل ما هو اقرب اليه قربا معنويا من الجار الذي في مقام السلوك قرب في مقامه والضيف الذي هو السالك في طريق الحق الداخل في القرية عن ماوى النفس ولم يصل الى مقام من مقامات اهل الانس فيكرمه ويزكيه ويلونه بذكر المولى ويحفظه من التذلل لارباب الغنى ومن ادناس محبة الدنيا لتحصيل الحيوة الطيبة وهي ان تصير النفس مطمئنة مستعدة لقبول فيض ارحمي ويطيب القلب عن دنس الحدث فانيا عن انانيته بكشف جلاله باقيا بشهود الحق وجماله رواه البخاري ومسلم وفي الجامع الصغير رواه احمد والشيخان والترمذي وابن ماجه عن ابي شريح وعن ابي هريرة ولفظه من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن الى جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليسكت انتهى وفي البخاري عن شريح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن ثلاثا قالوا ومن ذاك يا رسول الله قال

الجار

الجار الذي لا يؤمن جاره بوائقه قالوا وما بوائقه قال شره وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة مرفوعا لا يدخل الجنة من لا يؤمن جاره بوائقه وروى البيهقي عن المقداد ابن الاسود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يزني الزاني بعشرة نسوة ايسر عليه من ان يزني بامراة جاره ولان يسرق السارق من عشرة بيوت ايسر عليه من ان يسرق من بيت جاره

الحديث السادس عشر عن ابي هريرة ان رجلا اي من الصحابة وهو ابن عمر او حارثة بن قدامة او سفيان بن عبد الله على ما ذكره الكازروني وغيره او ابو الدرداء كما ذكره ابن حجر وقال وقد اخرج الطبراني عنه قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب ولك الجنة لكن يبعد تفسير ابي هريرة عنه بهذه العبارة اللهم الا ان يقال يبعد والسائل او الشك في القائل ويؤيده انه اخرج احمد عن حارثة بن قدامة عم الاحنف بن القيس انه قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قل لي قولا واقلل علي لعلي اعقله قال لا تغضب فاعدت عليه مرارا كل ذلك يقول لا تغضب لكن نازع في هذا يحيى القطان بانهم يقولون ان حارثة هذا تابعي لا صحابي قال للنبي صلى الله عليه وسلم اوصني اي دلني على ما ينفعني دينا ودنيا ويقربني الى الله زلفى وفي بعض طرق الحديث اخبرني ما يبعدني من غضب الله قال لا تغضب اي فيما يتعلق بحظوظ النفس والهوى لا فيما يتعلق بحقوق المولى فردد وزيد في نسخة لفظ ذلك اي كرر الرجل ذلك السؤال او كرر ذلك السائل السؤال مرارا اي ثلاث مرات وكانه لم يقنع بقوله لا تغضب فطلب وصية ابلغ منها وانفع له فيها فلم يزد صلى الله عليه وسلم عليها وفي كل مرة قال لا تغضب لما علم عليه السلام من حاله ان اختلال امره واضطراب باله من استيلاء الغضب عليه فامره هو اولى بالنسبة اليه او اختصر على جواب موجز جامع لما لديه فان جميع المفاسد التي تعرض للانسان انما يعرض له من فرط شهوته واستيلاء

غضبه وحدته وضررها يقتضيه القوة الغضبية اكثر بالاضافة الى ما يقتضيه
القوة الشهوية فلما سأله الرجل ان يشير اليه بما يتوسل به الى التجنب عن
الاخلاق الردية نهاه عن الغضب الداعي الى ما هو اعظم ضررا واكثر وزرا
فان ارتفاع السبب يوجب ارتفاع المسبب وفي الحديث اقتباس من قوله
تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون وقوله سبحانه والكاظمين الغيظ والعافين
عن الناس والله يحب المحسنين وفي حديث الشيخين ليس الشديد بالصرعة
انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وذلك لان الغضب
من نزغات الشيطان يخرج به الانسان عن اعتدال حاله فيتكلم بالباطل
ويفعل المذموم وينوي الامر المذموم بل قد يكفر نعوذ بالله من الحور
بعد الكور ويؤيده حديث البيهقي ان الغضب ليفسد الايمان كما يفسد
البصل العسل وعلاجه ان يرى الكل من الله ويترك متابعة نفسه
وهواه ويذكر نفسه ان غضب الله اعظم وفضله اتم وكم خالف امره
لديه وهو سبحانه لم يغضب عليه ويتعوذ ويتوضأ ويصلي ويشغل
نفسه بامر ينفعه في مقام النية وقد ورد ان من كظم غيظا وهو يقدر
على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا رواه ابو داود وفي رواية من
كظم الغيظ وهو قادر على ان ينفذه دعاه الله عز وجل على رؤس
الخلائق يوم القيمة حتى يخيره في اي الحور ما شاء رواه احمد واصحاب
السنن الا النسائي واخرج احمد ما تجرع عبد جرعة افضل عند الله
من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله رواه البخاري وفي الجامع
الصغير رواه احمد والبخاري والترمذي عن ابي هريرة واحمد ايضا
والحاكم في مستدركه عن جارية بن قدامة وروى الطبراني عن ابي الدرداء
لفظ لا تغضب ولك الجنة وابن ابي الدنيا بلفظ لا تغضب فان الغضب
مفسدة هذا وفي طريق اخرى ان رجلا قال يا رسول الله صلى الله
عليه وسلم اوصني ولا تكثر علي او قال مرني بامر واقلله علي كي اعقله قال
لا تغضب ففكرت حين قال النبي صلى الله عليه وسلم ما قال فاذا

الغضب



الغضب يجمع الشر كله ومن ثم قال جعفر الصادق الغضب مفتاح كل شر وقيل
كل شر وقيل لابن المبارك اجمع لنا حسن الخلق في كلمة قال ترك الغضب
واخرج محمد بن نصر المروزي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم من قبل
وجهه فقال يا رسول الله اي العمل افضل قال حسن الخلق ثم اتاه عن يمينه
وقال له ذلك فقال كذلك ثم عن شماله كذلك ثم عن خلفه فالتفت اليه
فقال ما لك لا تفقه حسن الخلق هو ان لا تغضب ان استطعت وروى
احمد والترمذي انه صلى الله عليه وسلم قال في خطبته الا ان الغضب جمرة
تتوقد في قلب ابن ادم اما ترون الى انتفاخ اوداجه او احمرار عينيه
فمن احس من ذلك شيئا فليلزق بالارض وفي رواية فليجلس ولا
يعدونه الغضب وفي رواية اذا غضب احدكم فليقعد وان غضب وهو
قاعد فليضطجع وروى احمد وابو داود اذا غضب احدكم وهو قائم
فليجلس فان ذهب عنه الغضب والا فليضطجع وفي رواية لاحمد اذا
غضب احدكم فليسكت قالها ثلاثا وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا غضب احدكم فليتوضأ بالماء فانما الغضب من النار وانما
انطفاء النار بالماء وفي رواية ان الغضب من الشيطان وانما الشيطان
خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضأ
وفي رواية ابي نعيم عن معاوية فليغتسل وفي الصحيحين استب رجلان
عند النبي صلى الله عليه وسلم واحدهما يسب صاحبه مغضبا قد احمر وجهه
فقال صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقالوا للرجل اما تسمع ما يقول النبي
صلى الله عليه وسلم قال اني لست بمجنون قلت قوله هذا ايضا من الغضب
ونظيره ما سأل شيخ كبير طبيبا عن ضعف البصر فقال من اثر الكبر
وهكذا سأله عن ثقل السمع وضعف الظهر وغير ذلك الى ان غضب
الشيخ فقال انت مجنون كل هذا من الكبر فقال له هذا ايضا من الكبر
واخرج الطبراني ثلاث من اخلاق الايمان من اذا غضب لم يدخله غضب



في باطل ومن اذا رضي لم يخرجه رضاه من حق ومن اذا قدر لم يتعاط ما ليس
له وقالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط
لسخطه واما ما نقل عن الفضيل ثلاثة لا يلامون على الغضب الصائم والمريض
والمسافر فمحمول على ان من كان سبب غضبه مباحا كالسفر او طاعة كالصوم
لا يلام على ما صدر عليه من حدة كلامه لشدة حال مرامه والله اعلم وكان
الشعبي مولعا بهذا البيت شعر ليست الاحلام في حين الرضى
انما الاحلام في حين الغضب وعن عبد الرزاق قال سكبت
جارية لعلي بن الحسين الماء يتهيأ للصلوة فسقط الابريق من يد
الجارية على وجهه فشجه فرفع وجهه اليها فقالت الجارية ان الله عز
وجل يقول والكاظمين الغيظ فقال كظمت غيظي قالت والعافين
عن الناس فقال قد عفى الله عنك والله يحب المحسنين قال اذهبي
فانت حرة وعن سهل بن عبد الله قال لا يبلغ العبد حقيقة الايمان
حتى يكون لعباده كالارض اذا هم عليها ومنافعهم لديها وعن انس بن
مالك رضي الله عنه قال كنت امشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فادركه اعرابي فجذبه من خلفه جذبة
حتى رأيت صفحة عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اثرت بها حاشية
البردة من شدة جذبه فقال يا محمد اعطني من مال الله الذي عندك فالتفت
اليه وضحك ثم امر له بعطاء رواه مسلم وفي بعض الكتب المنزلة يقول
الله تعالى يا ابن آدم اذكرني اذا غضبت اذكرك اذا غضبت قال
الطيبي ذي يغضب ويرضى لا كاحد من الورى وقال غيره الغضب
فوران دم القلب او عرض يتبعه ذلك لدفع المؤذيات قبل وقوعها
والانتقام بعد حصولها فاطلاقه على الله مجاز اي يفعل بهم ما يفعل
الملك اذا غضب على من تحت يده من الانتقام وانزال العقوبة
هذا وقد قال بعض العارفين التحقيق ان الناس في الغضب على
ضربين احدهما مغلوب الطبع الحيواني فلا يمكنه دفعه وهو الذي [illegible]

والثاني

والثاني غالب الطبع بالرياضة فيمكنه منعه ولولا هذا والا لكان قوله
عليه السلام لا تغضب تكليفا بما لا يطاق ثم اقوى الاشياء في منع
الغضب ودفعه التوحيد الحقيقي وهو اعتقاد ان لا فاعل في الوجود
الا الله وان الخلق آلات لفعله فاذا توجه اليه مكروه من جهة غيره
يرى ان فاعله هو الله لا غيره وان ذلك الغير آلة لفعله كالسيف
للضارب ونحوه وحينئذ يندفع منه الغضب لانه لو غضب والحالة
هذه لكان غضبه اما على الخالق وهو جراءة منافية للعبودية او على
الخلق المخلوق وهو اشراك ينافي توحيد الربوبية ولذا جاء في حديث
انس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال
لي لشيء فعلته لم فعلت ولا لشيء لم افعله لم لم تفعله ولكن يقول قدر الله
وما شاء فعل ولو قدر لكان وما ذلك الا لكمال معرفته صلى الله
عليه وسلم بان لا فاعل ولا معطي ولا مانع الا الله عز وجل فعلى هذا الفاعل
في الوجود عند نظر ارباب الشهود هو الله الموجود المعبود المقصود
والآلات كبرى وصغرى ووسطى فالكبرى ما له قصد واختيار كالانسان
الضارب بالعصا والصغرى ما لا قصد لها ولا اختيار كالعصا المضروب
بها والوسطى ما له قصد ولا اختيار له كالدابة فمحصل معنى الحديث لا تظهر اثر
الغضب الا فيما يوافق غضب الرب **الحديث التاسع عشر**
عن ابي يعلى بفتح الياء واللام مضارع علي بفتح فكسر شداد بفتح
فتشديد بن اوس بفتح فسكون رضي الله عنه انصاري خزرجي
حسان قال عبادة بن الصامت وابو الدرداء كان شداد ممن
اوتي العلم والحلم سكن بيت المقدس واعقب بها وتوفي فيها سنة
ثمان وخمسين عن خمس وسبعين سنة قال المصنف في التهذيب وقبره
بظاهر باب الرحمة باق الى الآن انتهى وقيل مات بفلسطين
روى له خمسون حديثا وكان اذا اخذ مضجعه ينقلب كالحبة على المقلى
يقول اللهم ان النار منعتني النوم ثم يقوم فلا يزال يصلي الى الصباح

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله كتب الإحسان أي فرضه وقدره
أو أثبته أو أمر به على كل شيء أي لأجل كل شيء كقوله تعالى واتبعوا ما تتلوا
الشياطين على ملك سليمان أي في ملكه أو إلى كل شيء كذا قيل والعام مبني على
أن الحروف يقوم بعضها مناب بعض ولا يبعد أن يكون على بناه ومعناه
أن أوجبه على كل شيء كيف ينبغي للفاعل أن يقوم به ويفعل معه بعينه أنه قدر
وبين ذلك على لسان نبيه النبيه فإذا قتلتم أي إذا قصدتم قتل من يجوز
قتله شرعا من قصاص ونحوه فأحسنوا القتلة بكسر القاف هو رواية وهي
هيئة القتل والإحسان فيها اختيار أسهل الطرق المباح وأقلها تعذيبا وإيلاما
وفيه رد على ما كان عليه الجاهلية من المثلة بقطع الأعضاء وتعذيب الأجزاء
وإذا ذبحتم أي وإذا أردتم ذبح ما يحل ذبحه من البهائم فأحسنوا الذبحة
بكسر الذال وهي هيئة الذبح وروي الذبح ذكره الكازروني قيل
وهي التي في أكثر نسخ صحيح مسلم وهو المصدر لا غير لكن قال المظهر القتلة
والذبحة بكسرهما أن الذبح مختص بالحيوان وإحسان الذبح بالبهيمة هو
الرفق بها بأن لا يصرعها بعنف لها ولا يجرها من موضع إلى آخر بالشدة
في جرها وإحضار نية الإباحة أو القربة وتوجيهها إلى القبلة والتسمية
وقطع الودجين أي عروق رقبتها وإحداد آلة ذبحها لقوله وليحد أحدكم
شفرته بسكون اللام وبكسره وبضم الياء وكسر الحاء وتشديد الدال المفتوحة
ويجوز كسرها لغة والمعنى ليحددها والشفرة بفتح أوله السكين العريض
والمراد بها السكين ونحوه مما يذبح به وليرح ذبيحته بسكون اللام وبكسر
وبضم الياء وكسر الراء وجزم الحاء من الإراحة وهي جلب الراحة للشيء
لو تسبب إلى حصولها له والمعنى ليوصل الراحة إليها بأن يتركها على حالها
حتى تستريح عن اضطرابها عند ذبحها والذبيحة بمعنى المذبوحة فعيلة
بمعنى المفعولة كأنه قال دابة الذبيحة أو يكون من غلبة الاسمية على الوصفية
هذا وينبغي أن يسقيها عند ذبحها وأن يواري إحدادها عنها
لأمره صلى الله عليه وسلم بذلك على ما رواه أحمد وابن ماجه ولا يذبح

اخرى

أخرى قبالتها ثم يمر السكين بسرعة عليها ثم يمهلها حتى تبرد ثم يسلخها
فقد روى الخلال والطبراني أنه صلى الله عليه وسلم مر برجل واضع رجله على
صفحة شاة وهو يحد شفرته وهي تلحظ إليه ببصرها فقال أفلا قبل
هذا أتريد أن تميتها موتات وروى ابن ماجه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم مر برجل وهو يجر شاة بأذنها فقال له دع أذنها وخذ بسالفتها
أي مقدم عنقها وأخرج عبد الرزاق أن شاة انفلتت من جزار حتى
جاءت للنبي صلى الله عليه وسلم اصبري لأمر الله وأنت يا جزار فسقها
للموت سوقا رفيقا وأخرج أحمد أنه قال رجل يا رسول الله إني لأذبح الشاة
وأنا أرحمها فقال إن رحمتها رحمك الله رواه مسلم وكذا أحمد و
الأربعة قال العلماء وهذا الحديث متضمن لجميع قواعد الإسلام لأن
الإحسان في الفعل إيقاعه على مقتضى الشرع أو العقل والأفعال التي تصدر
عن الشخص إما تتعلق بمعاشه أو معاده والأول إما سياسة نفسه
وملكه أو أهله وإخوته وأولاده أو باقي الخلق والثاني إما الإيمان وهو
عمل القلب أو الإسلام وهو عمل البدن وإذا أحسن الإنسان
في هذا كله وأتى به على مقتضى دينه فقد أدى ما عليه من أنواع التعظيم
لأمر الله والشفقة على خلق الله فرضا وندبا شرعا وعرفا فقوله
إن الله كتب معناه أنه أوجب وقدر الإحسان على الإنسان في كل
شيء يتعلق بمعاده بأن يأتي بالتكاليف على الوجه المشروع ومعاشه
بإصلاح أمور نفسه وبإيصال النفع إلى إخوته علميا وماليا ودفع الضرر
عنهم أما في الدنيا أن لا يشتغل بمقابلة الإساءة بأخرى وأما في العقبى
بأن يبرئ ذمته عن التبعات المقتضية للعقوبات والإحسان يطلق على
الإنعام وعلى الإتقان والإحكام وفي كلام بعض العرفاء الكرام أن الإحسان
اسم جامع لجميع أبواب الحقائق وهو إما إحسان في القصد وهو إصلاحه
على مقتضى العلم وإبرامه عزما بأن يأخذ من العمل جدا أو تصفيته حالا
بأن لا يلاحظ نفسه أبدا أو في الأحوال بأن يراعي حفظها بالحضور وسترها

عن الناس بالستور ويجتهد في تحقيق الامور او في الوقت بان لا يخاف
المشاهدة ابدا ولا يلاحظ بهمته احدا او يجعل بهجرته الى الحق سرا وجهرا
ولقد افاد ومن اجاد بقوله **شعر** احسن فحسبك ان تنمى محسنا
ما احسن الاحسان من احسن واغنم ، والذكر الجميل اجل فاجل ما كسب الفتى حسن
الثناء وقد قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان الله يحب المحسنين
وان رحمة الله قريب من المحسنين كو بال جزاء الاحسان الا الاحسان واحسن
انواع الاحسان واكمل مقامات افراد الانسان ما في حديث جبرئيل الاحسان
ان تعبد الله كانك تراه وهو في الدنيا واما في العقبى فهو ان ترى الله
وتغيب عما سواه وتفنى ثم تبقى ببقاه **الحديث الثامن عشر**
عن ابي ذر جندب بضم الجيم وضم الدال وفتحها ذكره المصنف وقال ابن حجر
بتثليث الدال حينئذ جواز كسرها مع ضم اولها وهو مخالف لما في كتب
اللغة وضبط الاسماء والاقتصار على اوزان معروف في الصرف نعم جندب كدرهم
لغة في جندب جراد معروف واسم على ما في القاموس بن جنادة بضم
الجيم قاله المؤلف وابي عبد الرحمن معاذ بن جبل بضم الميم رضي الله عنهما
اي عن ابي ذر ومعاذ ثم ابو ذر غفاري روي عنه انه قال انا رابع الاسلام
اسلم ورجع الى قومه ثم هاجر الى المدينة وورد بروايات متعددة انه
اصدق الناس لهجة وهو احد النجباء من اصحابه صلى الله عليه وسلم
وزهادهم وكان يرى ان من اوكى على صفراء او بيضاء كوي بها يوم القيمة
وقال علي في حقه وعاء ملئ علما اوكى عليه فلم يخرج منه شيء حتى قبض روي
له مائتا حديث واحد وثمانون حديثا مات بالربذة سنة ثلاثين وصلى
عليه ابن مسعود ومات بعده عاشره بالمدينة ومعاذ انصاري اسلم
وعمره ثمان عشر سنة شهد بدرا والعقبة والمشاهد كلها مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم روي له مائة حديث وسبعة وخمسون وورد انه صلى الله
عليه وسلم قال اعلم امتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل وانه قال له يا معاذ
اني لاحبك فقال انا احبك والله يا رسول الله قال لا تدع ان تقول

في

في دبر كل صلوة اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وانه
قال يأتي معاذ يوم القيمة بين يدي العلماء برتوة اي رمية سهم او خطوة او درجة
وقال مالك بلغني ان ابن مسعود قال ان معاذا كان امة قانتا لله حنيفا
فقال يا ابا عبد الرحمن انما ذكر الله بهذا ابراهيم عليه السلام فقال ابن مسعود
ان الامة الذي يعلم الناس الخير وان القانت هو المطيع وفي رواية انه
قال انا كنا نشبه معاذا ابراهيم عليه السلام ثم هو ممن جمع القران في حيوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم استقروا
القران من اربع عبد الله بن مسعود وسالم مولى ابن ابي حذيفة وابي و
معاذ بناحية الاردن في طاعون عمواس وهو بفتح اوله قرية بين الرملة
والقدس نسب اليها لانه اول ما ظهر منها سنة ثماني عشرة وهو ابن
ثلاث وثمانين سنة وقبره منور ببيسان شرقيه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اي لكل منهما او لاحدهما وسمع الآخر او لغيرهما وهما
سمعا النوع التعدد امر وجوب لان المراد به الخوف والخشية والتشاب
الاوامر واجتناب الزواجر والتقوى لغة حفظ النفس عما يؤذيه
كانها جعلت في وقاية وشرعا صيانة النفس عن المحذورات واختلف
في الصغائر والتحقيق ان للتقوى مراتب من ترك المحظور والمكروه و
المباح وما لا يعني والغفلة من الذكر والشكر والتبري عما سوى الله سبحانه
ولذا قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم وكمالها كما ورد في تفسير قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته بان يطاع فلا يعصى ويذكر
فلا ينسى ويشكر فلا يكفر اخرجه الحاكم مرفوعا حيث ما كنت يستعمل للمكان
والزمان والمعنى اتق مخالفة الحق حيث يراك الخلق او لا يرونك اتقا
بنظره تعالى كما يشير قوله عز وجل واتقوا الله ان الله كان عليكم رقيبا
وكما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لابي ذر اوصيك بتقوى الله
في سر امرك وعلانيته والمعنى اتقوا الله في الخلاء والملاء وفي حالي النشاط
والبأس ، فان الله عالم بسرائرك كما انه مطلع لظواهرك فعليك

برعاية دقايق الادب في حفظ اوامره ومراضيه والاحتراز عن مساخطه ومناهيه والتقوى هي الكلمة الجامعة للامم السابقة واللاحقة قال تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله فالتقوى من اساس الدين وبه يرتقي الى مراتب اليقين واتبع السيئة الحسنة بفتح الهمزة وسكون التاء وكسر الباء امر من الاتباع والمعنى بأثر الحسنات عقيب السيئات وهو ايضا للوجوب على ما قيل من ان المراد بالحسنة التوبة بقرينة تمحها فان ساير الحسنات لم يكفر جميع السيئات والمعنى تمح الحسنة تلك السيئة اي يمح الله بها اثارها من القلب او من ديوان الحفظة ويثبت مكانها الطاعة كما قال تعالى الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقيل الاولى حمل الحسنة على العموم والمعنى اذا ابتليت بسيئة فافعل بعدها حسنة تمح اثار السيئة كما قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وكما ثبت في الاحاديث الصحيحة من تعميم المكفرات وفيه بحث اذ سبب نزول الاية كما في الصحيحين عن ابن مسعود ان رجلا اصاب امراة قبلة ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزلت هذه الاية فدعاه فقراها عليه فقال رجل هذه له خاصة فقال بل للناس عامة فالحسنة محمول على التوبة اذ جاء تائبا وليس في الحديث ما يدل على انه صدر منه حسنة اخرى ولو فرض وقوع طاعة كصلوة ونحوها فما بقي بالغرض من عموم السيئات يشمل الكباير وحقوق العباد وايضا لو اخذ بعموم حكمها لرتب عليه الفساد من عدم خوف في المعاد ويؤيد ما قررنا ان في طريق من طرق وصايا معاذ لما بعثه الى اليمن وان احدثت ذنبا فاحدث عنده توبة ان سرا فسرا وان علانية فعلانية هذا وقد اجمع العلماء على ما قاله ابن عبد البر ان الاعمال الصالحة لا تكفر غير الصغاير ثم قد تخفف الكباير على ما صرح به النووي واما الكباير فلا بد لها من التوبة لاجماعهم على انها فرض ويلزم من تكفير الكباير بنحو وضوء وصلوة بطلان فرضية التوبة وهي

فرض

فرض عين على الخاصة والعامة قال تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون لعلكم تفلحون وفي الصحيحين الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكباير فحكى ابن عطية عن جمهور اهل السنة في معناه ان اجتناب الكباير شرط لتكفير هذه الفرايض للصغاير فان لم يجتنب لم يكفر شيئا بالكلية وبه ظاهر اية ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم اي بحسناتكم على قواعد اهل السنة ان الحسنة تكفر الصغيرة ما لم يصر عليها سواء فعل الكبيرة ام لا مع القول الاصح بان التوبة من الصغيرة واجبة ايضا ولو لم يات بكبيرة لجواز تعذيب الله سبحانه بها خلافا للمعتزلة وقيل الواجب الاتيان بالتوبة او بمكفر من الحسنة وهذا جمع مستحسن في التحقيق والله ولي التوفيق واما اتباع الحسنة بالسيئة فان كانت ردة فتحبطها والا فلا على مذهب اهل السنة خلافا للمعتزلة ثم لما وصاه بحقوق الله وما يتعلق باصلاح نفسه ذكر ما يتعلق بحقوق العباد من غيره فقال وخالق الناس بخلق حسن بضم اللام ويسكن اي وخالطهم مخالطة حميدة وعاشرهم معاشرة سديدة وهو بسط المحيا وبذل الندى وكف الاذى ومجمل جامل الناس بما تحب ان يجاملوك به وعاملهم بما يعجبك ان يعاملوك وفي وصية بعض الحكماء عليك بالحق مع الخلق وبالصدق مع الحق ثم الخلق وان كان في الاصل سجية لما ورد مرفوعا ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم بينكم ارزاقكم الا ان للانسان قابلية يمكنه ان يتخلق بالاخلاق الحسنة المرضية اذا تعلق بالعناية الربانية وتدل عليه الادعية النبوية اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي اللهم اهدني لصالح الاخلاق لا يهدي لصالحها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت فهو جبلي باعتبار اصله اكتسابي بالنظر الى محله واما ما ورد عن ابن مسعود فرغ ربك من اربعة الخلق والعمل والرزق والاجل كذا ذكره ابن حجر ولعله تصحف عليه فتح الخاء بالضم والا فهو يوافق قوله تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم

الآية رواه الترمذي اي في جامعه وقد سبق بعض مناقبه وله التواليف
في التواريخ والعلل وفي الشمائل وقد شارك البخاري ومسلما في كثير من
مشايخهما وروى عن اتباع الاتباع وكتب عنه امام الصنعة محمد بن اسمعيل
البخاري وحسبه بذلك فخرا وقال حديث حسن وانما قاله صلى الله
عليه وسلم لابي ذر لما جاء اليه وهو مختف بمكة فاسلم واراد المقام معه صلى
الله عليه وسلم فعلم عليه السلام انه لا يقدر معه على المقام فامره ان يلحق بقومه عسى
ان ينفعهم الله به وقال له اتق الله حيث كنت الحديث ولمعاذ لما بعثه الى اليمن
معلما لهم وقاضيا فيهم وقد امتثل رضي الله عنه هذه الوصية وفي انه لما بعثه
عمر رضي الله عنه على عمل قدم منه وليس معه شيء فعاتبته امرأته فقال لها
كان ضاغطا اي ضابطا يضيق علي ويمنعني من اخذ شيء ابدي واراد به عز وجل
فظنت امرأته ان عمر بعث معه رقيبا فقامت تشكوه الى الناس وفي بعض
النسخ اي نسخ الجامع حسن صحيح وقد سبق اجوبة عن وجه الجمع بينهما وفي
شرح الكازروني حسن من حديث معاذ صحيح من حديث ابي ذر واما قول
ابن حجر تحسينه لهذا الحديث مقدم على ترجيح الدارقطني ارساله للقاعدة
المقررة ان المسند زيادة علم مقدم على المرسل ففيه بحث لان الدارقطني
يقدم سند ارسال الحديث على اسناد الاتصال وهو لا ينافي كونه حسنا
او غيره واما قوله ويؤيد تحسين الترمذي انه ورد لهذا الحديث طرق متعددة
عند احمد والبزار والطبراني والحاكم وابن عبد البر يفيد مجموعها حسنه ففيه
نظر ظاهر اذ لم يقل احد بضعفه حتى يفيد تعدد الطرق تحسينه بل تعدد
الطرق الحسنة يفيد تصحيحه فيكون الحديث حسنا لذاته صحيحا لغيره ويؤيده
ان الحاكم قال صحيح على شرط الشيخين وان قيل انه وهم منه لان ميمون احد
رواته لم يخرج له البخاري كذا ذكره ابن حجر وفيه ان عدم اخراج البخاري له
لا ينفي كونه على شرطه وكذا عدم سماعه من الصحابة لا ينفي ان سنده غير صحيح
بل يكون منقطعا ومختلف في ضعفه على ان شرط السماع انما هو معتبر
عند البخاري دون مسلم لانه يكتفي باحتمال السماع عند امكان الاجتماع

فهو

فهو صحيح على شرط مسلم من غير النزاع بل وشرط البخاري ذلك من غاية الاحتياط
والا فالجمهور على خلافه في اعتبار صحة الحديث هذا وقد قال سهل لا معين
الا الله ولا دليل الا رسول الله ولا زاد الا التقوى وقال الكتاني قسمت
الدنيا على البلوى وقسمت الجنة على التقوى وقال النصرابادي من لزم
التقوى اشتاق الى مفارقة الدنيا قال تعالى وللدار الآخرة خير للذين
اتقوا وقيل من تحقق في التقوى هون الله على قلبه الاعراض عن الدنيا
وقيل التقوى على وجوه للعامة تقوى الشرك وللخواص تقوى المعاصي وللاولياء
تقوى التوسل بالافعال وللانبياء تقويهم منه اليه واما الخلق فقد روى الحسن
عن ابي الحسن عن جد الحسن ان من احسن الحسن الخلق الحسن وفي حديث
انكم لن تسعوا الناس باموالكم وانما تسعونهم ببسط الوجه وحسن الخلق
وقيل لذي النون المصري من اكثر الناس هما قال اسوأهم خلقا وقال
وهب ما تخلق عبد بخلق اربعين صباحا الا جعل الله ذلك طبيعة فيه
ثم التحقيق كما ذكره بعض اهل التوفيق انه قد لاح عند ارباب العرفان
بطوالع الوحي ولوامع الوجدان ان الانسان جوهر لطيف نوراني من
عالم الامر الرباني شبيه بالجواهر القدسية الملكوتية وله قوتان يحظى
بكمالهما ويشقى باختلالهما قوة عاقلة تدرك حقائق الموجودات باجناسها
وانواعها وينتقل منها الى معرفة من استقل بابداعها وقوة عاملة تدرك
النافع نافعا فتميل اليها والضار ضارا فتنفر عنها وذلك امور معاشه
يتعلق بحفظ النوع وكمال البدن او ملكات فاضلة واحوال باطنة هي
الخلق الحسن وهو اما تزكية النفس عن الرذائل واصولها عشرة شره الطعام
والكلام والغضب والحسد والبخل وحب المال والجاه والكبر والعجب
والرياء واما تحليتها بالفضائل وامهاتها عشرة التوبة والخوف وذكر
الموت والزهد والصبر والشكر والاخلاص والتوكل والمحبة والرضا بالقضاء
ثم الخلق ملكة تصدر بها الافعال عن النفس بسهولة من غير سبق روية وتنقسم
الى فضيلة هي الوسط ورذيلة وهي الاطراف وهذا جار في الاعتقاد بان يكون



توحيد تنزيه بين تعطيل وتشبيه وبين جبر وقدر وفي الافعال بان يكون
كرما بين اسراف وتقتير وفي الاخلاق بان يكون شجاعة بين تهور وجبن
وفي الاحوال بان يكون بانيا كائنا بين محو وصحو فان خير الامور الوسط وحب
الثنا هي من الغلط وبما ذكرنا تبين لك ان السالك المتقي لا بد له من علم
وعمل وتصحيح نيته وتحسين طويته وحسن الخاتمة فالتقوى باعتبار مبناها
وجيزة ومن جهة معناها عزيزة ومحلها ان الله لا يراك حيث نهاك وقيل
يستدل على تقوى الرجل بثلاث بحسن التوكل فيما لم ينل وبحسن الرضا فيما
قد نال وبحسن الصبر على ما فات وروي ان ابا حنيفة ما جلس في الحر
في ظل غريمه ويقول في الخبر كل قرض جر منفعة فهو ربا وذكر الفرغاني
ان الجنيد ما نجا من نجا الا بصدق اللجا قال تعالى وعلى الثلاثة الذين
خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض وقال رويم ما نجا من نجا الا بصدق
التقى قال الله تعالى وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم وقال الجريري ما نجا
من نجا الا برعاية الوفا قال تعالى الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون
الميثاق وقال ابن عطا ما نجا من نجا الا بتحقيق الحيا قال تعالى
الم يعلم بان الله يرى قال الاستاذ ابو القاسم القشيري ما نجا من نجا
الا بالرضا بالقضا قال تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
قلت جميعها مندرجة تحت التقوى ففي الحديث كل الصيد في جوف الفرا
وعن جابر قال قال موسى عليه السلام يا رب امهلت فرعون اربعمائة سنة
فاوحى الله اليه انه كان حسن الخلق سهل الحجاب عن الخلق فاحببت
ان اكافيه ومن شعر ابي الدردا يريد المرء ان يعطى مراده ويابى الله
الا ما اراد يقول المرء فائدتي ومالي وتقوى الله افضل ما استفاد
الحديث التاسع عشر عن ابي العباس حبر الامة وبحر الحكمة ترجمان
القرآن وابو الخلفا عبد الله بن عباس عم النبي صلى الله عليه وسلم رضي
الله عنهما ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وقد صح عنه عليه السلام انه قال
في حقه اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل اللهم علمه الحكمة وتاويل القرآن اللهم

بارك

بارك فيه وانشر منه واجعله من عبادك الصالحين اللهم زده علما وفقها
وقال مسروق ادركت خمسمائة من الصحابة اذا خالفوا ابن عباس
لم يزل يقررهم حتى يرجعوا الى ما قال وقال كنت اذا رايته قلت اجمل
الناس واذا تكلم قلت افصح الناس واذا احدث قلت اعلم الناس
روي له الف حديث وستمائة وستون مات بالطائف ودفن بها
سنة ثمان وستين في خلافة ابن الزبير وصلى عليه محمد بن الحنفية وقال
مات رباني هذه الامة وقد استاذنه صلى الله عليه وسلم وهو على يمينه
حين شرب فقال له اتاذن لي ان اعطي الاشياخ اي ابا بكر وعمر وغيرهما فقال
والله لا اوثر بنصيبي منك احدا فوضع القدح في يده وقد عمي في اخر عمره
وفي ذلك يقول ان ياخذ الله من عيني نورهما ففي فؤادي وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف ماثور قال كنت خلف
النبي صلى الله عليه وسلم يوما اي خلف دابته كما في رواية ذكرها الواحدي
في وسيطه عن ابن عباس انه اهدى كسرى الى النبي صلى الله عليه وسلم
بغلة فركبها بحبل من شعر ثم اردفني خلفه وسار بي مليا ثم التفت فقال
يا غلام بضم الميم لانه نكرة مقصودة ويجوز كسرها بنية الاضافة وهو ابلغ
بالنسبة وفي رواية يا غليم وهو تصغير شفقة او لكونه صغيرا اقل من عشرة
اني اعلمك كلمات اي ينفعك الله بهن كما في رواية لمسلم اي بتعلمهن
وعملهن وتعليمهن والمعنى اعلمك فصولا مفيدة في دفع اللاوا وجلب
الالا وفائدة هذه التمهيد ان يتنبه المخاطب السعيد ويسترعي بها سمعه اليه
ليفهم ما يلقيه اليه ويتمكن في نفسه فضل تمكن لديه عبر ايراد الكلمات بجمع القلة لا
بانها قليلة المباني جزيلة المعاني يسهل حفظها ويتيسر ضبطها احفظ الله اي
امره ونهيه بامتثال اوامره واجتناب زواجره والرضا بما قدره وقضاه
وعدم الالتفات الى ما سواه او احفظ مراسم طاعاته ولوازم عباداته يحفظك
اي يحرسك من مكاره الدنيا ومشاق العقبى ومجمل معناه فاحفظ الله فلا
يراك حيث نهاك يحفظك في دينك ودنياك اي في امتثال حكم

شريعته وحسن الخلق مع خليقته فان المدار على التعظيم لامر الله والشفقة على
خلق الله تجده تجاهك بضم التاء اي حذاءك وتلقاءك بنصره اياك
واصل تجاه وجاه والتاء بدل من الواو كما في تقاة وقال المصنف تجاهك
بضم التاء وفتح الهاء اي امامك كما في الرواية الاخرى ثم المعنى تجد عنايته
ورأفته قريبا منك يراعيك في جميع الحالات وينقذك من انواع العثرات
ويسعدك باصناف البركات وهذه استعارة تمثيلية شبه حال من حفظ
الله اياه ومراعاته حالاته وسرعة انجاح حاجاته بحال من جلس امامك
يحفظك ويراعيك في مهماتك وهو تلميح الى قوله سبحانه ونحن اقرب
اليه من حبل الوريد وقد اشار بعض العارفين الى انه لا ذرة من ذرات
العالم الا وانوار الانوار محيط بها قاهر عليها اقرب من وجودها اليها
لا بمجرد العلم فقط ولا بمعنى الايجاد والامداد بل بمعنى اخر لا يجوز كشفه
لعموم العباد رمزت اليه حذار الرقيب وكتمان سر الحبيب اذا ما تلألأت
في نوره يقول لي ادع فاني قريب وقال بعضهم لفرط قربه بك لا تراه
ولغاية بعدك عنه ترى شيئا سواه وهذا عام لمن يطلب معرفة مولاه
ولا يفتح الطلب الا لمن خالف هواه ودنياه وخص الامام المشعر بالشرف
المقصد والمرام وبان السالك كالماشي الى العقبى متحول عن الدنيا
مقبل بكليته على المولى فكان المعنى تجده حيث ما توجهت من امر الدين
او الدنيا المعينة على تحقيق امر اليقين او المعنى اجعله بمرأى منك بحيث
قائدا الى امامك اذا سألت اي اذا اردت سؤال شيء فاسأل الله
ولا تلتفت الى اعداه فانه المعطي والمانع والضار والنافع وخزائن
العطايا عنده ومفاتيح المزايا بيده فينبغي ان لا يرجى الا نعمته ولا يخشى
الا نقمته ويلتجئ في عظائم المهمات اليه ويعتمد في جمهور الامور عليه وقد قال
تعالى واسألوا الله من فضله وفي الحديث من لم يسأل الله يغضب عليه اذ السؤال
اظهار الانكسار والاقرار بسمة العجز والافتقار والانفلاس عن ذروة
القوة والطاقة الى الاستكانة والفاقة وفي الخبر ليسأل احدكم ربه حاجته

كلها

كلها حتى شسع نعله اذا انقطع وقد قال تعالى لموسى عليه السلام يا موسى
سلني في دعائك حتى ملح عجينك واخرج المحالي وغيره قال تعالى من الذي
دعاني فلم اجبه وسألني فلم اعطه واستغفرني فلم اغفر له وانا ارحم الراحمين
واذا استعنت اي اردت طلب المعونة في تحمل المؤنة المتعلقة
بامر الدنيا او الاخرة فاستعن بالله اذ لا معين سواه ولا فاتح ولا
مانع الا اياه وكل معين لا يعين الا بالقاء ربه الداعية في قلبه فلا بد من
قطع الواسطة في مقام قربه كما يشير اليه قوله تعالى اياك نعبد واياك
نستعين ولانه لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة
الله الا باعانة الله ومن ثم كانت لا حول ولا قوة الا بالله كنزا من كنوز
الجنة على ما ورد به الخبر وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز لا تستعن
لغير الله يكلك الله اليه وقيل المعنى اذا سألت غير الله فسل الله
ان يوفقه اياه واذا استعنت بما سواه فاستعن بالله ليعينك بخلق
الاعانة والشفقة في قلبه ان قدره وقضاه واعلم حث على التوجه التام
نحو الخبر الذي هو المقصود والمرام ان الامة المراد بها هنا سائر البرية
لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لفظة لو بمعنى ان اذ المعنى على الاستقبال
كما في لو تركوا من خلفهم ونكتة العدول هي ان اجتماعهم على الامداد
من المستحيلات بخلاف الاتفاق على الايذاء فانه من الممكنات ولذا قيل
الظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم لم ينفعوك اي
بشيء من الاشياء الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على ان يضروك
بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك اي قدره واثبته في الذكر
وفرغ منه والمعنى وحد الله في الطلب والدفع ولحوق الضر والنفع
قال الله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك
بخير فلا راد لفضله رفعت بصيغة المجهول الاقلام اي وثبتت الاحكام
لما في جامع الترمذي ان اول ما خلق الله القلم فقال اكتب قال ما اكتب
قال اكتب القدر ما كان وما يكون وفي رواية لابي داود والترمذي اول ما

ما خلق الله القلم ثم قال اكتب فى تلك الساعة ما هو كائن الى يوم القيمة وجفت
بالجيم المفتوحة وتشديد الفاء اى يبست الصحف اى كتابة ما زبر فى اللوح
وفرغ منها على وفق ما قدر وهو كناية عن جريان القلم بالمقادير وعدم امكان
شيء من التغيير لا يقال هذا ينافى قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت لانا نقول
المحو والاثبات لما جفت الصحف ايضا لان القضاء قسمان مبرم ومعلق
او نقول به ما فى اللوح قابل للمحو والاثبات على نهج الصواب بخلاف ما فى علمه
سبحانه واليه الاشارة بقوله وعنده ام الكتاب رواه الترمذى وقال
اى هذا كما فى نسخة حديث حسن صحيح وقد روى مسلم ان الله كتب
مقادير الخلق قبل ان يخلق السماء والارض بخمسين الف سنة وروى
ايضا قيل يا رسول الله فيما العمل اليوم افيما جفت به الاقلام وجرت
به المقادير ام فيما يستقبل قال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير
قيل ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وقد روى جماعة غير الترمذى
من عدة طرق عن ابن عباس وجاء انه صلى الله عليه وسلم وصاه بذلك
عن على وابى سعيد وسهل بن سعد وعبد الله جعفر لكن قال ابن منده وغيره
اصح الطرق كلها الطريق التى اخرجها الترمذى ثم هو حديث كبير الشان
كثير البرهان للدلالة على رعاية حقوق الله والتوكل عليه والتفويض وعجز
الخلق وافتقارهم اليه وشهود توحيده وظهور تفريده وفى رواية
غير الترمذى وهو عبد الله بن حميد فى مسنده لكن باسناد ضعيف
ورواه احمد باسنادين منقطعين ولفظه يا غلام او يا غليم الا اعلمك
كلمات ينفعك الله بهن فقلت بلى يا رسول الله فقال احفظ الله
يحفظك الله احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك
فى الشدة واذا سألت فاسئل الله واذا استعنت فاستعن بالله
قد جف القلم بما هو كائن فلو ان الخلق كلهم جميعا ارادوا ان ينفعوك
بشيء لم يقضه الله لم يقدروا عليه وان ارادوا ان يضروك بشيء لم يكتبه
الله عليك لم يقدروا عليه واعلم ان الصبر على ما تكره خير كثير وان النصر

مع

مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا وهذا اتم من حديث
عبد الله بن حميد الذى ذكره المصنف بقوله احفظ الله تجده امامك
بفتح الهمزة تعرف بتشديد الراء الى الله فى الرخاء اى تحبب اليه بلزوم
طاعته واجتناب معصيته ذكره المصنف لان المعرفة سبب المحبة وقيل
احمل الله يعرفك بطاعته والعمل فيما اولاك من نعمته يعرفك بفتح الياء
وكسر الراء اى يجازيك ويمدك فى الشدة ويجعل لك من كل ضيق
فرجا ومن كل هم مخرجا وحاصل المعنى تقرب اليه بانواع الطاعات وامتثال
العبادات وتحبب اليه وتوكل عليه واستسلم لتكون معروفا بذلك لديه فيسهل
عليك نحوك ويدفع عنك غمومك بما سلف من تقربك اليه وتذللك
لديه واعتمادك عليه وفى حديث للترمذى عن ابى هريرة من سره ان
يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء فى الرخاء ورواه
الحاكم عن سلمان وقال صحيح الاسناد واعلم ان ما اخطاك اى جاوزك
من المقادير من نعمة او شدة فلم يصل اليك لم يكن مقدرا ليصيبك اى
لان يصيبك والا لكان اصابك ولم يتجاوز عنك ولم يتعد عليك
وما اصابك من المقدرات لم يكن مقدرا ليخطئك والمعنى انه فرغ مما
اصابك او اخطاك من خير وشر ونفع وضر وطاعة ومعصية ونعمة ومحنة
فما اصابك كانت اصابته لك محتومة فلا يمكن ان يخطئك وما اخطاك
فسلامتك منه محتومة فلا يمكن ان يصيبك لان ذلك كالسهام الصائبة
وجهت من الازل فلا بد ان تقع مواقعها من غير ان تتغير وتتبدل وقد
قال تعالى قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وقال ما اصاب من مصيبة فى الارض
ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها اى نخلقها وقد ورد فى مسند
احمد انه صلى الله عليه وسلم قال ان لكل شيء حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الايمان
حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وفى خبر آخر
فان استطعت ان تعمل لله بالرضا فى اليقين فافعل وان لم تستطع
فان فى الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وزيد فى رواية اخرى بعد هذا قالت يا رسول الله

كيف اصنع باليقين فاعمل بالعلم قال ان تعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطئك
وما اخطأك لم يكن ليصيبك فاذا انت احكمت باب اليقين وهو العيان
بقوة الايمان لا بالحجة والبرهان وقيل هو مشاهدة الغيوب بصفاء القلوب
وملاحظة الاسرار بمحافظة الافكار اي ان يثق قلبك بالقضاء
بعينك على الرضا بما اصابك من البلاء وان لم تصل الى هذا المقام
فتجرع الصبر فان في الصبر خيرا كثيرا لتحقق المرام كما اشار اليه بقوله
واعلم ان النصر من الله للعبد على جميع اموره يوجد مع الصبر اي من العبد
على ما امر ربه من امتثال طاعته واجتناب معصيته وحلول محنته ونزول
مصيبته قال تعالى والله مع الصابرين وقال تعالى واصبر لحكم ربك
وقال واصبر وما صبرك الا بالله وقال ولئن صبرتم لهو خير للصابرين
ومن جملة الخير النصر بل الظاهر كما هو الغالب ان من انتقم بنفسه عدم النصر
ومن صبر ورضي بعلم الله وطلب النصر من عنده فالمفهوم من احسانه وكرمه
ان ينصره ويقويه على عدوه ومجمل معناه ان الصبر سبب للنصر وان
الفرج بفتحتين الخروج من الغم مع الكرب بفتح فسكون اي الغم الذي
ياخذ بالنفس اي لا يدوم على احد امر الكرب او الشدة ولا بد من عقباه
من الفرج والخلاص من المحنة ولذا ورد اشتدي ازمة تنفرجي فينبغي للعبد
ان يكون صابرا على ابتلاء مولاه وراجيا وقوع الفرج مما نزل به وقدره وقضاه
فانه ارحم الراحمين واكرم الاكرمين وان مع العسر يسرا مصداقه قوله تعالى
فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فذكر العسر مرة واليسر مرتين فان
المعرفة المعادة وهي عين الاولى بخلاف النكرة فانها غيرها ولذا قال صلى
الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين ولعل المعنى ان العسر في الدنيا يصحب اليسر
في الدنيا والعقبى واخرج البزار وابن ابي حاتم واللفظ له لو جاء العسر فدخل هذا
الحجر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه فانزل الله هذه الاية فان قلت النصر
والفرج واليسر بعد الصبر والكرب والعسر لانهما يتواردان على المحل فما
معنى الاصطحاب المستفاد من مع فالجواب ان المقصود المبالغة في معاقبته

احدهما

احدهما الاخر واتصاله به حتى جعل كالمقارن زيادة في التسلية والتنفيس
وجعلها بمعنى بعد من ضيق العطن وحاصل معنى هذا الحديث الشريف هو الحث
على التوكل والرضا ونفي الحول والقوة الا بالمولى اذ ما من حادثة من سعادة
وشقاوة وخير وشر ونفع وضر ويسر وعسر وعمل واجل الا وقد تعلق
بقدرة الله وقضائه قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف
عام جرى قلم القضاء بما يكون من شيء ان التحريك والسكون فيجب الشكر في
حال السراء والصبر في حال الضراء ويعتقد ان الامر كله لله وان كل شيء من
عند الله فان نعم شيء فبتقديره وان اتفق شيء فبتيسيره وفي الحديث
ايضا اشارة الى ان الله تعالى اذا اراد ان يفتح لعبده بابا من فضله
ابتلاه بشيء من بلائه ثم يخصه بنعمه من نعمائه وما رايت شيئا من الامتحان
الا رايت معه او بعده من بوادر لطائف بره وسعة طريق محبتهم وزيادة
لمودتهم والحكمة في ذلك ان تعرف قدر النعمة وشرف المنة فبمرارة الفراق
تعرف حلاوة الوصال وبحرارة الهجران تدرك راحة العرفان وبالنقطة
السوداء في وجه الحسناء تعلم قدر الحسن والبهاء فعلى المؤمن اذا لحقه شدة
في صعوبة مالها ان يعلم انه سيظفر بزوالها لانه اما ان يتخلص عنها بالحيوة
واما يحصل له النجاة بالممات وحينئذ يصل الى من لا يهمل شيئا من امره ولا
يضيع حقه من صبره وشكره وقال بعض المريدين للشيخ ابي الحسن الشاذلي
علمني الكيميا فقال له هي كلمتان اطرح الخلق عن نظرك واقطع طمعك عن الله
ان يعطيك غير ما قسم لك وقال القطب الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني
في فتوح الغيب النفس لها حالتان لا ثالث لهما حالة عافية وحالة بلاء فاذا
كانت في بلاء فالجزع والشكوى والتسخط والاعتراض والتهمة للحق عز وجل
لا صبر ولا رضا ولا موافقة بل سوء الادب والشرك بالخلق والاسباب
والكفر واذا كانت في عافية فالاشر والبطر واتباع الشهوات واللذات
كلما نالت شهوة طلبت اخرى واستحقرت ما عندها من النعم من مأكول ومشروب
وملبوس ومنكوح ومسكون ومركوب فتخرج لكل واحدة من هذه النعم عيبا ونقصا

وتطلب اعلى منها واسنى محالا لقسم لها وتعرض عما قسم لها فترتكب الغمرات
وتخوض المهالك في تعب طويل لا غاية له ولا منتهى في الدنيا ثم في العقبى كما قيل
من اشد العقوبات طلب ما لا يقسم فاذا كانت في بلاء لا تتمنى سوى انكشافه
وتمنى كل نعيم وشهوة ولذة لا تطلب شيئا منها فاذا عوفيت منه رجعت الى
رعونتها واشرها وبطرها واعراضها عن طاعة ربها وانهماكها في معاصيه وتنسى
ما كانت فيه من البلية وحل بها من الويل فترد الى اشد ما كانت عليه من انواع
البلاء والضر عقوبة لها لما قد اجترحت وركبت من العظايم وفطما لها
وكفا عن المعاصي في المستقبل اذ لا تصلح لها العافية والنعمة بل حفظها
في البلاء والبوس فلو احسنت الادب عند انكشاف البلية ولازمت الطاعة
بالشكر والرضاء بالمقسوم لكان خيرا لها دنيا واخرى فكانت تجد زيادة
في النعيم والعافية والرضاء من الله عز وجل والطيبة والتوفيق واللطف
فمن اراد السلامة في الدنيا والاخرة فعليه بالصبر والرضا وترك الشكوى
الى الخلق وانزال حوائجه بربه عز وجل ولزوم طاعته وانتظار الفرج منه
عز وجل والانقطاع اليه فهو خير من غيره من جميع خلقه حرمانه عطاء وعقوبته
نعماء وبلاؤه دواء ووعده نقد نسيئته حالة وقوله فعل انما حسنة وحكمة
ومصلحة غير انه عز وجل طوى علم المصالح عن عباده وتفرد به فالاولى للعبد
واللائق لحالة الرضاء والتسليم في القدر والاشتغال بالربوبية التي هي
علة الاقدار ومجاريها واصولها والسكوت عن لم وكيف ومتى والتهمة للحق
عز وجل في جميع حركاته وسكناته وتستند هذه الحجة الى حديث عبد الله
ابن عباس وهو ما روى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
بينما انا رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال لي يا غلام احفظ الله
يحفظك احفظ الله تجده امامك فاذا سالت فاسئل الله واذا استعنت
فاستعن بالله جف القلم بما هو كائن ولو جهد العباد ان ينفعوك بشيء لم يقضه
الله لك لم يقدروا عليه ولو جهد العباد ان يضروك بشيء لم يقضه
الله عليك لم يقدروا عليه فان استطعت ان تعمل لله بالصدق في اليقين

فاعمل

فاعمل وان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر
والفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا قال فينبغي لكل مؤمن ان يجعل هذا
الحديث مرآة قلبه وشعاره ودثاره وحديثه فيعمل به في جميع حركاته وسكناته
حتى يسلم في الدنيا والاخرة ويجد العزة فيهما برحمة الله عز وجل انتهى وقد
افرد هذا الحديث بشرح مستقل لبعض العلماء وهو حقيق بذلك لمن اراد
تحقيق ما هنالك **الحديث العشرون** لم يتعرض المص للفظة الحديث
من ههنا الى اخر الكتاب كذا قاله الشارح الكازروني وغيره واما ما وقع
في اصل ابن حجر من قوله الحديث المتم عشرين فمخالف للنسخ المعتبرة ثم
اعلم ان العشرون يطلق على مجموع عدده ومنه قوله تعالى ان يكن منكم عشرون
ويطلق على عدد المكمل للعشرين مجازا كما ههنا لانه تم به العشرون
عن ابي مسعود عقبة بن عمرو الانصاري الخزرجي النجاري البدري
شهد العقبة الثانية مع السبعين ولم يشهد بدرا عند الجمهور
وانما نسب الى ماء بدر لانه نزل فيه لكن الزهري ومحمد بن اسحق البخاري
ومسلم ذهبوا الى انه شهدها رضي الله عنه سكن الكوفة ومات بها في خلافة
علي وهي من يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين
الى غداة الجمعة لسبع بقين من رمضان سنة اربعين وم روياته
مائة حديث وحديثان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما
ادرك الناس بالرفع على الفاعلية والراجع الى ما محذوف او الفاعل
ضمير يعود الى ما والناس مفعوله لكن الرواية على الاول كما قاله الكازروني
ولفظ من تبعيضية اي من جملة ما وصلوا اليه ولحقوه وظفروا به من كلام
النبوة الاولى من بيانية اي من كلمات ذوي النبوة المتقدمة واضاف
الكلام اليها اعلاما بان الحياء من فضايل النبوة المجمع عليها فما من نبي الا وقد
حث عليه وندب الامة اليه بقوله اذا لم تستحي فاصنع ما شئت والجملة
اسم ان بتاويل هذا القول وفي حديث لم يدرك الناس من كلام النبوة
الا هذا ولهذا قال بعضهم ان من الاولى ابتدائية يقال استحيى واستحى لكن

الاول اصح وافصح ومنه قوله تعالى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ومنه هذا
الحديث على ما في الاصول المعتمدة خلافا لما يتوهم من شرح ابن حجر فتدبر قال
المص معناه اذا اردت فعل شيء فان كان مما لا تستحيي من الله ومن الناس
في فعله فافعله والا فلا وعلى هذا مدار الاسلام يعني مدار احكام الاسلام وذلك
بان افعال الانسان اما ان يستحيي منها او لا فالاول يشتمل الحرام والمكروه
وتركهما هو المشروع والثاني يشتمل الواجب والمندوب والمباح وفعلها
مشروع في الاولين جائز في الثالث فعلى هذا يتضمن الحديث الاحكام
الخمسة ولهذا ورد الحياء هو الدين رواه الطبراني عن قرة ثم في
كلام المص اشارة الى صيغة الامر في الحديث للاباحة فان معناه اذا
انت لم تستحي من صنع امر وفعله فذلك دليل على جواز ارتكابه وصيغه وقال
بعضهم الامر للتهديد كما في اعملوا ما شئتم اي اذا نزع منك الحياء
فافعل ما شئت فان الله مجازيك عليه ويكون هذا تعظيما للحياء وتجليل
في حقه بالثناء وقيل امر بمعنى الخبر اي صنعت ما شئت وقيل المعنى انك
اذا لم تستحي من الله من فعل شيء يجب ان تستحي منه في امر الدين فافعل
ولا تبال من الخلق ولعل من هذه القبيل ما قيل من ان الحياء يمنع العلم والرزق
يعني الحياء من الناس ولذا قال تعالى والله لا يستحيي من الحق ومن ثم
قالت عائشة نعم النساء نساء الانصار لم يمنعهن الحياء عن السؤال
عن امر دينهن وفي حديث ان ديننا هذا لا يصلح لمستحي ولا لمتكبر
والمراد منه الحياء المذموم والا فقد صح ان الحياء شعبة من الايمان
رواه مسلم والترمذي عن ابن عمر وفي رواية عنه على ما رواه ابو نعيم
في الحلية والحاكم في مستدركه والطبراني في الكبير الحياء والايمان قرنا
جميعا فاذا رفع احدهما رفع الاخر والحاصل انه لا ينبغي ان يغلبه
الحياء من الناس على الحياء من الله حتى يستحيي فيما يضره من امر دينه او دنياه
وبهذا تبين لك صحة قوله صلى الله عليه وسلم الحياء خير كله الحياء
لا يأتي الا بخير فان المراد به الحياء من الحق اذ لا عبرة بالخلق في

الشهود المطلق وقيل المعنى اذا ابطلت منك هذه القوة التي هي اصل
كل خير وما بقي فيك عين ولا اثر فافعل ما شئت فانه لا يفيدك دواء ولا ينفعك
احتماء كما ان الطبيب الحاذق اذا ايس من مداواة المريض وعرف ان الاحتماء
والدواء ما ينفعه لفساد مزاجه وعدم قبول علاجه فيأذن المريض ان يستعمل
كل ما يشتهي من الاشياء ولا يأمره بالاحتماء ولا شك ان الانبياء للقلوب
كالاطباء للقوالب فهذا تفخيم لامر الحياء ومزيد تعظيم له في مقام الثناء ونظيره
ما ورد على ما رواه الطبراني عن انس مرفوعا من لا يستحيي من الناس لا
يستحيي من الله ثم الحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يلام
وقال الجنيد رؤية التقصير ورؤية الالاء فيتولد من بينهما حالة تسمى
الحياء وقال ذو النون الحياء وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق
منك الى الرب وقال الدقاق هو ترك الدعوى بين يدي المولى وقال
العارف السهروردي الحياء اطراق الروح اجلالا لعظمة الجلال ومن هذا
القبيل حياء اسرافيل كما ورد انه يستتر بجناحه حياء من الله عز وجل وكذا
حياء عثمان رضي الله عنه كما قال اني لاغتسل في البيت المظلم فانطوي
حياء من الله عز وجل قيل والحياء وجوه منها حياء الجناية لادم عليه السلام
لما قيل له افرارا منا قال لا بل حياء منك وحياء الكرم كحياء نبينا
صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي
منكم وحياء الحشمة كعلي كرم الله وجهه حين سأل المقداد حتى سأل
النبي صلى الله عليه وسلم عن حكم المذي لمكان فاطمة رضي الله عنها منه وحياء
الاستحقار كموسى عليه السلام قال انه ليعرض لي الحاجة من الدنيا فاستحيي
ان اسألك يا رب فقال الله عز وجل سلني حتى ملح عجينك وعلف شاتك
وحياء الانعام وهو حياء الرب عز وجل يدفع كتابا مختوما الى العبد
بعدما عبر الصراط واذا فيه فعلت وفعلت ولقد استحييت ان اظهره
عليك فاذهب فاني غفرت لك وفي بعض الكتب قال الله تعالى
ما انصفني عبدي يدعوني فاستحيي ان ارده ويعصيني ولا يستحيي مني وقال

بعضهم التحقيق ان الحياء ينشأ عن علم القلب بان الله رقيب عليه فيحافظ
ظاهره وباطنه من مخالفة احكامه ويستقبح ما يصدر من هفوات افعاله و
زلات كلامه ويتحمل انواع البلاء الشديد في نظره ولا يشتكي الى غيره فاذا
ترقى وتحقق ان الله اقرب الاشياء اليه استحى من قربه فوق ما يستحي من
رؤيته فيدعوه ذلك الى محبته والخلوة معه مستوحشا من الاغيار مستلذا
بروح الانس بالملك الغفار حتى تطلع عليه انوار التوحيد وتلمع في سره بوارق
اسرار التفريد فيستحي من شهود مشهوده المطلق فانيا عن الكون بافنائه مع
الحق هذا واقل الحياء ان لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك
رواه البخاري وكذا احمد وابو داود والنسائي او رواه احمد ايضا عن
حذيفة واخرجه ابن ابي شيبة عن ابي مسعود الانصاري مرفوعا ولفظه
ان اخر ما كان من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ما شئت وروى
الترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم
قال استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا نستحي والحمد لله قال ليس
ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء ان تحفظ الرأس وما حوى
والبطن وما وعى وان تذكر الموت والبلى فمن فعل ذلك فقد استحى
من الله حق الحياء وروى البيهقي عن سعيد بن زيد ان رجلا قال للنبي
صلى الله عليه وسلم اوصني قال اوصيك ان تستحي من الله كما تستحي
رجلا صالحا من قومك وعن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده قال يا رسول الله
عوراتنا ما نأتي منها وما نذر قال احفظ عورتك الا من زوجتك وما
ملكت يمينك قلت يا رسول الله اذا كان احدنا خاليا قال فالله احق ان يستحيى
منه ووضع يده صلى الله عليه وسلم على فرجه **الحديث الحادي
والعشرون** عن ابي عمرو بالواو وقيل ابي عمرة اي بالياء تأنيث
عمر وسفيان بن عبد الله بضم السين رواية ويثلث دراية رضي الله
عنه كان ثقفيا عاملا لعمر على الطائف مرويا له خمسة احاديث قال قلت
يا رسول الله قل لي اي لاجلي خاصة من بين الانام في الاسلام اي فيما

مطـ

يكمل به

يكمل به الاسلام ويستدل به على توابعه من الاحكام قولا كافيا كاملا شاملا
واضحا شافيا لا اسأل عنه احدا غيرك اي لا احتاج فيه الى سؤال غيرك
وفي رواية بعدك اي بعد سؤالك هذا قال قل امنت بالله اي وبجميع ما
يجب الايمان به من المعتقدات ثم استقم على اداء الطاعات والانتهاء عن المخالفات
او قل امنت بالله وهذا معنى قول المصنف ثم استقم كما امرت ممتثلا امر الله
متجنبا نهيه انتهى شامل للاتيان بكل مأمور والانتهاء عن كل محذور
فيدخل فيه اعمال القلوب والابدان من الايمان والاسلام والاحسان
وقوله ثم استقم محمول على الثبات فيها ولعظم امر الاستقامة قال شيبتني
هود لانه نزل فيها فاستقم كما امرت وهي جامعة لجميع انواع التكاليف
وقال الصوفية لان الدعوة الى الله مع كون المدعو على الصراط المستقيم
امر صعب لا يمكن الا اذا كان الداعي على بصيرة يرى انه يدعوه من اسم
الى اسم ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم كما اخرجه احمد استقيموا ولن تطيقوا
اي حق الاستقامة وقال ابن عباس في قوله تعالى فاستقم كما امرت ما نزل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن اية كانت اشد ولا اشق
عليه من هذه الاية ولذا قال عليه السلام لاصحابه حين قالوا له قد اسرع اليك
الشيب قال شيبتني هود واخواتها واخرج ابن ابي حاتم لما نزلت
هذه الاية شمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رؤي ضاحكا واما عطف
اخواتها فلانها في معنى الاستقامة فان من جملتها ما تضمنت من القصص
ما وقع بالامم السالفة في الدنيا ومنها تذكر احوال الاخرة واهوال يوم القيمة
ولفظ ثم للتراخي الزماني فيفيد ان الكفار غير مخاطبين بفروع الاسلام
بل باصوله فاذا امنوا كلفوا بالفروع ايضا والاظهر انه مستعار للتراخي
الرتبي لان الاستقامة افضل من مجرد الايمان لشمولها العقائد والاعمال
والاخلاق والاحوال ولذا قيل الاستقامة خير من الف كرامة وقد نقل
انه لا يطيقها الا الاكابر لانها الخروج عن المألوفات ومفارقة الرسوم
والعادات والقيام بين يدي الحق على قدم الصدق والحديث مقتبس من قوله تعالى

ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الآيتين فعن ابي بكر رضي الله عنه
لم يشركوا به شيئاً او لم يلتفتوا الى اله غيره او استقاموا على ان الله ربهم
وعن عمر رضي الله عنه استقاموا على طاعته ولم يروغوا روغان الثعالب
وعن ابن عباس وجمع من الساداة استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله
وجاء عن الصديق الاكبر في رواية اخرى انه فسرها ايضا بانهم لم يلتفتوا
الى غير الله وهذا هو غاية الاستقامة ونهاية الكرامة وقيل تنقسم الى استقامة
العمل وهو الاقتصاد فيه بعدم تعدي من نهج السنة ولا تجاوز عن حد الاخلاص
الى الرياء والسمعة او رجاء العوض وطلب الغرض والى استقامة القلب
وهي الثبات على الحق والى استقامة السر وهي الثبات على الحقيقة وعند
المحققين ان استقامة العمل هي استواء القصد في السير الى الله وهي
دون الاستقامة في السير في الله لان هذه في الطريق والسلوك اليه باخذ
الطريق المستقيم بحسب التوفيق واما السير في الله فهو الاتصاف بصفاته
ثم الاستقامة في الله دون الاستقامة بالله المامور بها نبينا صلى الله
عليه وسلم في قوله فاستقم كما امرت لان تلك في مقام جمع الجمع والبقاء
بعد الفناء والاولى للمريدين والثانية للمتوسطين ولعل هذا هو السر
في تخصيص الخطاب به عليه السلام في قوله فاستقم دون الخطاب العام
ولشار اليه ايضا حديث استقيموا ولن تطيقوا وقال جعفر الصادق
في قوله تعالى فاستقم كما امرت افتقر الى الله تعالى بصحة العزة وقال القشيري
الاستقامة درجة بها كمال الامور وتمامها بوجودها حصول الخيرات
ونظامها ومن لم يكن مستقيما ضاع سعيه وجده وخاب جهده وقال
العارف الماتن معنى الحديث اذا وقفت بالتوحيد ورؤية جلال قدمه
وارع الحق حيث دار اما قضاء واما رضاء ولا تتنزل عن مقام الرضاء
الى فتنة النفس والهوى رواه مسلم وكذا الترمذي وقال حسن صحيح
وزاد زيادة مهمة في حديثه وهي قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف
علي فاخذ بلسان نفسه وقال هذا ولتؤيده انه اخرج احمد لا يستقيم ايمان

عبد

عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه واقول وقد يقال ولا
يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه كما سبق اذا صلحت صلح الجسد كله وربما يقال
ان تقديم القلب للمجذوب والمراد وتقديم اللسان والاركان للسالك
والمريد والله سبحانه اعلم بما يريد هذا وروي عن علي كرم الله وجهه انه
قال قلت يا رسول الله اوصني فقال قل ربي الله ثم استقم قال قلت
ربي الله وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب فقال ليهنئك
العلم ابا الحسن **الحديث الثاني والعشرون** عن ابي عبد الله جابر
بن عبد الله الانصاري رضي الله عنهما كان هو وابوه من اشاهير الصحابة
شهد العقبة الثانية وبدرا واستغفر له عليه السلام في ليلة البعير سبعا
وعشرين مرة وهو من الحفاظ المكثرين في الرواية وممن طال عمره كثر
الاخذ عنه وعمي اخر عمره وتوفي عن اربع وتسعين سنة عام ثلاث
وسبعين يقال هو اخر من مات من الصحابة بالمدينة روى الف
وخمسمائة حديث واربعون حديثا وقتل ابوه يوم احد فاحياه الله
وكلمه كفاحا ان رجلا هو النعمان بن قوقل بقافين مفتوحتين بينهما
واو ساكنة واخره لام اوسي شهد باحد سال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ارايت هذه الكلمة يستعمل في الاستقبال وحاصل معناه
اخبرني لان مشاهدة الاشياء لما كانت طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة
للخبر عنها استعملوا ارايت بمعناه لان الرؤية سبب للعلم والعلم سبب لصحة
الخبر عنه فاطلق السبب واريد المسبب البعيد فهو من رؤية البصر او لان
العلم بها وسيلة الى صحة الخبر فاطلق السبب واريد المسبب القريب فهي
من رؤية البصيرة والاستفهام فيه بمعنى الامر لانه للتقرير المستلزم لطلب
الخبر وقيل حقيقة الاستفهام دخلت على رايت وهو بمعنى ترى من رؤية
القلب كانه قال اترى اذا صليت المكتوبات اي الخمس المفروضات
وصمت رمضان اي ايام شهر واحللت الحلال وحرمت الحرام اي اعتقدت
الحلال حلالا واكتسبه والحرام حراما واجتنبه ولم ازد على ذلك المذكور



شيئا من سائر العبادات ويحتمل ان السائل لم يكن من اهل الزكوة والحج فلذا لم
يذكرهما ويحتمل انه ذكرهما ولم ينقل الراوي اختصارا او نسيانا او كان هذا
السؤال قبل وجوبهما ويحتمل انه اكتفى بقوله حرمت الحرام لان ترك الفرائض
من جملة المحرمات فعلى هذا ذكر الصلوة والصوم للاهتمام بهما ادخل الجنة
اي من غير سبق العقوبة وهمزة الاستفهام فيه مقدرة قال نعم اي تدخلها
وذلك لان اللام في الحلال والحرام للاستغراق فاذا احل كل حلال وحرم
كل حرام فقد اتى بجميع وظائف الشريعة وذلك مستقل بدخول الجنة
فان الحلال المراد به المأذون في فعله يشمل الواجب والمباح والحرام المراد
الممنوع متناول للمكروه التحريمي رواه مسلم قال المص في الاصل ومعنى
حرمت الحرام اجتنبه اي معتقدا حرمته ومعنى احللت الحلال فعلته احله
اي حال كونه معتقدا حله والله اعلم انتهى كلامه وفيه نظر لان في الحلال
يكفي مجرد الاعتقاد كما ذكر المص في شرح مسلم نقلا عن ابن الصلاح الظاهر انه
اراد بتحريم الحرام ان يعتقده حراما وان لا يفعله بخلاف تحليل الحلال
فانه يكفي مجرد اعتقاده كذا نقله عنه وسكت عليه وهو خلاف ما ذكره ههنا
قال السيد جمال الدين الحق ما قاله ابن الصلاح لان مجرد الاجتناب
عن الحرام لا يكفي بل ~~لا بد من الفعل كاف~~ من اعتقاد كونه حراما ومجرد اعتقاد
كون الشيء حلالا بدون الفعل كاف انتهى والتحقيق انه لا يحتاج الكلام
من طرفيه الى ذكر الاعتقاد لانه مفهوم من ذكر الحلال والحرام وانما احتيج الى
التأويل قوله حرمت واحللت اذ ليس على بابهما فان الله سبحانه
هو المحرم والمحلل فتأويل حرمت باجتنبت كاف وتأويل احللت
بفعلت ومقصوده ان يجتنب الحرام ويكتسب الحلال مع ان العلم
بتفاصيل الشرع غير متوجه على كل احد حتى يشترط الاعتقاد المبني على
معرفة كل شيء بانه حرام او حلال بل يكفي للعامة ان يكفوا عن المحرمات
ويتناولوا المباحات سواء علموا تفصيل ذلك ام لا فتناول احدهما هو حلال
في نفس الامر او ترك ما هو حرام في ذاته مع جهله باحكامهما الموجب لاعتقادها

لم يكن

لم يكن مؤاخذا فيهما ولعل ابن الصلاح نظر الى هذا قال الظاهر الى اخره نعم يمكن
حمل الحديث على الكمال وهو انه ما اجتنب شيئا الا وقد اعتقد انه حرام
وما اكتسب شيئا الا وقد اعتقد انه حلال وفيه اشارة الى انه ليس عنده
شيء من المشتبهات لا يلزم من قوله فعلته فعل كل حلال بخلاف قوله اجتنبته
فانه يلزمه اجتناب كل حرام وقد سبق ان الحلال بين والحرام بين
فكانه اكتفى بهما في بيان احكامهما فان قلت ظاهر الحديث يقتضي ان
الاعمال الصالحة اسباب دخول الجنة لان تعليق الحكم بالوصف يشعر
بالعلية وقد ثبت في الصحاح انه قال صلى الله عليه وسلم لن ينجي احدا
فيكم عمل قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله
برحمته فالجواب ان دخول الجنة بمحض رحمة الله وفضله كما ان دخول
النار بمقتضى سخطه وعدله واما تفاوت درجات الجنة واختلاف
دركات النار فبحسب مراتب الاعمال لكن للعبد ان يستعد للفضل
وذلك باحسان عمله كما قال تعالى ان رحمت الله قريب من المحسنين وما
احسن قول علي كرم الله وجهه من ظن انه بدون الجهد يصل فهو متمن
ومن ظن انه ببذل الجهد يصل فهو مستغن **الحديث الثالث والعشرون**
عن ابي مالك الحارث بن عاصم الاشعري رضي الله عنه مات في
خلافة عمر رضي الله عنه بطعن هو ومعاذ وابو عبيدة وشرحبيل في يوم
واحد ثالث ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين روى عنه جابر رضي الله عنه
وغيره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور بالضم هو المختار
وقول الاكثرين كما قاله المص وقال القرطبي الفتح هو المروي قال السيد
جمال الدين الطهور بالضم المصدر وبالفتح اسم لما يتطهر به فان كان
الرواية بالضم فظاهر وان كانت بالفتح فصحيح ايضا والمراد به المصدر
لان المفعول بالفتح قد يجيء مصدرا كالقبول او المضاف محذوف اي
استعمال الطهور كذا قاله شارح الحديث ولكن روايتنا في هذا الحديث
بالضم والله اعلم انتهى وفي شرح مسلم للمص اجمع اهل اللغة على ان الطهور والوضوء

يضمان اذا اريد بهما المصدر اي الطهارة عن الحدث والخبث ويفتحان اذا
اريد بهما المصدر الاسم اي ما يتطهر به قال القاضي العياض سوّيهما بمعنى المصدر
اي الطهارة عن الحدث الاكبر والاصغر في البدن وعن الخبث في الملبوس والمكان
او هو التنزه عن المستخبثات الحسية والمعنوية شطر الايمان اي بعض الشيء
فانه شرط من شرائطها والشطر كما يطلق على النصف يطلق على الجزء كما سيجيء
تحقيقه ومنه قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام اي جانبا من اجزاء
جوانبه واطلق الايمان على الصلوة كما في قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم
اي صلوتكم الى بيت المقدس لانها اعظم اثاره واكرم انواره قال شارح
وانما جعل شطرها لان صحة الصلوة بالاركان وهي احد الشطرين وبالشرائط
وهي شطر الآخر ولما كان اظهرها واكثرها افعالا هي الطهارة جعلت كل الشروط
كلها شطرا على الاتساع انتهى وفيه ما لا يخفى من النزاع وقال المظهر المراد بالطهور
الوضوء يعني وما في معناه من انواع الطهارة واصناف النظافة والا فلا
يلائم مجرد الوضوء لما ذكره بقوله وقيل معناه ينتهي تضعيف ثوابه الى
نصف اجر الايمان اي اجر اصل الايمان وهو في غاية من البعد لان الايمان
شرط لصحة جميع الاعمال والاحوال فكيف يقابل بنصف اجره باجر وسيلة
من وسائل عمل الصلوة ولو كان في اعلى درجات المضاعفة مع ان اجر الوضوء
متوقف على صحة النية وهي متوقفة على وجود صفات الطوية وثواب اصل
الايمان لا يعرفه غير الله سبحانه ثم قوله وقيل الايمان يجب ما قبله من الخطايا يعني
من الصغائر والكبائر وحقوق العباد وغيرها فلا يلائم قوله وكذلك الوضوء
لان الصلوة مع اصالتها لا يجب الا الصغائر فكيف بالوضوء على ان المكفرات
متعددة وايضا التشبيه يقتضي المثلية لا النصفية لكن الوضوء يتوقف صحته
على الايمان فصار نصفا فيه بحث ظاهر لان التوقف على الايمان اشياء
كثيرة من عبادات مستقلة ووسائل متسعة فكيف يكون الوضوء وحده
نصفا مع ان الصلوة باستقلالها مع انضمام غيرها لا يصلح ان يكون نصفا
لا سيما على مذهب اهل السنة والجماعة من ان الاركان غير داخل في حد الايمان

بل

بل او ان المعبر عنه بالكمال في مقام الاحسان ثم قال وقيل المراد بالايمان
الصلوة والطهور شرط لصحتها فصار كالشطر وفيه ما قدمناه من التحقيق
وانه لا يصلح في مقام التدقيق والله ولي التوفيق ثم قوله وقيل غير ذلك
لعله اشارة الى ما ذكرناه اولا او الى ما قال بعض الصوفية من ان
الطهور تزكية النفس عن الرذائل والاخلاق الدنية وهي نصف الايمان
اذ النصف الآخر التحلية بالفضائل والاعتقادات الحقية والتخلية مقدم
على التحلية وحاصله ان الايمان مشتمل عليها فيكون لكل نصف الآخر وبيانه
ظاهر في كلمة التوحيد فانها مشتملة على تخلية القلب عن وجود سوى المعبود
بالحق وتحلية باثبات توحيد الرب في الشهود المطلق مع الاشارة الى
اثبات الصفات السلبية والنعوت الثبوتية وقيل الايمان ظاهر وهو
الاقرار والتسليم وباطن وهو الاخلاص والتصديق فبالاقرار بلا اله
الا الله طهارة الظاهر عن الشرك والبراءة عنه وبالتصديق والاخلاص
طهارة الباطن عن الشرك والنظافة عنه فنصف الايمان تطهير الظاهر
وكماله تطهير الباطن وهذا المعنى يقوي القول بان الاقرار شطر للايمان
والله ولي الاحسان وقال الغزالي للطهارة مراتب من تطهير الظاهر من
الحدث والخبث ثم تطهير الجوارح عن الجرائم ثم تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة
ثم تطهير السر عما سوى الله انتهى وفيه اشارة الى ما سبق من اعتبار التخلية
والتحلية فان المقابل لما ذكر هو التلطخ بالنجاسة الحقيقية والحكمية والتدنس
بالاعمال الردية والدنية المبعدة عن الله وبالاشتغال بما عداه من الامور
الكونية وقد قارب هذا المعنى بعض الفقهاء في تحصيل المعنى بناء على ان المراد
بالايمان الكامل بالمعنى الاعم المركب من ثلاثة اجزاء وهي تصديق الجنان
واقرار اللسان وعمل الاركان فانه وان كثر خصاله لكنها منحصرة فيما ينبغي
التنزه والتطهر عنه وهو كل محذور عنه اعتقادا وقولا وفعلا وخلقا وحالا
وما ينبغي التلبس به وهو كل مأمور به كذلك فهو شطران فهو نظير خبر الايمان
نصفان نصف صبر ونصف شكر واما حديث ابن ماجه وابن حبان في صحيحه

اسباغ الوضوء شطر الايمان وفي رواية الترمذي والوضوء شطر الايمان
فليس على ظاهره بل يتعين تاويله بان المراد بالشطر هو الجزء ففي القاموس
الشطر نصف الشيء وجزؤه ومنه حديث الاسراء فوضع شطرها اي بعضها
يعني لو كان المراد به النصف لفرغت الخمسون في المرة الثانية فيتعين ان
يراد به الخمس لما جاء في روايات اخر فوضع عني عشرا واما حديث احمد الطهور
نصف الايمان فمحمول على ما قدمناه من تقسيم الايمان بالنوعين من الاحكام
مع انه قد لا يراد به حقيقة التنصيف كقول شريح وقد قيل له كيف اصبحت
قال اصبحت ونصف الناس علي غضبان يريد انهم بين محكوم له راض
وبين محكوم عليه غضبان فهما جزآن مختلفان ومنه قول الشاعر اذا مت
وكان الناس نصفين شامت بموتي ومثن بالذي كنت افعل اي قسمين
قسمين ومنه حديث تعلموا الفرائض فانها نصف العلم وكذا قول مجاهد
المضمضة والاستنشاق نصف الوضوء على انه قد يقال الايمان تطهير الباطن
من دنس الكفر والوضوء الظاهر من وسخ الوزر ثم رايت انه ذكر صاحب
النهاية والعقد ولي الهداية والحمد لله تملأ الميزان روي بالتاء المثناة
من فوق وبالياء آخر الحروف فالاول بتاويل الكلمة والثاني بتاويل القول
كذا ذكره السيد جمال الدين وقول المص اي ثوابها ليشير الى الاول فتامل
وقد ابعد من قال المراد بالحمد لله الفاتحة والمعنى ان ثواب التلفظ بها
مع استحضار معناها تملأ كفة الحسنات التي هي مثل طباق السموات وذلك
ان حمده سبحانه على ذاته وصفاته وافعاله في اظهار الموجودات واثار المصنوعات
مما يوجب عظمة تملأ الميزان بتقدير تجسمه او باعتبار صحفه وفي حديث
اثبات الميزان ذي الكفتين واللسان كما هو مذهب اهل السنة خلافا
للمعتزلة قال الغزالي وصفته في العظمة انه مثل طباق السموات والارض يوزن
فيه الاعمال بقدرة الله تعالى والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقا
لتمام العدل ويطرح صحائف الحسنات في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر
درجاتها عند الله تعالى بفضله وتطرح صحائف السيئات في كفة الظلمة فيخف

بها

بها الميزان بعدل الله سبحانه انتهى ونقل الواحدي في تفسيره عن ابن
عباس قال يوزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان
فاما المؤمن فيؤتى بعمله باحسن صورة فيوضع في كفة الميزان فتثقل حسناته
على سيئاته فذلك قوله تعالى فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون
ويؤتى بعمل الكافر في اقبح صورة فيوضع في كفة الميزان فيخف وزنه فذلك
قوله تعالى فاولئك الذين خسروا انفسهم قيل ولكل انسان ميزان الظاهر
قوله تعالى ونضع الموازين القسط والاصح انه ليس الا ميزان واحد والجمع
اما للتعظيم شانه تحذيرا من السيئات وتحريضا على الحسنات او باعتبار
الموزونات ويناسبه قوله واما من خفت موازينه واما من ثقلت موازينه
وسبحان الله والحمد لله تملآن بالفوقية والتحتية وكذا قوله او تملأ لكن
قال الكازروني الرواية فيهما على التانيث ثم او للشك فقوله ما بين
السماء والارض مفعول لاحدهما وفي نسخة صحيحة ما بين السموات والارض
قال المص اي لو قدر ثوابهما جسما لملأ وسببه ما اشتملتا عليه من التنزيه
والتفويض الى الله انتهى وكانه اشار الى ان الحامد لله سبحانه على افعاله ينبغي
ان يكون مفوضا الى ربه في جميع احواله والاظهر ان التسبيح يشير الى التنزيه
الذي مدار الصفات السلبية والحمد يومي الى اثبات الثناء الجميل وهو
مدار النعوت الثبوتية وبهذا الاعتبار يملأ انوارهما جميع ما في الدار ولعله
قبيل ليس في الدار غيره ديار وقد ذكر البيهقي في تفسيره وابن دحية عن
طلحة بن عبيد الله قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير
سبحان الله فقال تنزيه الله عز وجل عن كل سوء وهو اسم عن التسبيح
كما حققه ابن مالك لا علم له كما ذكره الزمخشري ثم الظاهر انهما تملآن
باجتماعهما ويحتمل ان كلا منهما بانفراده تملأ فقوله او تملأ شك من الراوي
في سماع لفظ الحديث ويصح ضميره ان يكون راجعا الى مجموع اللفظين او الى
كل من الكلمتين فاندفع بهذا قول بعضهم هذا شك فيما تملأ ما بين السماء
والارض هل هو الكلمتان او احدهما انتهى ولا يخفى ان الشك لا يجوز

أن ينسب إليه صلى الله عليه وسلم ولا يتصور أن الراوي من عنده يتصرف
في العبارة ويأتي بآلة الشك لتتميم الإشارة فكلام هذا القائل باطل
ليس تحته طائل وفي رواية النسائي وابن ماجه والتسبيح والتكبير ملء السموات
والأرض أي كل منهما أو كلاهما والأول هو المعول لأن الميزان أوسع مما بين
السماء والأرض فما يملؤه أكثر مما يملؤهما وقد سبق أن الحمد لله تملأ الميزان
بانفراده فلا وجه أن يراد به انضمامه وقد جاء في حديث أخرجه الحاكم مرفوعا
وصححه بلفظ يوضع الميزان يوم القيمة فلو وزنت السموات والأرض لوسعت فيقول
الملائكة يا رب لمن يزن هذا فيقول الله تعالى لمن شئت من خلقي فيقول الملائكة
سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وقد روى أحمد والنسائي والترمذي
لا إله إلا الله لا يعدلها شيء في الميزان وعند أحمد لا يثقل شيء بسم الله
الرحمن الرحيم وفي رواية لأحمد لو أن السموات السبع والأرضين السبع
في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن والصلوة نور أي ذات نور أو
ذاتها نور مبالغة في التشبيه والمعنى كما قال المظهر أنها تمنع من المعاصي وتنهى
عن الفحشاء وتهدي إلى الصواب يعني كما أن النور يستضاء منه ويهتدى
به قال ولعل يكون ثوابها نورا لصاحبها يوم القيمة وقيل لأنها سبب لاستنارة
القلب انتهى ولتوجيه أنها منورة وجه صاحبها في الدارين ومنه ما روي الصلوة
نور المؤمن وجاء من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار وقال أبو الدرداء صلوا
ركعتين في ظلم الليل لظلمة القبر وفي صحيح ابن حبان مرفوعا من حافظ عليها كانت
له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيمة وأخرج الطبراني أنه صلى الله عليه وسلم
السابقين وجاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر وأخرج أيضا مرفوعا
إذا حافظ العبد على صلوته قالت له حفظك الله كما حفظتني فصعد بها
إلى السماء ولها نور حتى ينتهي إلى الله عز وجل فيشفع لصاحبها أو منورة
قلب ملازمها لأنها تشرق فيه أنوار المعارف وأسرار العوارف فيتفرغ فيها
من كل شغل ويعرض عن كل زائل ويقبل على الله بكليته حتى يمن عليه بشهود
قربه ووجود محبته وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم كما رواه أحمد والنسائي

وجعلت

وجعلت قرة عيني في الصلوة وفي رواية الجائع والظمآن يروى وأنا
لا أشبع من حب الصلوة ثم هي تزيل الهموم والغموم عن صاحبها ومنه
قوله عليه السلام يا بلال أقم الصلوة أرحنا بها أخرجه أحمد والصدقة
أي الزكوة كما في رواية ابن حبان ويصح بقاؤها على عمومها برهان أي
دليل وبيان على صحة إيمان المتصدق يوم الحساب فإن العبد إذا سئل
عن مصرف ماله وقال تصدقت كانت صدقاته براهين في الجواب حيث
بذل العاجل رجاء للآجل من الثواب أو برهان على صدق دعواه في محبة الله
أو المحبوبات كلها تبذل لأجل المحبوب الأكبر فإنه ينال بالحواس ومن لا
يدرك جماله بالعقل والقياس ولذا أنفق بعض الوفاء كالصديق الأكبر
جميع ماله وبعضهم أمسك قدر ما يدفع به الحاجة من مناله وبعضهم اقتصر
على الواجب لضعف حاله والبرهان لغة هو الشعاع الذي يلي وجه الشمس
ومنه سميت الحجة القاطعة برهانا لوضوح ما فيه من الدلالة قال تعالى يا أيها
الناس قد جاءكم برهان من ربكم الآية وقال المظهر الصدقة برهان أي
حجة لصاحبها في أداء حق المال وقيل حجة في إيمان صاحبها لأن المنافق
لا يفعلها غالبا والصبر ضياء أي نور قوي ينكشف به الكربات وينقلع به
الظلمات قال المظهر أي الصبر المحبوب وهو الصبر على طاعة الله والبلاء ومكاره
الدنيا وعن المعاصي ومعناه لا يزال صاحبه مستضيئا مستمرا على الصواب
انتهى وفي خبر لابن أبي الدنيا وابن جرير أن الصبر على المصيبة يكتب به للعبد
ثلثمائة درجة وأن الصبر على الطاعة يكتب به للعبد ستمائة درجة وأن
الصبر على المعاصي يكتب به للعبد تسعمائة درجة قيل حكمة جعل الصلوة نورا والصبر
ضياء مع أنه سبحانه قال هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا أن
الصبر هو الأساس المبني عليه سائر الأعمال فلو لم يكن وجوده لم يتصور صلوة
ولا غيرها من الأحوال ومن ثم ورد ما أعطي أحد خيرا من الصبر وفي رواية أوسع
عطاء من الصبر وأيضا فالضوء فيه إحراق بخلاف النور فإنه محض إشراق
ولذا وصف شريعة موسى عليه السلام بأنها ضياء حيث قال تعالى ولقد آتينا

موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين لما فيها من شدايد الانكال
والاغلال ووصف شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم بانها نور لقوله تعالى
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين لخلوها عن تلك المحن الدينية
واتصافها بالملة السهلة الحنيفية ولا ينافيه ما ورد في رواية الصوم بدل
الصبر فانه من بين العبادات مختصة بالاحراق للاجزاء الباطنية لكونه
سببا لاحتراق الذنوب المعنوية ولانه احراق فيه اشراق ولهذا
ورد الصوم لي وانا اجزي به واما ما جاء في رواية احمد والترمذي من طرق
هذا الحديث والصوم نصف الصبر اي بعضه او معظمه هذا وقد قال الامام
حجة الاسلام لما كان الانسان مذكورا فيه العقل الداعي الى المصالح والشهوة
الباعثة الى المفاسد لم يوجد الصبر في غيره من الملائكة لفقدان الشهوة
الصارفة عن الخدمة ومن البهايم لعدم العقل ثم ما دام صبيا ليس له
الا شهوة الغذاء ثم اللعب ثم المنكح فاذا طلع ظهر باعث الدين والعقل رشده
الى الاعراض عن الباطل الفاني والاقبال على الحق الباقي فصد العقل الطبع
عن خلاف الشرع هو الصبر وهو اما بدني فعلا كتعاطي الاعمال الشاقة او انفعالا
كالثبات على الالام المحرقة او نفسي وهو منع النفس من مقتضيات الطبع
الى موافقات الشرع فان كان من شهوة البطن والفرج فهو العفة وان كان
عن المكاره ففي المصائب بان يحمل النفس على ترك اظهار الجزع خص بالصبر
وهو عند الصدمة الاولى والا فيسمى سلوا وفي النوائب سمي سعة الصدر
وان كان في مبارزة الاقران فهو الشجاعة وان كان في كظم الغيظ سمي
حلما وان كان في حال الغنى سمي ضبط النفس وان كان عن فضول العيش
سمي زهدا وان كان على قدر يسير من المال سمي قناعة وعلى هذا انتهى كلام
الامام فعلم منه ان الصبر بنيت عليه اركان الايمان والاسلام واحكمت
عليه قواعد الاحكام فيكون اتم من الصلوة فناسب ان يشبه بالضياء
الذي هو اقوى من النور مع انهما قد يتعاوران وفي كلام العارفين اشارة
الى ان للصبر اقساما من الصبر لله اي عن معصيته وعلى طاعته لاجل مثوبته وهو

للعامة

للعامة والصبر بالله اي بتاييده وهو صبر المنسلخ عن حوله وقوته عالما
بانه لا حول ولا قوة الا بالله نص عليه في المنازل وذكر القاشاني انه فوق
جميع الاقسام لحصوله بالبقاء بعد الفناء ويؤيده قوله تعالى لسيد الاصفياء
واصبر وما صبرك الا بالله والصبر على الله اي على حكمه وما قضاه وهو
صبر السالك الذي ترقى عن التصرف والاختيار ورأى ان المتصرف
فيه وفي الكل والمصرف للامور هو الحق فيصبر على احكامه مع مكابدة الالم
والالام ومنه قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا والصبر مع الله
وهما لاهل الحضور والمشاهدة والصبر عن الله وهو لاهل المحبة اذا اراد
المحبوب فراق المحب كما قال قائلهم اريد وصاله ويريد هجري فاترك
ما اريد لما يريد وهو اشد انواع الصبر مرارة ولذا لما سمعه الشبلي شهق
لديه وخر مغشيا عليه وانشد ان صوت المحب من الم الشوق وخوف
الفراق يورث ضنى اصابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب بالصبر
صبرا وتحقيق هذه المعارف تطلب من العوارف والقران حجة لك
اي ان حفظت مبناه وعملت بمقتضاه شهود لك ويصير حجتك و
يدل على نجاتك وحسن مآلك او عليك اي ان تركت تلاوته
وخالفت طاعته شهد عليك في مآلك ويلقيك في مهالك
ففيه اشارة الى ان القران سبب الوصول الى اعالي الدرجات او اسافل
الدركات ولذا قال تعالى واعتصموا بحبل الله فهو كحبل السلالم للمحبوبين و
دلاء للمحجوبين قال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وننزل من القران
ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقد قال
الخطابي جاء في الاثر ان عدد آي القران على قدر درج الجنة فمن استوفى
جميعها استولى على اعلى درجات الجنة قال المحققون استيفاء جميع
آي القران هو ان يتخلق باخلاقه وصفاته بل باخلاق الله وصفاته ويشير
اليه قول عائشة رضي الله عنها كان خلقه القران شافع مشفع او ماحل
مصدق من قدمه امامه قاده الى الجنة ومن جعله وراءه وقع في قفاه الى النار

ويومي اليه قوله الرحمن علم القران هذا
وجاء في حديث القران صح

وقيل المعنى لك او عليك في القواعد الشرعية والوقايع الحكمية لانه المرجع
عند المنازعات العرفية كل الناس يغدو والجملة مستأنفة كأنه قيل قد
تبين الرشد من الغي هناك فما حال الناس بعد ذلك فقال الناس
يصبح ساعيا في تحصيل اغراضه ومراده مسرعا في طلب نيل مقاصده فبايع
نفسه وفي نسخة بالاضافة وهو خبر مبتدا محذوف وسوسو الفا
تفصيلية والبيع بمعنى الشرا لان المشتري ليعتق لا البايع وهو مجاز
اي يصرف نفسه من الاغراض التي يتوخاها ويقصدها من الخير والشر فمعتقها
خبر بعد خبر او بدل من قوله فبايع نفسه والفا سببية او موبقها عطف
عليه اي فمنهم من يسعى في فكاك رقبته من اسر الطبع باتباع الشرع فيعتقها من
العذاب ويخلصها من العقاب ومنهم من يسعى في هلاك بمتابعة النفس والشيطان
والهوى فيهلكها ويرميها في طريق الردى فيكون للاول خير الدارين والامان
وللثاني الهلاك والخسران وقال المص معناه كل انسان يسعى بنفسه فمنهم
من يبيعها الله بطاعته فيعتقها من العذاب ومنهم من يبيعها للشيطان
والهوى باتباعهما فموبقها اي مهلكها انتهى ولا يخفى انه اختار على ان البيع
على بابه كما اشار اليه الحق سبحانه في كتابه بقوله ان الله اشترى من
المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الى ان قال فاستبشروا ببيعكم
الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم اي الحظ الجسيم فانه النعيم المقيم
قال الشيخ ابو الحسن الشاذلي النفوس على ثلاثة اقسام نفس لم يشتري لخستها
وهي نفوس الكافرين ونفس تشترى لكرامتها وهي نفوس الانبياء والمرسلين
قال المص وقد بسطت شرح هذا الحديث في اول شرح صحيح مسلم فمن اراد
زيادة فليراجعه وبالله التوفيق انتهى وقال الفاكهاني المعنى ان كل انسان
يصبح ساعيا في اموره وهو اما ان يكون الغالب عليه السعي في خلاص نفسه
بتوجهه بقلبه وقالبه الى العقبى وما عند الله تعالى مع الاعراض عن زخارف
الدنيا والتقيد باداب الشرع امتثالا واجتنابا فهذا الذي قال
فيه عليه السلام فمعتقها اي باع نفسه من الله وعقوبة مولاه وناهيك

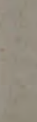
بها

بها منفقة اغتناما اذ كان الثمن عنها دار السلام والنظر فيها الى الوجه
الملك العلام والعجب انه يبيع انثى اي عتق وحرية وسيادة بسبب
ما اسلفه من عبادة وزهادة فاعتق نفسه من رق المخالفات بل من اقتحام
النار وعظم العقوبات واما ان يكون ساعيا في مذموم اغراضه وهواه مخالفا
في غالب تقلباته لسيده ومولاه فهو الذي باع نفسه من الشيطان
وتصدى لغضب الرحمان واختار عذاب النيران على نعيم الجنان فكان
جديرا بالطرد والحرمان نعوذ بالله من سخطه واليم عقابه ونسأله
رحمته وكريم ثوابه هذا وقالوا يجب على العبد مخالفة النفس الداعية
الى المهالك المعينة للاعداء المنغمسة في البلا المسترسلة بانصاف
الاسواء المتبعة للاهواء الغالبة على العقلاء والعلماء فما اسلم منها الا القليل
والانبياء وقال تعالى تتخذوا الهين اثنين اراد بالآخر بلسان الاشارة
الهوى لقوله عليه السلام ما عبد اله ابغض على الله من الهوى لان كل ما عبد
ما عبد الا على موافقة النفس والهوى ومخالفة الكتاب والهدى
ولذا قال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم حين
قدره وقضاه وقال ابو يزيد من امات نفسه يلف في كفن الرحمة ويدفن
في ارض الكرامة ومن امات قلبه يلف في كفن العقوبة ويدفن في ارض
العقوبة رواه مسلم وكذا احمد وابن المنذر والنسائي وابن ماجه والبيهقي
الحديث الرابع والعشرون عن ابي ذر اي الغفاري كما في نسخة
وفي اخرى رضي الله عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي اي يرويه كما
في نسخة وفي اخرى فيما روى عن الله عز وجل وفي نسخة عن الله تعالى
وفي اخرى عن ربه والمعنى روينا عنه انه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
ما ياتي من الكلام حال كونه مندرجا في جملة الاحاديث القدسية التي
يرويها عنه سبحانه انه قال والفرق بين الحديث القدسي وبين القرآن
ان اللفظ المنزل للاعجاز بواسطة جبرئيل عليه السلام والقدسي اخبر
الله فبلغه معناه بالالهام او المنام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم

انه بعبارة عن معنى ذلك الكلام فلا يكون معجزا ولا متواترا كالقرآن وقال
الطيبي فضل القرآن على الحديث القدسي انه نص الهي في الدرجة الثانية
وان كان من غير واسطة الملك غالبا لان المنظور فيه المعنى دون اللفظ وفي
التنزيل اللفظ والمعنى منظوران يا عبادي الخطاب مع الثقلين لاختصاصهم
بالتكليف في الامور وبتعاقب التقوى والفجور ويؤيده انه فصل المخاطبين
بالانس والجن ويحتمل ان يكون عاما شاملا لذوي العلم كلهم من الملائكة والثقلين
ويكون ذكر الملائكة مندرجا مطويا في قوله وحكم شمول الاجتناب لهم ثم
توجه الخطاب نحوهم لا يتوقف على صدور الفجور منهم ولا على امكانه لانه كلام
صادر على سبيل الفرض والتقدير اني حرمت الظلم على نفسي التحريم لغة المنع
شبه تنزهه عن الظلم باحتراز المكلف عما نهي عنه والمعنى تعاليت وتنزهت
عن ان اظلم احدا بان اعذبه بلا ذنب او اضيع اجر محسن مع انه لا يجب على
شيء لكني حكيم في كل باب فانزه نفسي عن زيادة عقاب او نقص ثواب
والمراد بالنفس الذات وجاء اطلاقه عليه في حديثه هذا وفي قوله عليه السلام
لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقول شارح لا يطلق
على الله الا على سبيل المشاكلة مدفوع مع انه لا مقابل في هذا الحديث
ايضا واغرب ابن حجر حيث اقره وقدر المشاكلة بقوله فان معناه
حرمته على نفسي فنفسكم بالاولى مع ان المشاكلة محلها الكلمة الثانية لا
الاولى واما قوله لا يجوز اطلاق النفس عليه سبحانه لانها تشعر بالتنفس
فمسلم لكنا نقول يجوز اطلاقها من حيث انها ماخوذة من النفاسة لا من النفس
بفتح الفاء فههنا اعتباران مختلفان كالشيء فانه باعتبار معنى المفعولي
لا يجوز اطلاقه عليه سبحانه ومنه قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير واما باعتبار
معنى الفاعلي فيجوز ومنه قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت مع كون المراد كل
متنفس فمدفوع بما علم استثناؤه سبحانه قطعا بالعقل والنقل ومنه
قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه فلا يخطر هذا الوهم بالبال والله اعلم بالحال
هذا ولقد بالغ بعض المانعين وتكلف في قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في
نفسك

نفسك بجعل الخطاب راجعا الى عيسى على ان الاصل ولا اعلم ما فيها ثم اوقع
الظاهر موقع المضمر فصار معناه ولا اعلم ما في مخلوقك وتعسفه مما يمجه
السمع السليم ويدفعه الطبع المستقيم وقال المظهر اي تقدست عنه فالظلم
مستحيل في حق الله تعالى لانه مجاوزة الحد او التصرف في غير ملكه وهما جميعا
محال في حق الله تعالى انتهى اولانه وضع الشيء في غير موضعه وهو محال ايضا
لانه حكيم عليم فيما قدر ودبر فان قيل قد نفى الله عن نفسه الظلم بقوله وما ربك
بظلام للعبيد على سبيل المبالغة وذلك يوهم ثبوت اصل الظلم كما توهمه
بعض الشراح وقال يتصور فيه لكنه لا يفعله جدا لامنه وتنزها عنه فالجواب
ان يقال صفات الله بلغت غاية الكمال ونهاية الجلال فلو اتصف
بالظلم لكان عظيما فنفاه على حد عظمته لو كان ثابتا واراد نفي نفس
الظلم لكن القليل منه بالنسبة الى رحمته الذاتية كثير فلذا عبر بلفظ
المبالغة مع انه قد يقال ان صيغة فعال يجيء للنسبة فمعناه ليس
بذي ظلم او ورد بصيغة المبالغة المفيد للكثرة مقابلة العبيد وكثرتهم في
عالم الخلقة واما ما اجاب بعضهم بان الله تعالى في خلقه تصرفين ظاهرا وباطنا
فتصرفه الظاهر نهى عنه شرعا وتصرفه الباطن يقضي به ويكلفه حقيقة
وهو الاول والآخر والظاهر والباطن فهذا صحيح المعنى لكنه لا يدفع الشبهة
كما لا يخفى ولعله اراد ان تصرفه الباطن على خلاف تصرفه الظاهر ليس
بظلم منه سبحانه كما يتوهم من ظاهر عبارة بعضهم وهي التي امرت الشيطان
بالسجود ومنعته منه ونهت آدم عن اكل الشجرة وحملته عليه واكل هذه
المسئلة شبهة المعتزلة في خلق الافعال لتوهمهم انه لولا هذا لوقع ظلم
بحسب ظاهر الاحوال وينسبون مذهبهم الى العدل والاعتدال مع انهم
عنه في حيز الاعتزال وجعلت بينكم محرما والشرك وان كان اعظم الظلم
وكذا سائر المعاصي يسمى ظلما الا ان المراد هنا ظلم العباد بعضهم بعضا
كما يدل عليه قوله فلا تظالموا قال المظهر هو بفتح التاء اي لا تتظالموا انتهى
وهو بتخفيف الظاء في الاصول المعتبرة ونقل ابن حجر انه روي بتشديدها

والاشهر تخفيفها والمعنى لا يظلم بعضكم بعضا فان الظلم ظلمات يوم القيمة كما رواه
الشيخان وروى البخاري من كانت عنده مظلمة لاخيه فليتحلله منها فانه ليس
ثم دينار ولا درهم من قبل ان يؤخذ لاخيه من حسناته فان لم يكن له حسنات
اخذ من سيئات اخيه وطرحت ثم اعلم ان من اعان ظالما ولو بالدعاء لطول
بقائه او مال اليه بالوقوف عليه او التردد اليه من غير ضرورة ملجئة فهو من
جملة الظلمة قال الله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وقد سئل
ابن المبارك عن خياط يخيط للظلمة هل هو من اعوانهم فقال لا هو من
الظلمة وانما هو من الاعوان من يبيع له الخيط والابرة ولقد سئل سفيان
الثوري عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة من الماء قال
لا قيل له يموت قال دعه يموت وذكر البيهقي عن مجاهد عن ابن عباس
قال اوحى الله الى داود يا داود قل للظلمة لا تذكروني فان حقا علي ان
من ذكرني اذكره وان ذكري اياهم ان العنهم روي انه لما خالط الزهري
السلطان كتب اليه اخ في الله عافانا الله واياك من الفتن فقد اصبحت
بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد
اثقلتك نعم الله فيما فهمك من كتابه وعلمك سنة نبيه واعلم ان
ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم ودبت للكبت
مرتبة العالم فدونك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين اداك
اتخذوك قطبا تدور عليه رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليه الى بلائهم
وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء
ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا
عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك
ان تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة و
واتبعوا الشهوات وانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا
يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك للسفر البعيد وما يخفى
على الله من شيء في الارض ولا في السماء. يا عبادي كرر النداء زيادة



نشر بفهم ولنشر بفهم ولذا اضاف الى نفسه وتنبيها على فخامة ما بعده وجمعه
لافادة الاستغراق افراده كلكم ضال اي من شانكم في جبلتكم الضلالة
كما ورد انه قال ان الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره اي
في ظلمة الطبيعة من الميل الى الشهوات والركون الى المحسوسات والغفلة
عن اسرار المكونات فرش عليهم من نوره ما نصب لهم من الآيات والدلالات
فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل اي واختار طريق
الردى الا من هديته بتنوير قلبه وصدره وتصفية استعداده عما ينافي
قبول الحق من ظلمات الشكوك والشبه والهوى فينبت به شجر التصديق
بما جاء من اصول الدين ثم ينمو باغصان الطاعات في كل حين ثم يثمر
بثمار المشاهدة واليقين ولا ينافي ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
كل مولود يولد على الفطرة فان هذه ظلمة طارية على الفطرة الاولى كما
يشير اليه ما روي خلق الخلق على معرفته فاغتالهم الشيطان وقال
ابن المبارك يولد على ما يصير اليه من سعادة او شقاوة ثم اعلم انه يصير
مسلما ولد على فطرة الاسلام ومن علم انه يصير كافرا ولد على فطرة الكفر
ويؤيده قوله تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن وحديث خلقت
هؤلاء للجنة ولا ابالي وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالي وحديث فرغ ربكم
من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير وهذا المعنى لا ينافي كون مولود
متهيئا للاسلام ومستعدا للايمان الا ان بعضهم يختار الكفر والطغيان
على الطاعة والايمان كما اخبر الله عنهم بقوله اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين وبهذا التحقيق
يحصل الواسطة المختارة لاهل السنة بين الجبر والقدر على طريق التحقيق
والله ولي التوفيق فاستهدوني اهدكم فاطلبوا مني الهداية الموصلة
الى ادلتكم عليها او وصلكم اليها وللهداية مراتب عالية لا ينتهي امر احد لديها
ولعل حكمة طلبه سبحانه منا سؤال الهداية مع انه تعالى يهدي من يشاء
بحسن الرعاية وجميل العناية اظهار الافتقار والاشعار بانه هداه قبل

سؤاله اياه لربما قال انما اوتيته على علم عندي فيفصل بذلك عن تحقيق ما هنالك
فاذا سأله ربه امور الدنيوية والاخروية فقد اعترف على نفسه بالعبودية
ولمولاه بالربوبية وهذا مقام شريف ومشهد لطيف وبهذا المعنى تبين
وجه العموم والخصوص من قوله تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء
الى صراط مستقيم وفيه دليل واضح على ان المهتدي من هداه الله وبارادته
اهتدى من اهتدى لا بما سواه وان غير المهتدي لم يرد الله هدايته فلم يهتد
لذلك ولو ارادها لاهتدى فيما هنالك خلافا للمعتزلة حيث قالوا انه تعالى
اراد هداية الجميع على انه تعالى يقول ولو شاء الله ما اشركوا فجل ربنا ان يريد
ما لا يقع او يقع ما لا يريد فانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يقال
المؤمن مهتد فطلبه الهداية تحصيل الحاصل لان المراد طلب المزيد او التثبيت
والتأبيد على وجه التأييد كما اشار الى المعنى الاول قوله سبحانه زادهم
هدى والى المعنى الثاني آمنوا امنوا ويحتمل كلا من المعنيين قوله تعالى
اهدنا وتحقيقه ان الانسان مركب من روح روحاني تقتضي العروج الى
عالم القدس ومقام الانس ومن نفس مائلة الى الخلود في السفليات
والانهماك في متابعة الشهوات فمن شاهده التوفيق هداه الى سواء الطريق
واذاقه حلاوة المجاهدة حتى يصل الى مقام المشاهدة وذلك باشارة
الى تحصيل الملكات الكاملة والاخلاق الفاضلة المعبر عنها بالصراط المستقيم
والدين القويم ولما فرغ من الامتنان بالامور الدينية شرع في الامتنان
بالاحوال الدنيوية فقال يا عبادي كلكم جائع الا من اطعمته بالوسائط
والروابط من الصناعات التي عليها تدور المناهج وبها تنتظم المصالح
بمقتضى القسمة الازلية المقدرة في عالم القضاء كما قال نحن قسمنا
بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا وقد نقل الشيخ اليافعي عن بعضهم
انه سبحانه لما اظهر الخلق من العدم في عالم القدم عرض عليهم الصنائع
وخيرهم فيها فاختار كل منهم صنعة قدرت له فلما ابداهم الى الوجود اجرى
على كل ما اختاره لنفسه بمقتضى اعملوا فكل ميسر لما خلق له وانه انفردت

طائفة

طائفة فلم تختار واشيا وقالوا اما عجبنا شئ نختاره فاظهر لهم مقامات
العبادة فقالوا لو اخترنا خدمتك فقال وعزتي وجلالي لاسخرنهم لكم
ولاجعلنهم خدما بين يديكم ولا اشغلنكم فيهم عرفكم وخدمكم على انه تعالى قدر
برزق بلا سبب معلوم كما روي ان موسى عليه السلام عند نزول الوحي عليه
وحصول الكلام تعلق قلبه باهله في ذلك المقام فامره الله ان يضرب
بعصاه صخرة فانشقت وخرجت صخرة ثانية ثم ضرب فانشقت فخرجت
ثالثة ثم ضربها فخرجت دودة كالذرة وفي فمها شئ يجري مجرى الغداء
فسمع الدود يقول سبحان من يراني ويسمع كلامي ويعرف مكاني ويذكرني
ولا ينساني فاستطعموني اي اطلبوا مني الطعام اطعمكم بتفتيح ابواب
المرام وتسهيل اسباب الانتظام فلا يجوز ابطال حكمة رفع وسائط
الارزاق والاتكال بسعة نعمة الرزاق فقد روي ان بعض العارفين
بلغ من زهده ان فارق الناس وخرج من الامصار وقال لا اسأل احدا
حتى يأتيني رزقي من عند ربي فاقام في سفح جبل سبعا لم يأته شئ حتى
كاد يتلف فقال يا رب ان احييتني فأتني رزقي الذي قسمت لي
والا فاقبضني اليك فالهمه الله وعزتي وجلالي لا ارزقك حتى تدخل
الامصار وتقيم بين الناس فدخل المدينة فبسط في رزقه فاوجس
في نفسه ذلك فسمع اردت ان تبطل حكمتنا بزهدك في الدنيا اما
علمت انه ان يرزق العباد بايدي العباد احب اليه من ان يرزقهم
بيد القدرة ولا تنافي بين تكفله سبحانه بارزاق العباد ومن طريق
فضله واحسانه واستطعامه بمقتضى لطفه وبره وامتنانه اذ لا يجب
عليه شئ من شأنه فمن لا يطعمه بفضله يبقى جائعا بعدله وفيه نكتة لطيفة واشارة
شريفة الى تأديب الفقراء الواقفين على ابواب الاغنياء فكأنه قال
لا تطلبوا الطعام من غيري فانهم يطلبونه من انا الذي اطعمهم فاستطعموني
اطعمكم كما اطعمهم يا عبادي كلكم عار في اول وجوده في ابتداء شهوده
الا من كسوته من عندي بخلق الكسوة وتقدير الشفقة والمرحمة ونقل

عن حكمه عليه السلام ابن آدم انت اسوأ بربك ظنا حين كنت اكمل عقلا
لانك تركت الحرص جنينا محمولا ورضيعا مكفولا ثم ادقعته عاقلا حين اصبت
رشدك وبلغت رشدك فاستكسوني اكسكم بفتح الهمزة وضم السين وفيه
تنبيه على عجزهم عن جلب منافعهم ودفع مضارهم الا ان ييسر الله لهم ما ينفعهم
ويدفع عنهم ما يضرهم ولعل الاقتصار على احتياج الطعام واللباس لانهما
منوحة عنهما للناس يا عبادي انكم تخطئون بضم التاء وكسر الطاء في
الرواية المشهورة وروي بفتحهما ففي النهاية خطئ في دينه خطأ اثم فيه
واخطأ سلك سبيل الخطأ عمدا او سهوا وقال ابو عبيدة خطئ واخطأ بمعنى
واحد وقيل المخطئ من اراد الصواب فصار الى غيره ومنه قولهم المجتهد يخطئ
ويصيب والخاطئ من تعمد ما لا ينبغي ومنه رجح رواية الثانية لانه جعل
ذنبا مغفورا والخطأ من غير تعمد معفو عنه سئل ام لا وتوضيحه ان بعض
الفضلاء ضبط بفتح التاء والطاء على وزن تعلمون وقال اخطأ يخطئ
رباعيا اذا فعل اثما من غير قصد وخطئ يخطأ على وزن علم يعلم ثلاثيا
اذا فعل عن قصد ومنه ناصية كاذبة خاطئة قال وانما تعين ان
يكون ههنا تخطؤن ثلاثيا لانه جعل ذنبا يغفر لقوله وانا اغفر الذنوب
جميعا والخطأ عن غير قصد معفو عنه لقوله صلى الله عليه وسلم رفع عن
امتي الخطأ والنسيان انتهى ويمكن تأييد القول الاول بان الخطأ
ولو كان عن غير قصد لكن ربما وقع تقصير في بعض مقدماته فلا يبعد ان يحتاج
الى المغفرة مع انه وقع الدعاء برفع الخطأ في قوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا
ان نسينا او اخطأنا نظرا الى انه لا يجب على الله سبحانه شيء وفي
الدعوات النبوية اللهم اغفر لي ذنبي خطاي وعمدي وكل ذلك عندي
وربما يحمل دعاء امثال ذلك على التلذذ بابتداء غفرانه ما هنالك على
انه قد يقال المعنى تذنبون عمدا وخطأ بالليل والنهار في ساعاتهما و
اوقاتهما وقدم الليل اذ الظلمة هي الاصل والنور طارئ عليها لسترها او
لان المقام يقتضي تقديمه اذ اكثر المعاصي يوجد عنده وانا اغفر الذنوب

اى

اي المتعددة واعفو عن غيرها جميعا وهو اما محمول كقوله تعالى ان الله
يغفر الذنوب جميعا وهو اما محمول على حال التوبة واما عام مخصوص
بالشرك وما شاء الله ان لا يغفره لقوله سبحانه ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فاستغفروني اي اطلبوا مني المغفرة اغفر لكم
اي ذنوبكم ولو مع الكثرة وفي الحديث لو لم تذنبوا وتستغفروا لذهب
الله بكم وجاء بقوم غيركم فيذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وذلك
لان صفة الغفارية تستدعي ظهور ذلك كما ان نعت الرازقية يقتضي
ما سبق هنالك وظاهر الحديث ان مجرد الاستغفار مع تحقق اصرار
مفيد في الجملة لانه اظهار الافتقار الى مغفرة الغفار وهو قد يخفف عقوبة
الفجار او يؤخرها الى اجل من اطوار الادوار يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري
بفتح اوله والضم وهو منصوب بنزع الخافض اي لن تصلوا الى ضري فتضروني
منصوب جوابا للنفي ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني والمعنى لن تقدروا
ان تصلوا الى ضر ولا ان تصلوا الى نفع فالطاعة لا تنفعه والمعصية
لا تضره بل ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها والله الغني
عن جميع الاشياء وانتم الفقراء اي المحتاجون اليه في ايجادكم وامدادكم
فالنفي غير متوجه الى القيد بل الى مجموع الكلام كما لا يخفى على الاعلام يا عبادي
لو ان اولكم وآخركم اي كل افرادكم او الاموات الذين سبقوكم والاحياء
الموجودين حينكم ومن لا يوجد بعد منكم وانسكم وجنكم اي جميع اصنافكم
كانوا على اتقى اي تقوى اتقى قلب رجل او على اتقى احوال قلب رجل
واحد منكم وانما قدر مثل هذا ليصح الحمل والمعنى لو كنتم على غاية التقوى ما زاد
ذلك الكون في ملكي شيئا اي من العظمة يا عبادي لو ان اولكم وآخركم
وانسكم وجنكم كانوا على افجر اي على فجور افجر قلب رجل واحد او على افجر
احواله ولم يقل لفظة منكم ههنا لئلا يخاطبهم بالافجرية تفضلا واحسانا
كذا قاله شارح وقال الكازروني وقع منكم في بعض النسخ لكن الرواية على
الاول والمعنى لو اتفقوا على الفجور ما نقص ذلك من ملكي شيئا لان الثواب

الوجود لذاته الثابت في جميع صفاته لا بد ان يكون غنيا عن الحاجات
متصفا بكل الكمالات فملكه كامل بل يتصور وجود اكمل منه كما اشار اليه
الامام حجة الاسلام بقوله ليس في الامكان ابدع مما كان ثم ما يوجد في الكون
من الشر فهو اضافي وليس شرا مطلقا بحيث يكون عدمه خيرا من وجوده بل
وجوده مع ذلك خير من عدمه وقوله شيئا مفعول مطلق ان قلنا انه متعد
اي شيئا من الاشياء هذا وقيل اراد باتقى رجل منكم محمدا عليه السلام كما
اراد بافجر رجل ابليس فانه من الجن عند الجمهور ولعل هذا ايضا نكتة اسقاط
لفظة منكم في الفقرة الثانية فان المقصود بالذات خطاب الانس
وانما ذكر الجن تبعا في مقام الانس يا عبادي لو ان اولكم واخركم
وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد وهو وجه الارض وظاهرها اي
في مقام واحد فسالوني في تلك الحالة بالسنة مختلفة فواتح مؤتلفة
وقيد السؤال بما ذكر لان تزاحم الاسولة وترادف الناس في المسالة
مع كثرتهم وكثرة حاجتهم مما يضجر المسؤول عنه ويدهشه وذلك يوجب
حرمانهم ونقصانهم او نقص انجاز مطالبهم واسعاف ماربهم وليس
كذلك في حقه سبحانه ولذا قال فاعطيت كل انسان مسألته اي مطلوبه
وحاجته ما نقص ذلك اي العطاء العبيدي مما عندي من خزائن الرحمة
التي في امري وحكمي وتدبيري الا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر بصيغة
المجهول البحر على نائب المفعول قال المص هو بكسر الميم واسكان الخاء
وفتح الياء اي الابرة ومعناه لا ينقص شيئا يعني لان ما عند الله لا
يدخله نقص بل يدخل المحدود الفاني وما فيما كما موصولة او موصوفة او مصدرية
اي لا نقص شيئا للاشياء مثل الذرا ومثل شيء ينقصه او نقصانا الا
مثل نقصانه في التقليل وانما ضرب المثل بالمخيط والبحر لانه وان كان رجع
شيء قليل محسوس لكن لقلته بالنسبة الى اعظم المرئيات عيانا لا يرى
ولا يعد شيئا فكانه لم ينقص من البحر فاين ذلك مما هنالك وفي معناه
قول الخضر لموسى عليهما السلام ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا كما ينقص

هذا العصفور وهو الذي رآه شرب من البحر فان قلت هل يتصور
ملك يعطي منه هذا العطاء ولا ينقص شيء من الاشياء فالجواب ان
العلم تقتبس منه ما شاء الله ولا ينقص منه شيء اصلا ثم في هذا الحديث
تنبيه للخلق على الاداب لسؤاله تعالى مع اعظام الرغبة وتوسيع المسئلة
والمعلم بان منع بعض عطاء ليس لنقص في خزائنه بل لحكمة تقتضي ذلك
ان يكون المنع خيرا هنالك ولذا قال ابن عطاء ربما اعطاك فمنعك
وربما منعك فاعطاك فالعوام يطلبون الدنيا وزهراتها والخواص
يتوجهون الى العقبى ولذاتها والعارفون يقصدون الحضرة الاحدية
ومناجاتها وذلك بعد ان فاح عليهم نفحات الوفاء وزكاهم الحق
من كدورات الصفات وحلاهم باجمل الحلي واحياهم بعد ما افناهم بكمال اللقا
وسقاهم من شراب الوداد واسكرهم بحقيقة المراد وكشف لهم الاستار
واطلع عليهم شموس الاسرار ورقاهم حالا بعد حال من بسط وقبض ووجد
وحجب وجمع وفرق وكشف وستر وصحو ومحو وتمكين وتلوين كما قيل
كان لم يزل اذا اتى كان شيئا لم يكن اذا مضى فلا يشهدون في الملكوت
الا جمال ذي العزة والجبروت قال الشاذلي انا لا نرى مع الحق من الخلق
احدا ان كان ولا بد فكالهباء وان فتشته لم تجد شيئا اي في الهواء
وما اشتهر انه قال بعضهم ما رأينا شيئا الا ورأينا الله بعده وما رأينا
شيئا الا ورأينا الله فيه وما رأينا شيئا الا ورأينا الله قبله وما رأينا
شيئا سوى الله فاشارة الى ترقيهم في معارج الارب ومناهج الطلب
يا عبادي انما هي الضمير للقصة وقوله اعمالكم على حذف المضاف اي جزاء
اعمالكم احصيها لكم اي احفظها عليكم واكتبها ثم اوفيكم اياها اي بتشديد
الفاء اي اردها اليكم تاما وافيا كذا ذكره السيد جمال الدين وقال
المظهر هي ضمير مبهم تفسيره قوله اعمالكم يعني راجع الى متعلق ذهني اشير
اليه ثم اخبر عنه بما بعده كما قال صاحب الكشاف في قوله هذا فراق بيني
وبينك انه قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده فاشار اليه انتهى

وفي قوله لطف لكم حكم حيث لم يقل عليكم وقال الطيبي الضمير راجع الى ما يفهم
التي قلب رجل وافجر قلب رجل وهي الاعمال الصالحة والطالحة اعمالكم
احصيها عليكم اي بعلمي وملائكتي الحفظة احفظها عليكم ثم اوفيكم اياها اي
اوفي جزاءها اليكم ان خيرا فخير وان شرا فشر والمراد وجد وفي نسخة
صحيحة عمل خيرا اي ما يثاب عليه فليحمد الله على توفيقه لطاعته وليعلم
انه من فضل الله ورحمته ومن وجد غير ذلك اي غير ذلك الخير وهو
الشر ولم يذكر للتعليم ومن جهة مقابلة اولانه ليس شرا محضا كما قرر في
محله اولان ذكر الشر شرا وكذا خير فانه من اداب حسن الخطاب ولعل غير
ذلك اعم من الشر فيشمل المباح فانه بالنسبة الى الخير شر ولذا ورد ليس
يتحسر اهل الجنة يوم القيمة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها فمن
وجد غير محض الخير ولو لم يكن صريح الشر ينبغي ان يلوم نفسه في مقام
المراقبة وحال المحاسبة ولذا قال الشيخ البستي ، زيادة المرء في دنياه
نقصان ، وربحه غير محض الخير خسران ، فلا يلومن الا نفسه لبقائها على الظلمة
الاصلية لها فاثرت شهواتها ومستلذاتها على رضى خالقها ورازقها فلقيت
بنعمه ولم تذعن لحكمه فاستحقت ان يعاملها ربها بمقتضى عدله وان يحرمها
من ايادي كرمه وفضله وفيه ايماء الى ذم ابن ادم وقلة انصافه حيث
يحسب طاعته من نفسه وكسبه ولا يسندها الى توفيق ربه واذا صدر منه
شيء من الاوزار يسندها الى الاقدار فان كان لا تصرف له على زعمه فهلا كان
ذلك فيهما وان كان له التصرف فلم ينفه عن احدهما قيل هذا الحديث صريح
في ان الخير من الله والشر من النفس كما قال المعتزلة وتاويله على مذهب اهل
السنة ما قيل في قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك
من سيئة فمن نفسك اضاف السيئة والشر الى النفس لانها السبب
فيها لاستجلابها المعاصي وهو لا ينافي قوله تعالى قل كل من عند الله فان
الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان وانعام والسيئة
مجازاة وانتقام ولا لوم على الله بخذلانه فانه لا يجب عليه تعالى شانه وقد

الى الفعل

الى الفعل بالنون تحذيرا ان يقول يقع في قلب عامل غافل ان لا يستحقه
غير نفسه قال البيضاوي افعال العباد وان كانت غير موجبة للثواب
والعقاب بذواتها الا انه تعالى اجرى عادته بربطها ربط المسببات
بالاسباب وانشد بعض ارباب الالباب ، اخاف وارجو عفوه
وعقابه ، واعلم حقا انه حكم عدل ، فان يك عفوا فهو منه تفضل ،
وان يك تعذيبا فاني له اهل ، والتحقيق ان السبب الفاعلي للخير والشر
ليس الا الله وحده بمقتضى فضله وعدله واما السبب القابلي فهو وان
المناسبة في الحقيقة الا ان قابلية الخير من الاستعداد الاصلي الذي
هو من الفيض الاقدس الذي لا يدخل الاختيار فيه وقابلية الشر
من الاستعداد الحادث بسبب ظهور النفس بالصفات والافعال
الحاجبة للقلب المكدرة لجوهر الروح حتى احتاج الى الصقل بالرزايا
والبلايا ولذا قال تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو
عن كثير ثم المجازاة قد يكون في الدنيا على الحسنات والسيئات لما
روي ان المؤمنين يجازون بسيئاتهم في الدنيا ويدخلون الجنة
بحسناتهم والكافر يجازى بحسناته في الدنيا ويدخل النار بسيئاته
والمراد بحسنات الكافر طاعات لم يتوقف صحتها على الايمان كاحسان
اليتيم وصلة الرحم واطعام المسكين واغاثة الملهوف واداء الضيافة
واعتاق الرقبة وامثال ذلك هذا وفي القران ان اهل الجنة
يحمدون بقولهم الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان
هدانا الله وان اهل النار يلومون انفسهم قال الله تعالى حكاية
عن ابليس لهم فلا تلوموني ولوموا انفسكم وقال عز وجل ان الذين
كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم رواه مسلم وهو حديث
عظيم من الاحاديث الالهية المسماة بالقدسية وهي اكثر من مائة
وقد جمعها بعضهم وقد انتخبت منها اربعينا وقد ساق المصنف هذا الحديث
باسناده في اذكاره وختم به وفيه عن رسول الله عن جبريل عن الله



ثم نقل ابا ادريس رواية عن ابي ذر كان اذا احدث جثا على ركبتيه تعظيما له
واجلالا ورجال اسناد هذا الحديث دمشقيون قال احمد ليس لاهل الشام
حديث اشرف منه واخرجه احمد والترمذي وابن ماجه بزيادة يا عبادي
كلكم مذنب الا من عافيته فسلوني المغفرة اغفر لكم ومن علم منكم اني
ذو قدرة على المغفرة فاستغفرني غفرت له ولا ابالي وكلكم فقير الا
من اغنيته فسلوني ارزقكم فلو ان حيكم وميتكم واولكم واخركم ورطبكم ويابسكم
اجتمعوا او كانوا على قلب اتقى عبد من عبادي لم يزد في ملكي جناح بعوضة
ولو اجتمعوا او كانوا على قلب اشقى عبد من عبادي لم ينقص من ملكي
جناح بعوضة ولو ان حيكم وميتكم واولكم واخركم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا
فسال كل سائل منهم ما بلغت امنيته ما نقص من ملكي الا كما لو كان احدكم
مر بالبحر فغمس فيه ابرة ثم نزعها ذلك باني جواد واجد ماجد افعل ما اريد
عطائي كلام وعذابي كلام انما امري لشيء اذا اردته ان اقول له كن
فيكون هذا وقيل في هذا الحديث دليل على قدر الاعمال وان من لا عمل له
فهو على خطر عظيم في المال قال الشيخ زين ابن معاوية كل الناس الا
من عظمه الله تعالى قد اتخذ واالمذهب المرجئة امنية فرجوا الجنة بلا عمل
الطاعة ويلتمس الرحمة مع الاقامة على المعصية من غير توبة وقد جاء ان الغرة
اي المقام على المعصية وتمني المغفرة رجاء كما لا يجتنى من الشوك العنب كذلك
لا تنال الابرار منازل الفجار وقال تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا
وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمت الله وقال تعالى انما يخشى
الله من عباده العلماء ثم وصفهم بقوله ان الذين يتلون كتاب الله الى قوله
انه غفور شكور فالواجب على العبد ان يكون بين الخوف والرجاء قال
تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم
وجاء في الحديث ان الله لا يجمع على خوفين ولا يجمع له بين امنين وان
من خافه في الاخرى وانشد لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

الحديث الخامس والعشرون عن ابي ذر ايضا اي رجع الحديث عنه

اليه

اليه رجوعا رضي الله عنه ان ناسا اي جمعا وهم فقراء المهاجرين من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
الجمع بين النبي والرسول لاتصافه عليه السلام بهما ثم خص بالوصف الاخص
حال النداء بقولهم يا رسول الله ذهب اهل الدثور قال المص بضم الدال
والثاء المثلثة الاموال الكثيرة واحدها دثر كفلس وفلوس انتهى ملتبسا
بالاجور الباء للتعدية وفيه معنى المصاحبة اي ذهب اهل الاموال بالدرجات
العلى واستصحبوها معهم في الدنيا والعقبى فما حالنا ومالنا حيث ولم نترك ان
شيئا من اسباب الخير لانهم يصلون كما نصلي ما كافة او مصدرية ويصومون
كما نصوم ويتصدقون بفضول اموالهم اي ونحن لا نقدر على ان نلحق
بهم في زيادة اعمالهم هؤلاء ليس بحسد في اموالهم بل غبطة في حسن احوالهم
ورجاء زيادة اموالهم في مالهم قال اوليس الهمزة للانكار والواو
للعطف على مقدر اي يكون كذلك وليس قد جعل الله لكم ما تصدقون
الرواية فيه تشديد الصاد والدال جميعها ويجوز في اللغة تخفيف الصاد
قال المص في شرح مسلم اي تتصدقون به ان بكل تسبيحة اي ان لكم
بسبب كل قول سبحان الله ونحوه من سبوح وقدوس وامثالها
صدقة اسمها وبكل متعلق الخبر المقدر وليس بخبر لعدم الفائدة ثم
الصدقة ما يخرجه الانسان من ماله على وجه القربة واجبا كان او تطوعا
فقال القاضي عياض تسميتها صدقة تشبيها لها بالمال في اثبات
الاجر وعلى سبيل المشاكلة وقيل معناه انها صدقة على نفسه انتهى
وعلى كل فقيه ايماء الى ان الصدقة للقادر عليها افضل من هذه الاذكار
ويؤيده ان العمل المتعدي افضل من القاصر غالبا والى ان تلك
الاذكار اذا حسنت النية فيها ربما يساوي اجرها اجر الصدقة لا سيما
في حق من لم يقدر على الصدقة بل قد ورد لو ان رجلا في حجره دراهم
يقسمها واخر يذكر الله لكان ذاكر الله افضل فتامل وفي بعض النسخ
ان بكل تسبيحة صدقة وهو مع مخالفته للاصول المعتبرة غير مطابق

لما سيأتي من ضبط المص عند قوله وبكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة
وكل تهليلة صدقة حيث قال في شرح مسلم رويناه بالوجهين رفع صدقة
ونصبه فالرفع على الاستيناف والنصب عطفا على ان بكل تسبيحة صدقة
انتهى والحاصل ان كل في المواضع الثلاثة مجرور للعطف على مدخول الجار
في بكل تسبيحة صدقة منصوب على اسم ان وهذا الوجه هو المختار الـ
المضبوط في اكثر نسخ العلماء الابرار واما مرفوع على انه مبتدا وصدقة
خبره والجملة عطف على محل ان والمراد بالتكبيرة قول الله اكبر وبالتحميدة
الحمد لله وبالتهليل لا اله الا الله وامثالها مما يدل على معناها وان اختلف
مبناها وامر بالمعروف وهو ما عرف في الشرع ولو على خلاف الطبع صدقة
وقد ضبط في اصلنا المعتمد المقروء على مشايخنا الكرام بنصب صدقة عطفا
على ما قبله وفي بعض النسخ المصححة برفعهما على انهما مبتدا وخبره والمخصص
للابتداء بالنكرة ههنا عملها في المعروف على ما نص عليه ابن مالك وكذا
الكلام في قوله ونهي عن منكر صدقة وفي نسخة المنكرة قيل واسقط
المضاف ههنا تجملها في المعروف على ما نص اعتمادا على السابق او قطعا
له عن ذلك الحكم والتنوين للتقليل للاشعار بان قليلا من هذا النوع يقوم
مقام تلك الامور السابقة فكيف بالكثير وذهب المص في شرح مسلم
الى ان التنكير فيه للافراد وحيث قال فيه اشارة الى ثبوت حكم الصدقة
في كل فرد من افراد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولذا نكرهما والى
ان الثبوت فيهما اكثر منه بالتسبيح ونحوه لانهما فرضا كفاية وتلك
نوافل ومعلوم ان اجر الفرض اكثر من النفل لقوله عز وجل وما تقرب
الى عبدي بشيء احب الي مما افترضت عليه وروي ان ثواب الفرض
يزيد على النفل بسبعين درجة انتهى والمعروف هو الصنايع الجميلة
والخصائل الجليلة لانها عرفت في الشرع ولذا عرف باللام والمنكر
ما ينكره الشرع ولا يرتضيه العقل والطبع ولذا نكر للتحقير وفي بضع احدكم
صدقة بالنصب والرفع وفي تعليقة بفتح الباء السببية قال المص هو

بضم

بضم الباء واسكان الضاد المعجمة وهو كناية عن الجماع اذا نوى به العبادة
وهو قضاء حق الزوجة وطلب ولد صالح واعفاف النفس وكفها عن المحارم
اي من النظر والفكر والهم والعزم وامثال ذلك والظرف في كلامه
متعلق بمحذوف اي يكون الجماع صدقة اذا نوى العبادة من قصد
معاشرتها بالمعروف الذي امره الله به ثم الواو في كلامه بمعنى او لان
كلا من الامور المذكورة سبب لكونه صدقة ثم البضع بالضم النكاح
على ما في الصحاح وقال غيره يطلق على الفرج نفسه والمراد ههنا مباشرة
الرجل منكوحته او مملوكته ولما كان الجماع من الامور المباحة واستبعد
ان يكون فيه اجر الصدقة قالوا يا رسول الله ايأتي احدنا شهوته ويكون
له فيها اجر اي مثوبة قال ارايتم اخبروني لو وضعها في حرام اكان عليه
وزر اي اثم يترتب عليه عقوبة والاستفهام للتقرير ولذا قال فكذلك
اذا وضعها في الحلال وفي نسخة في حلال كان له اجر بالرفع في اصلنا
وفي بعض النسخ بالنصب قال في شرح مسلم ضبطنا اجرا بالنصب والرفع
وهما ظاهران انتهى فالنصب على انه خبر كان واسمه مستتر فيه اي كان
ذلك الوضع له اجرا والرفع على انه اسم كان اي كان اجر له بوضعه او كان لاجل
وضعه اجر والحديث دليل لمن جوز القياس وهم اكثر الاصوليين والمذكور
قياس العكس واختلف فيه ايضا وهو اثبات ضد الحكم في ضد الاصل
كاثبات الوزر الذي هو ضد الصدقة في الزنا الذي هو ضد الوطء المباح
ومثله قول ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم من مات لا يشرك بالله شيئا
دخل الجنة وانا اقول من مات يشرك بالله شيئا دخل النار ذكره ابن
حجر واقول مثله حديث طوبى لمن طال عمره وحسن عمله فان الويل لمن طال
عمره وساء عمله ثم رايت رواية احمد والترمذي عن ابي بكر بلفظ خير الناس
من طال عمره وحسن عمله وشر الناس من طال عمره وساء عمله واما ما نقل
عن بعض التابعين في ذم القياس فهو اما محمول على قياس معارض لل
نص واما على ما فقد فيه بعض شروطه وقال المص في شرح مسلم فيه اثبات

جواز القياس كما قال العلماء كافة خلافا لاهل الظاهر واختلف الاصوليين
في العمل به وهذا دليل لمن عمل به وهو الاصح وفيه دلالة على ان المباحات
تصير بالنيات الصادقات طاعات انتهى وقد ورد من نام عن ورده
كتب الله له اجر صلاته وكان نومه صدقة من الله تصدق به عليه اخرجه
النسائي وغيره واخرج البزار ما من يوم وليلة ولا ساعة الا لله فيها صدقة
يمن بها على من يشاء من عباده وما من الله على عبده مثل ان يلهمه ذكره وقيل
ظاهر الحديث يقتضي ان الوطء صدقة وان لم ينو به شيئا كما انه لو زنا
لاثم وان لم ينو شيئا والى هذا اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقياس
العكس الذي ذكره حيث قال ارأيت لو وضعها في حرام الخ قلت النية
معتبرة في الزنا ايضا الا ترى انه لو جامع امراة لقيها على فراش زوجته
ولو تمسيس له انها غيرها لا يكون اثما بخلاف ما اذا دخل في خلوت فاحشة
على قصد الزنا بها فوجد امراته هناك ولم يعرفها وجامعها يكون اثما هذا
وقد اخرج ابن حبان في صحيحه ليس من نفس ابن آدم الا عليها صدقة
في كل يوم طلعت فيه الشمس قيل يا رسول الله ومن اين لنا صدقة
نتصدق بها قال ان ابواب الخير لكثيرة التسبيح والتكبير والتحميد والتهليل
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتميط الاذى عن الطريق وتسمع الاصم
وتهدي الاعمى وتدل المستدل على حاجته وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان
المستغيث وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف فهذا كله صدقة اخرجه
احمد بنحوه وزاد ذلك في جماعك زوجتك اجر قلت كيف لي اجر في
شهوتي فقال صلى الله عليه وسلم ارأيت لو كان لك ولد فادرك ورجوت
خيره فمات اكنت تحتسب به قلت نعم قال فانت خلقته قلت بل الله
خلقه قال فانت هديته قلت بل الله هداه قال فانت كنت ترزقه قلت
بل الله كان يرزقه قال كذلك فضعه في حلاله وجنبه حرامه فان شاء الله
احياه وان شاء اماته ولك اجر فان قلت اذا فعل الاغنياء ما ذكر من
التسبيح والتحميد والتهليل وامثالها يبقى شكوى الفقراء على حالها اجيب بان

مقصد

مقصود الفقراء تحصيل ثواب الصدقة لا نفي زيادتهم المطلقة ونوقش
بان الظاهر ان مقصدهم انما كان طلب المساواة لانه ورد في بعض
طرق الحديث عند مسلم قال ابو صالح فرجع فقراء المهاجرين الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع اخواننا اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا
مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
رواه مسلم ولفظه في الصحيحين ان فقراء المهاجرين اتوا النبي صلى
الله عليه وسلم فقالوا ذهب اهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم
فقال وما ذاك قالوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون
ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق فقال صلى الله عليه وسلم الا اعلمكم
شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون احد افضل
منكم الا من صنع مثل ما صنعتم قالوا بلى يا رسول الله قال تسبحون وتكبرون
وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين قال ابو صالح فرجع فقراء المهاجرين
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فعلم
بهذا افضلية غني شارك الفقير في العبادات البدنية وزاد عليه بالقربات
المالية وهذا لا شك فيه كما قاله ابن دقيق العيد وانما الذي يتردد النظر
فيه اذا تساويا في اداء الواجب وزاد الفقير بنوافل الاذكار والغني
بنوافل الصدقة والفرد لكل واحد مصلحة ما هو فيه واذا كانت المصالح
متقابلة ففي ذلك نظر يرجع الى تفسير الافضل ما هو فان فسرناه بزيادة
الثواب والقياس يقتضي ان المصالح المتعدية افضل من القاصرة وان
كان الافضل بمعنى الاشرف بالنسبة الى صفات النفس فالذي يحصل
للنفس من التطهير للاخلاق والرياضة لسوء الطباع بسبب الفقر اشرف
فيترجح الفقر ولهذا المعنى ذهب الجمهور من الصوفية الى ترجيح الفقير الصابر
لان مدار الطريق على تهذيب النفس ورياضتها وذلك مع الفقر
اكثر منه مع الغنى فكان افضل بمعنى اشرف انتهى كلام ابن دقيق العيد
وهو في غاية التحقيق ونهاية التدقيق ويؤيده ان الظواهر من الاحاد

يقتضي تفضيل الذكر على الصدقة بالمال لحديث احمد والترمذي الا انبئكم
بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من انفاق
الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا
اعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل ولحديثهما ايضا سئل
اي العباد افضل عند الله يوم القيمة قال الذاكرون الله كثيرا قلت
يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله قال لو ضرب بسيفه الكفار
والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكر لله افضل منه
درجة وحديث الطبراني لو ان رجلا في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر
الله لكان الذاكر لله افضل ولهذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين
الى ان الذاكر افضل من الصدقة واجمع الصوفية على ان الفقير الصابر
افضل من الغني الشاكر وانما خالفه ابن عطاء فدعا عليه الجنيد فابتلي بالبلاء
بل قال بعضهم الفقير الشاكي افضل من الغني الشاكر ولعل مراده الشاكي
الى الله حيث ما وصل الى مقام الصبر وحال الرضاء ويؤيده حديث
اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وفي رواية كفافا ويقويه ان الله تعالى
جعل اكثر الانبياء والاصفياء في صورة الفقراء وهيئة الضعفاء حتى
قال صلى الله عليه وسلم يدخل سليمان عليه السلام الجنة بعد سائر الانبياء
بخمسمائة عام وقال في حق عبد الرحمن بن عوف انه يدخل الجنة بعد
فقراء المهاجرين بخمسمائة عام وفي رواية رايته يدخل الجنة حبوا
واما دعوى ابن حجر ان نبينا صلى الله عليه وسلم في آخر عمره صار غنيا
فلا وجه لها اذ ثبت انه عليه السلام توفي ودرعه مرهونة عند يهودي
ولقد قال الامام حجة الاسلام ان الكافر الفقير ان عذابه في النار
اخف من الكافر الغني فاذا كان الفقر يشفع الكفار فكيف لا يكون
نافعا للابرار ويؤيده انه عليه السلام قال اجوعكم في الدنيا اشبعكم
في الآخرة وانه صلى الله عليه وسلم لما عرض عليه الدنيا وخير بين ان يكون
نبيا عبدا وقال اجوع يوما فاصبر واشبع يوما فاشكر وفي آداب المريدين

اجمعوا

اجمعوا على ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر ثم قال فان
قيل قال صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى والعليا هي المنفقة
كما في رواية فالجواب ان الغني حينئذ افضل من ذلك الفقير بسبب
انه باعطائه القدر اليسير من المال مال الى جانب الفقر فحصل له
في الجملة نوع من الكمال وان الفقير بسبب اخذه من غير اضطراره مال
الى جانب المال فوقع له النقصان في الحال وقد ذكر بعض ارباب التحقيق
واصحاب التدقيق جوابا من هذا الاشكال الا انه يتوقف على تمهيد
مقدمة على جواب السؤال وهي ان الفقر اسم للبراءة من رؤية الملك
بان لا يرى الملك والتصرف في ماله ونفسه بل في الوجود الا للحق وله
مراتب بعضها فوق بعض من نفض اليد عن الدنيا ضبطا وطلبا والاعراض
عنها سلبا ووجدانا ثم الرجوع الى سابقة الازل وهو عدم الذاتي فيعلم
ان وجوده واستعداده وحالاته وكمالاته ومقاماته من فضل الله وفيضه
الاقدس فيتجرد عن الكل راجعا الى الله فقيرا ثم تحقق اضطراره بان يعلم
ان الوجود الحقيقي لله وان ما يجري عليه حكم سابقة الازل فلا فعل له
ولا وصف ولا وجود فهو مضطر تحت حضرة الجمع وهذا هو فقر الصوفية الذي
هو فقد الانانية في الفناء في احدية الذات واما الغني فهو اسم للملك
التام وهو اما غنى القلب بالموز الحقيقي عن جميع الوسائط ووسائلهم بحكم
الله تعالى في تمام المراتب او غنى النفس المطمئنة عن حظوظها وتعلقاتها
باستقامتها على طلب الحق او الغنى بغنى الحق بالفناء في ذاته والبقاء
ببقائه فاذا تقرر ذلك فيقال الفقر الذي تكلموا في شرفه وتفضيله على
الغنى هو فقر الزهاد والمشار اليه اولا والاغنياء الذين فضلهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم هم الذين اختارهم الله في سابق علمه وخصهم من مواهب
فضله باز مراتب الفقر والغنى فلم يكن فضلهم الا بها لا بسبب انفاقهم
واعمالهم المشتركة كما ظنه الفقراء وتمنوا ان يسبقوهم اولياء وقومهم بها
فنبههم اولا باحوالهم حتى ينقطع عنهم تلك الامنية فلما لم يتنبهوا اعلمهم بخصوصيات

المواهب والعطايا بقوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ليعلم انهم اصفياء
الفقراء واخفياء الاغنياء في سرادقات العزة وحجب الاعتلاء كما اشار
الى ذلك بعض الاولياء الله تحت قباب العز طائفة اخفاهم وفي رداء
العز اجلالا لاسم السلاطين في اطمار مسكنة استعبدوا من ملوك الارض
قبالا غبر ملابسهم شم معاطسهم جروا على فضل الخضراء اذيالا وحاصل
الكل ان مقام جمع الجمع على مرتبة وهو الرضاء والتسليم بما جرى به قلم
القضاء كما اشير اليه قوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه
كان بعباده خبيرا بصيرا وفي الحديث القدسي ما معناه ان من عبادي
من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لفسد حاله وان من عبادي لا يصلحه
الا الغنى ولو افقرته لفسد حاله وقد يختلف حال شخص واحد باعتبارين
فتارة يناسبه الفقر واخرى يناسبه الغنى ولذا قال الفاروق ما معناه
لا ابالي ايهما اركب وهذا بالنسبة الى اختيار الرب لعبده واما اذا اختير
فاختيار ما اختاره مختار الانبياء بان يكون جامعا بين احوال الاصفياء
فتارة يجوع ويصبر على البلاء وتارة يشبع ويشكر على النعماء فيكون مظهر
الكمال في مرآى الجلال والجمال ومجمل القضية ان كل ما يبعد العبد عن
قرب الرب فهو شوم وكلما يقربه الى مقام الانس وحضرة قدسه
فهو مبارك لان الفقر كاد ان يكون كفرا كما في حديث وفي الاية كلا
ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ولقد تعوذ صلى الله عليه وسلم
منهما بقوله اعوذ بك من شر الفقر ومن شر الغنى ثم رأيت بعض الفضلاء
ذكر وجها وجيها في تفضيل الفقراء على ما يفهم من هذا الحديث وهو ان الاغنياء
وان شاركوا الفقراء في التسبيح ونحوه فقد امتاز الفقراء عنهم بحسرة
جليلة وهي الحسرة التي يجدها الفقراء عند عدم ما ينفقونه كما ينفقه
الاغنياء وقامت تلك الحسرة مقام انفاق الصدقة فان نية المؤمن
خير من عمله ولان تسبيح الاغنياء سبب عن سؤال الفقراء وكل من تعلم
عنهم الى يوم القيمة فانه في المعنى كانه من صدقة عليهم وشتان ما بين الصدقتين

هذه

هذه صدقة الاذكار وهي قوة الارواح وتلك صدقة الطعام والشراب
وهي قوة الاشباح واما ما قدره الشيخ ابو طالب المكي فقال انكم فضلتم الا
الاغنياء او ساويتموهم وان لم يكن لكم قربات اموال وذلك فضل الله
فهو بعيد كما لا يخفى على ذوي الانتباه وتفضيل الكفاف من الفقر والغنى لانهما
محنتان يمتحن الله بهما من يشاء من عباده واختاره شيخ مشايخنا الجلال
السيوطي رحمه الله ويؤيده خير الرزق الكفاف رواه احمد في الزهد
وفي رواية خير الرزق ما كان يوما بيوم كفافا وفي رواية خير الرزق ما
يكفي وقد وقفت طائفة عن التفضيل بينهما ثم الذي يخطر بالبال والله اعلم
بالحال ان كلام الصوفية ليس في فضائل الاعمال بل في مراتب الاحوال
بان الصبر على شدة الفقر وقلة المال اقوى من الشكر على النعمة وسعة
المال وهذا امر واضح لا ينبغي ان يكون فيه خلاف المآل فان العبد الذي
يخدم سيده على الكد والمحنة لا شك انه اكمل من الذي يخدمه في حال
البسط والمنحة فان الثاني يحتمل انقلاب حاله اذا وجد المحن والاول بطريق
الاولى يزيد في الطاعة عند ظهور المنن **الحديث السادس
والعشرون** عن ابي هريرة تقدم ذكره ووجه منع صرفه واعاده
ابن حجر هنا ذهولا له عما مضى رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كل سلامى بضم السين وتخفيف اللام وفتح الميم
وجمعه سلاميات بفتح الميم وهي المفاصل والاعضاء وهي ثلاثمائة وستون
ثبت ذلك في صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله المظهر وهو مبتدأ
موصوف بقوله من الناس ولفظة من للتبعيض وخبره قوله عليه صدقة والعائد
الضمير المجرور قال ابن مالك حق الراجع الى كل مضاف الى نكرة ان يجيء
على وفق المضاف اليه كقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت وقد جيء على وفق
كل في الحديث انتهى ولا يبعد ان يقال تذكيره باعتبار معنى السلامى من
العضو او المفصل كما ذكروا في قوله ان رحمت الله قريب اي انعامه وفي
قوله لعل الساعة قريب اي البعث والمعنى على كل واحد بعدد كل مفصل او عضو

صدقة يليق به شكر الله تعالى بأن جعل في عظامه مفاصل يقدر بها على القبض
والبسط بسببها ودفع البلاء عنها بسل منها وبقائها كل يوم بالنصب
ظرف فالقول صدقة لأنه بمعنى تصدق أو مرفوع على الاستئناف لكن الرواية
على الأول كما صرح الكازروني على تقدير ثبوت رفعه قوله تطلع فيه الشمس
صفة كاشفة لليوم لئلا يتوهم أن المراد به مطلق الوقت لا للتأكيد كما قيل
وقوله يعدل مع خبره والعائد من الأول الأخبار محذوف أي يعدل فيه
بين الاثنين أي يصلح بين المتخاصمين أو المتباكين أو المتهاجرين صلحا
جائزا بأن لا يحل حراما ولا يحرم حلالا كما في الحديث وهو مبتدأ على تأويل
المصدر أو بأن المقدر وارتفاع الفعل بعد حذفه كما في قوله تعالى ومن آياته
يريكم البرق وفي قولهم تسمع بالمعيدي خير من أن تراه وخبره قوله صدقة وقد
ثبت بالآيات والأحاديث النبوية أن الإصلاح بين الناس من أفضل
القربات وأكمل العبادات قال تعالى لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة
أو معروف أو إصلاح بين الناس وقال عز وجل إنما المؤمنون إخوة
فأصلحوا بين أخويكم وفي الحديث ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلوة
والصيام والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال إصلاح ذات البين حتى
جاز الكذب فيه مبالغة في وقوع الألفة بين المتخاصمين فإن الصدق
يفضي إلى محذور أشد منه في أمر الدين وهو دوام العداوة بين
المتخاصمين ويعين الرجل أي من جنس الرجل المراد به النكرة أي
ويساعد رجلا في دابته فيحمله أي فيركب الرجل عليها أي على دابته
والضمير راجع إلى الرجل أو المعين والأول أبلغ وقد ورد من حمل أخاه
على شسع فكأنما حمله على دابة في سبيل الله رواه الخطيب عن أنس
أو يرفع له عليها متاعه صدقة أي للمعين على الرجل وفي الحديث إشارة
إلى استحباب مراعاة حقوق الأصدقاء المعروفين بل العوام المجهولين
وهي الإعانة بالنفس والمال وكتمان السر والحلال وقد ورد أنه
صلى الله عليه وسلم قال إنما المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم

كمثل

كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر والكلمة الطيبة
وهي الباقيات الصالحات صدقة على ما سبق فيه الكلام من التسبيح والتهليل
والتحميد ونحوها في مقام النظام ومنه قوله تعالى إليه يصعد الكلم الطيب أو
المراد بها الكلام الطيب في رد السائل قال تعالى قول معروف ومغفرة
خير من صدقة يتبعها أذى أو المراد بها حسن الكلام مع الأنام لأنه مما يفرح
به قلب المؤمن ويدخل فيه السرور وهو من أعظم الأجر وقد ورد أنه إذا
التقى المسلمان نزل عليهما مائة رحمة تسعون لأكثرهما بشرا وعشرة لأقلهما
رواه في المعارف مرفوعا وقيل المراد بها كلمة التوحيد لقوله تعالى ومثل
كلمة طيبة فإنها تطيب بها القلوب مع الله والنفع علما ومعرفة ومشاهدة
وهي أفضل الذكر لأنها أجمع للقلوب مع الله والنفع لنفي ما سواه وأشد
تزكية للنفس وتصفية للباطن وتنقية للخاطر من حدث النفس وهواجسها
وأطرد للشياطين ووساوسها ثم اعلم أن الذكر عبارة من وجدان الرب
وحضوره بالقلب والرب هو المقصود وهو ثلاثة فالأدنى ذكر اللسان
فقط ثم ذكر القلب تكلفا بحيث يحتاج إلى مراقبة حتى يحضر ثم ذكره طبعا
بأن يستمكن من القلب بحيث لا يحتاج إلى تكلف في صرفه عنه إلى غيره
ثم استيلاء المذكور وانمحاء الذكر والذاكر بأن يغيب عن نفسه وذكره ولا
يلتفت إلى فنائه أيضا ذاهبا إلى ربه أولا ثم ذاهبا فيه بالاستغراق
به آخرا إذ لو التفت إلى شيء من ذلك لكان معرضا عن الله غير منفك
عن الشرك الخفي هنالك وإذا لم يكن كالبرق الخاطف فإن دامت عرج به
إلى عالم الأعلى وطالع الوجود الحقيقي الأسنى وانطبع فيه نقش الملكوت
وتجلى له قدس اللاهوت وأول ما تمثل له جواهر الملائكة وأرواح الأنبياء
والأولياء في صور جميلة تفيض إليه بواسطتها بعض الحقائق إلى أن يعلو
درجته عن المثال فيكافح بصريح الحق في كل الأحوال هذا زبدة كلام الإمام
حجة الإسلام في الأربعين وبكل خطوة بالفتح أي المرة الواحدة وبالضم
اسم لما بين القدمين وقيل هما لغتان تخطيها أي يمشي الرجل بها إلى الصلوة



اي ونحوها في سائر الطاعات صدقة فعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
قال كان بنو سلمة في ناحية من المدينة فارادوا ان ينتقلوا الى قرب المسجد
فانزل الله تعالى انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم فدعاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم دياركم تكتب آثاركم ثم قرأ عليهم
الآية فتركوا رواه البيهقي وعن عمر بن عبد العزيز لو كان الله مغفلا شيئا
لاغفل هذه الآثار التي تعفيها الرياح وإماطة الأذى بضم اوله اي ازالة
ما يؤذي المارة نحو شوك او نجاسة او حجارة عن الطريق صدقة
واخرت هذه ايماء الى انها ادون مما قبلها كما يدل عليه حديث الايمان
بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة
الاذى عن الطريق واستحب بعض العلماء انه اذا اراد ازالة الاذى
ان يقول لا اله الا الله ليكون جامعا بين اعلى شعب الايمان وادناها
ويدخل تحت عمومه اماطة الظالم عن طريق الحق وشرعه المطلق وهو مفهوم
بالاولى كما في قوله ولا تقل لهما اف فاندفع به قول ابن حجر انه تكلف بعيد
هذا وقد قال بعض العارفين المراد بالاذى النفس فانها منبع الشر
والفساد ومعدن الظلم والاذى للعباد في البلاد ومحل الآفات
والعاهات ولذا قيل التوحيد اسقاط الاضافات وقال العارف
العاشق اصل التوحيد كشوف سبعين بابا من عيون صفات الحق كما
اشير اليه في حديث الايمان بضع وسبعون شعبة وافضلها كشف عين
الذات وادنى المقام منها افراد القدم عن الحدوث وهو اماطة قذى
الكونين عن عين عيان القدم واما ما روي عن الحسن وابن سيرين
ان فعل المعروف يؤجر عليه وان لم تكن فيه نية بل روى حميد بن
زنجويه عن الحسن ان من اعطى اخا شيئا حياء منه له فيه اجر وابو
نعيم في الحلية عن ابن سيرين ان من شيع جنازة حياء من اهلها له اجر
لصلته الحي فلا ينافي ما صح في حديث ابن حبان من انه عليه السلام ذكر فيه
خصالا كالتصدق وقول المعروف واعانة الضعيف وترك الاذى

ثم

ثم قال والذي نفسي بيده ما من عبد يعمل بخصلة منها يريد بها ما عند الله
الا اخذت بيده يوم القيمة حتى يدخل الجنة وهو مستمد من قوله تعالى لا خير
في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن
يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما فان ما ذكر في الكتاب
والسنة محمول على كمال الاجر والثواب كما في نفس الآية اشارة الى ذلك
حيث استثنى ما ذكر في نفي الخير فاثبت له الخيرية ثم رتب الاجر العظيم على تصحيح
النية ولولا اعتبار هذا العموم لارتفع اكثر الخيرات والمبرات لان
اكثر الخلق عاجزون في مثل هذه الافعال عن تصحيح النيات وايضا النية
انما هي شرط لصحة العبادات المتعلقة والثواب منوط بها ايضا في الامور المباحة
واما المبرات كصلة الرحم واحسان اليتيم واغاثة الملهوف واعانة الضعيف
واطعام الضيف والمسكين وامثالها فتصحيح النية من كمالها لا لثبوت
اصلها ولذا يجزي الله الكافر في الدنيا على هذه الافعال من مكارم الاخلاق
فقول الحسن مستحسن مقبول لا مردود كما توهمه ابن حجر فتأمل وتدبر فان
اصل الحديث يرجع الى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وقد قال
بعض الاكابر مجمع الخيرات هو الصدق مع الحق والخلق مع الخلق رواه
البخاري ومسلم وفي رواية له يصبح على كل سلامى من احدكم صدقة فكل
تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وامر بالمعروف
صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزي عن ذلك ركعتان يركعهما في الضحى
والمعنى يكفي مجموع هذه الصدقات كلها عن هذه الاعضاء جميعها ركعتان
في وقت الضحى لانها اقل مقدار من صلوة نافلة وهي تعمل بالاعضاء كلها
فاذا صلى في طاعته فقد قام كل عضو منه بوظيفة وادى شكر نعمة وقد
قال سهل بن عبد الله التستري في الانسان ثلاثمائة وستون عرقا مائة
وثمانون ساكنة ومائة وثمانون متحركة فلو تحرك ساكن او سكن متحرك
لمنعه النوم ويؤيد القول احاديث كثيرة منها حديث البزار انه صلى الله
عليه وسلم قال للانسان ثلاثمائة وستون عظما وستة وثلاثون سلامى

عليه في كل يوم صدقة قالوا فمن لم يجد ذلك يا رسول الله قال يأمر بالمعروف
وينهى عن المنكر قالوا فمن لم يستطع قال يرفع عظما من الطريق قالوا فمن
لم يستطع قال فليدفع الناس من شره ومنها حديث مسلم خلق ابن ادم
على ستين وثلاثمائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله
وعزل حجرا عن طريق المسلمين او عزل عظما او امر بالمعروف او نهى
عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامى وامسى في يومه
فقد زحزح نفسه عن النار ومنها حديث احمد وابي داود في الانسان
ثلاثمائة وستون مفصلا فعليه ان يتصدق عن كل مفصل منه بصدقة قالوا
ومن يطيق ذلك يا نبي الله قال النخاعة في المسجد يدفنها والشيء
ينحيه عن الطريق فان لم يجد فركعتا الضحى تجزيه ومنها حديث البزار
وابن حبان في صحيحه على كل منسم من ابن آدم صدقة كل يوم فقال
رجل ومن يطيق هذا قال امر بالمعروف صدقة الحديث هذا وقد
قال تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم قال ابو الدرداء هو صحة الجسد
وقال وهب مكتوب في حكمة ال داود العافية الملك الخفي اي هي
النعيم المسئول عنه قال ابن مسعود النعيم الامن والصحة ويؤيده حديث
نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ واخرج الترمذي
وابن حبان ان اول ما يسأل العبد عنه يوم القيمة فيقول الم نصح
جسمك ونرويك من الماء البارد وقال ابن عباس النعيم صحة
الابدان والاسماع والابصار وكانه اشار الى قوله ان السمع والبصر
والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا ثم الحديث المذكور ما اورد للحصر الجزئي
بل تنبيه بالمذكورات على اشباهها من المبرات من الاحسان الى كل شيء بحيث في
كل كبد رطبة اجر **الحديث السابع والعشرون** هو وما بعده
في الحقيقة حديثان الا انهما لما توارد على معنى واحد كانا كالحديث
الواحد وصار الثاني للاول بمنزلة الشاهد عن النواس بفتح النون
وتشديد الواو وابن سمعان بكسر السين وفتحها كذا قاله المصنف فيهما رضي

رضي الله

رضي الله عنه كذا في النسخ لكن لابيه ايضا صحبة فكان ينبغي ان يقال
عنهما وقد تزوج صلى الله عليه وسلم اخت النواس وهي مشهورة روى
له سبعة عشر حديثا وكان انصاريا من اصحاب الصفة وسكن الشام
وقال اقمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة سنة ما يمنعني من الهجرة
اي العود الى الوطن الا المسألة اي السؤالات التي كانت ترد عليه صلى الله
عليه وسلم من بعض اصحابه واجوبتها لما ان المهاجرين والانصار لا يكثر
السؤال ونهوا عنه كانوا يحبون ان يأتي اهل البادية ويسألوه فيسمعوا
فيتعلموا فكانت اقامته تلك السنة مع عزم العود الى وطنه لاجل ان يتفقه
في الدين تلك المدة عملا بقوله سبحانه وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا
نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا
اليهم لعلهم يحذرون قيل وفيما ذكره دلالة على ان الهجرة لم تكن واجبة على غير
اهل مكة ونوقش بان من كان له عشيرة تحميه لم تلزمه الهجرة ولو من مكة فلعله
كان ممن له حمية من قومه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اي حين سأله
عن البر والاثم البر اي اعظم خصاله حسن الخلق بضمتين ويسكن اللام
وقد سبق انه طلاقة المحيا وبذل الندى وكف الاذى وقال الترمذي البر
هنا الصلة والتصدق والطاعة ويجمعها حسن الخلق وقال الطيبي فسر
البر في حديث اخر بما يقربك الى الله وقال بعض المحققين ان حسن الخلق
عبارة عن حسن العشرة والصحبة مع الخلق بان يعرف انهم اسراء الاقدار وان
كل ما لهم من الخلق والخلق والرزق والاجل والعمل بمقدار فيحسن اليهم حسب
الاقتدار فيأمنون منه ويحبونه بالاختيار ومع الخالق بان يشتغل
بجميع الفرائض والنوافل ويأتي بانواع الفضائل عالما بان كل ما منه الى الله
ناقص يحتاج الى العذر وكل ما صدر من الحق كامل يوجب الشكر ثم يتخلق
باخلاق الله بدوام الاعراض عما سواه والحاصل ان البر بكسر الباء اسم
جامع لانواع الخير وهو ما اقتضاه الشرع وجوبا او ندبا ولذا قابله بقوله
والاثم وهو ما نهي عنه للتحريم او للكراهية ما حاك في نفسك بالحاء المهملة

والكاف اي تردد قاله المص من الحيك وهو التأثير اي اثر فيها بان اقلقها
وهذا باعتبار المؤمن المتقي الملهم بالحق والصواب فلعله عليه السلام علم ذلك
من السائل حال الجواب وفي رواية الاثم حزاز القلوب بتشديد الزاء
الاولى وهو بمعناه وفي اخرى جواز بتشديد الواو وحاصله انه حك في
قلبك من حزازة وريب وخوف من انه ذنب وقد تصحف على السيد
الشريف العلامة فضبطه بالجيم وهمزة بعد الالف على انه صيغة الماضي
من المجيء غفلة عن الرواية والدراية وكرهت ان تطلع عليه الناس اي اماثلهم
الذين يستحي منهم لو صدر منك ذلك الفعل عندهم والظاهر من سياق
الحديث ان للاثم علامتين علامة داخلية واخرى خارجية كما ياتي
التصريح به في رواية وذلك ان النفس لها شعور من اصل الفطرة
بما تحمد عاقبته وما تذم عاقبته ولكن غلبت الشهوة حتى اوجبت لها
الاقدام على ما فيه المضرة كاللص تغلبه الشهوة على السرقة وهو خائف
من الوالي قطع الرقبة ولانها بطبعها تحب اطلاع الناس على خيرها وبرها
وشكرهم لها عليهما وتكره اطلاعهم على شرها ومن ثم اهلك الرياء اكثر المشايخ
والعلماء فبكراهتها اطلاع الناس على فعلها تعلم انه اثم بالنسبة اليها
فيترك ما خطر ببالها وقال بعض العارفين الاثم هو حبس النفس وهي
تحيك الصدر بسبب الاضطراب والتضييق لانها ثقيل على الارواح
والبر لطف ممزوج بنور الذكر فتطمئن به القلوب وينفسح منه الغيوب
وليس في الحديث دلالة على ان مجرد خطور المعصية والهم بها اثم لوجود
العلامتين حتى يحتاج الى ان يجاب بخبر ان الله تجاوز لامتي عن وسوسة
نفسها ما لم يعمل به او يتكلم لان ذلك فيما لا يعلم كونه اثما ام لا وهذا فيما
هو المعلوم من الاثام مع ان التردد مناف للهم والعزم والا فالعزم على
سبيل الجزم من جملة القلوب فيحصل به الاثم على ما عليه جمهور من اهل
العلم رواه مسلم وعن وابصة بكسر الباء الموحدة وهو بالصاد المهملة
ذكره المص ابن معبد بفتح الميم والموحدة رضي الله عنه قال قدم على رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم في عشرة رهط من قومه بني اسد بن خزيمة عام تسع
فاسلموا ورجع الى بلاده ثم نزل الكوفة ثم تحول الى الجزيرة وسكن الرقة و
دمشق ومات بالرقة ودفن عند منارة جامعها وكان قاريا كثير البكاء لا يملك
دمعته قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جئت تسأل
عن البر اي والاثم لما سياتي من الرواية في الجمع بينهما وكان تشير الجواب اليهما
ولعله من باب الاكتفاء بضد الاشياء فقلت نعم وهذا من دلائل النبوة
لانه اخبره عما في ضميره قبل ان يتكلم به وجاء في بعض الروايات ان وابصة
جاء يتخطى الناس حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا وابصة
تحدثني ما جئت به او احدثك قال بل انت حدثني يا رسول الله
فهو احب الي قال جئت تسأل عن البر والاثم قال نعم فقال استفت
قلبك وفي رواية احمد قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا
اريد ان لا ادع شيئا من البر والاثم الا سألت عنه فقال لي ادن يا وابصة
فدنوت حتى مست ركبتي ركبتيه فقال يا وابصة اخبرك ما جئت تسأل
عنه او تسألني قلت يا رسول الله اخبرني قال جئت تسأل عن البر
والاثم قلت نعم قال فجمع اصابعه الثلاث فجعل ينكت بها في صدره
ويقول يا وابصة استفت نفسك الحديث اي اطلب الفتوى من
قلبك لانه بلغ في سلوك طريق الكمال وطلب الوصول بعين الكمال
الى مقام القلب وبيان ذلك ان سير الانسان الى الحق انما هو بالباطن
وان كان مع الاستعانة بالظاهر للعلاقة بينهما ثم النفس قبل التوجه الى
الحق امارة بالسوء ثم تصير لوامة ثم تصير مطمئنة والحاصل انه عليه السلام
ذكر له ضابطة جامعة مميزة بين البر والاثم بقوله البر ما اطمأنت اليه
النفس اي مالت اليه وسكنت من اضطرابها لديه والنسخ المعتمدة
مجتمعة على لفظ اليه ووقع في اصل ابن حجر بلفظ عليه فقال اي سكنت
عليه وفي رواية اليه اشهر ولا يخفى ان السكون لا يتعدى بعلى نعم جاء في
رواية وسكنت اليه النفس وكان لبعض من لا دراية له بالرواية راى

تكرار اليه مع قوله واطمأن اليه القلب فغاير بينهما من عنده والمعنى
اذا التبس عليك شيء ولم تدر انه من اي القبيلين فتأمل فيه ان
كنت من المجتهدين واسأل المجتهدين ان كنت من المقلدين فان وجدت
ما سكن اليه القلب فخذه والا فدعه قاله البيضاوي ولعل عطف اطمئنان
القلب على اطمئنان النفس للتأكيد فان النفس اذا ترددت في امر
استتبع ذلك خفقانا في القلب للعلاقة بينهما فانه المتعلق الاول
لها وبها يسري الى سائر القوى فيحس بها الحلال والحرام فاذا زال ذلك
عن النفس وحدث بها طمانينة انعكس المرام والنفس لغة حقيقة
الشيء واصطلاحا لطيفة في الجسد فولدت من ازدواج الروح بالبدن
واتصالهما معا فاذا كانت في ظلمتها لاتيانها بنور العلم والمعرفة مائلة
الى الشهوة وسائر الاخلاق الذميمة لالفها الى العالم الحسي سميت امارة
واذا تنفس صبح الهداية وازعجت من دواعي طبيعتها منطلعة الى
انوار منار الطمانينة منجذبة مرة الى العالم العلوي واخرى الى العالم
السفلي سميت لوامة لانها تلوم نفسها لعلها بحجل الطمانينة واذا طلعت
شمس العناية من اوج الرعاية صارت ملهمة واذا بلغت شمس العناية
وسط سماء الهداية شرقت الارض بنور ربها وامتلاء القلب من السكينة
اليقينية وخلع على النفس خلع الطمانينة صارت مطمئنة محدثة مجذوبة
مكلمة مكلمة مستعدة لجذبة ارجعي الى ربك راضية مرضية والاثم
ما حاك في النفس اي اثر فيها ولم يستقر عندها وتردد في الصدر
ولم ينشرح للامر وان افتاك الناس عطف على مقدر اي ان لم
يفتك الناس وان افتاك الناس بنفيه علما وهم لما في رواية وان
افتاك المفتون والمعنى التزم العمل بها في قلبك وان قالوا لك
انه حق ولا تأخذ بقولهم فانه قد يوقعك في الغلط او في اكل الشبهة
كان ترى من اهل المال حلال وحرام فلا تأخذ منه شيئا وان افتاك المفتي
مخافة وان تأكل الحرام لان الفتوى غير التقوى فعن عائشة قالت

كان

كان لابي بكر غلام يأكل من خراجه فجاءه يوما بشيء فاكله ابو بكر فقال له
الغلام اتدري ما هذا فقال ابو بكر وما هو قال كنت تكهنت لانسان
في الجاهلية وما احسن الكهانة الا اني خدعته فلقيني فاعطاني لذلك
فهذا الذي اكلت منه فادخل ابو بكر يده في فيه فقاء كل شيء اكله من بطنه
رواه البخاري وذكر الغزالي هذا الخبر في الاحياء ان الصديق لما اخبر
ان اللبن من غير وجهه لم يكن ليخفى عليه مع كونه اعلم الناس ان ما تناوله
الانسان من غير علمه به انه لا اثم عليه فيه ولا يجب في فتوى الفقه استفراغه
ولكن انما فعل ذلك لعلو رتبته وكمال صديقيته ولسر دقه في صدره عرفه
ذلك السر ان فتوى العامة حديث اخر وان طريق الاخرة لا يعرفه الا
الصديقون ولذلك استفرغه وادخل اصبعه في حلقه ليخرجه حركات
روحه تخرج معه لانه راه مؤثرا في قلبه اثرا يمنعه عن منزلته وكمال مرتبته
انتهى وفي رواية انه انفق في مدة خلافته ثمانية الاف درهم فلما حضر
الموت قال كنت قلت لعمر اني اخاف ان لا يسعني ان اكل من هذا
المال فغلبتني فاذا مت فخذوا من مالي ثمانية الاف درهم فضعوها في بيت
المال وهذا في غاية من التقوى ولهذا انزل في حقه وسيجنبها الاتقى
الذي يؤتي ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه
الاعلى ولسوف يرضى وقد قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وافتوك
تأكيد والمعنى بهذا الامر ارباب البصيرة من اهل النظر المستقيم واصحاب
الفراسات من ذوي النفوس المرتاضة فان نفوسهم ملهمة للصواب في اكثر
الاحوال وقيل حمله على عموم الايمان والتقوى اولى ويبعد ان يقال المعنى
وان افتاك جمع بعد جمع وفيه ايماء الى المعجزة المشيرة الى اختلاف
الائمة قال شيخ مشايخنا السيد جمال الدين وافتوك في روايتنا
بالفاء وان المثناة من فوق ولعله ابا جي به للتاكيد لكن اورد هذه الكلمة
صاحب النهاية في باب القاف والنون فقال واقنوك اي ارضوك
ثم قال حكى ابو موسى ان الزمخشري قال ذلك وان المحفوظ بالفاء انتهى

من الفتيا حديث حسن وسيأتي بحثه سنحا رويناه بفتحتين اي بسندنا
المتصل حال كونه في مسندي الامامين اي الجليلين حديثا وفقها
زهدا وصلاحا احمد بن حنبل هو ابو عبد الله الشيباني احد الائمة الاربعة
من المجتهدين والفقهاء المتبوعين في امر الدين وروى عنه البخاري ومسلم
وابو داود وجماعة ولد ببغداد ومات بها يوم الجمعة في ربيع الاول
سنة احدى واربعين ومائتين عن سبع وسبعين سنة ومسنده عشرون
مجلدا وفيه اربعون الف حديث جمعه من سبعمائة الف وخمسين الف
حديث وقال جعلته حجة بيني وبين الله تعالى وقال ما اختلف المسلمون
فيه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجعوا اليه فان وجدتموه
والا ليس بحجة وهذا يدل على كمال اطلاعه بالسنة الا انه رضي الله عنه
لم يلتزم الصحة في مسنده وانما اخرج فيه ما لم يجمع الناس على تركه واما قول
بعضهم ان كل ما فيه صحيح فغير صحيح الا ان يراد به انه ثابت نعم قال جماعة
ان كل ما فيه اما صحيح واما حسن والاغلب الصحة لكن الاظهر انه قد يوجد
فيه ضعيف الا انه يكون مختلفا فيه ثم مصنفو الاحاديث منهم من رتبه
على مسانيد الصحابة كاحمد والدارمي وابن ابي شيبة والبزار وابي يعلى
ومنهم من رتبها على ابواب الاحكام كالصحيحين والسنن وفي كل فائدة وحكمة
عائدة والدارمي بكسر الراء وهو ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن التميمي السمرقندي
الحافظ من بني دارم روى عنه مسلم وابو داود والترمذي وابو زرعة كان
امام اهل زمنه في العلم والورع ولد سنة احدى وثمانين ومائة ومات
يوم التروية سنة خمس وخمسين ومائتين والغالب على مسنده الصحة ولما
بلغ البخاري نعيه بكى وانشد ان تبق تفجع في الاحبة كلهم
وفناء نفسك لا ابا لك افجع وذكر الترمذي انه سمع البخاري يحدث عنه
بحديث من شيع جنازة وذكر ابن عدي ان النسائي حدث عنه باسناد
حسن كذا في النسخ المصححة وقال ابن حجر باسناد جيد وفي نسخة حسن
انتهى وعلى كل تقدير يناقض ما قد ادعى المص بانه حديث صحيح وتكلف في

الجمع

الجمع بينهما بل تعسف في شرحه بما لا طائل تحته على ان حديث احمد له طريقان
احدهما فيه علتان ضعف وانقطاع وثانيهما فيها مجهول فلعل بانضمامه الى
رواية الدارمي حكم المص عليه بانه حسن او لكثرة طرقه فان احمد اخرجه من
طريق اخر عن ابي امامة قال قال رجل يا رسول الله ما الاثم قال اذا حاك
في صدرك شيء فدعه وسندها جيد على شرط مسلم ومن طريق اخر عن ثعلبة
الخشني قال قلت يا رسول الله اخبرني ما يحل لي وما يحرم علي قال البر ما
سكنت اليه النفس الحديث وسندها جيد ايضا ويقويه ايضا ما اخرجه الطبراني
عن واثلة قلت للنبي صلى الله عليه وسلم افتني عن امر لا اسال احدا بعدك
قال استفت نفسك قلت كيف لي بذلك قال تدع ما يريبك الى ما لا
يريبك وان افتاك المفتون قلت كيف قال تضع يدك على قلبك
فان الفؤاد يسكن للحلال ولا يسكن للحرام او اراد المص بقوله حسن اولا
معناه اللغوي وثانيا معناه الاصطلاحي وهذا اولى بالاعتبار لئلا يلزم
التكرار وكرره للتاكيد في حسنه حيث قيل بضعفه ثم اعلم ان من اراد
الاحتجاج بحديث من السنن كابي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة
والموطا وغيرهما مما لم يلتزموا الصحيح والحسن بل ادخلوا فيها الضعيف
ايضا امتنع عليه ان يحتج بحديث هو لا حتى ينظر في اسناده وحال رواته
ان كان له قابلية لذلك او يجد اماما صحح او حسن شيئا فقلده هنالك
نعم اذا رايناه مجتهدا استدل بحديث على مدعاه فنحكم بانه صحيح او حسن
عنده كما اقتضاه **الحديث الثامن والعشرون** عن ابي نجيح
بفتح نون فكسر جيم فتحتيه مهملة العرباض بكسر العين المهملة وبالباء
الموحدة والضاد المعجمة ابن سارية بالسين المهملة والياء المثناة
تحت ذكرها المص وزنها جارية سلمي من اصحاب الصفة وهو احد
البكائين المشتاقين الى الله يقول في دعائه كبرت سني ووهن عظمي
فاقبضني اليك وكان يقول انه رابع الاسلام وكان من الزاهدين
العابدين روي انه قال لولا ان يقال فعل ابو نجيح لالحقت مالي في سبيل

ثم لحقت واديا من اودية لبنان فعبدت الله حتى اموت ويروى ان معاوية
اعطى المقداد حمارا من المغنم فقال العرباض ما كان لك ان تاخذه وما كان له
ان يعطيك كانى اربك في النار تحمله على عنقك فرده المقداد رضي الله عنه
قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اى بعد صلوة الصبح كما في رواية
وفي اخرى ذات يوم موعظة اى ما يوعظ به من الكلام الدال على التخويف
طريق النصيحة والتنوين للتفخيم اى عظيمة كما يدل عليه رواية بليغة اى
بلغت الينا وبالغت في تاثيرها فينا او كما اشير اليه قوله وجلت منها القلوب
بكسر الجيم اى خافت من اجلها القلوب وحذرت من الذنوب فالف
الوجل خوف مع الحذر وذرفت قال المص بفتح الدال المعجمة والراء المهملة
اى سالت منها العيون يعني جرت بسببها الدموع من العيون لتاثير الموعظة
في النفوس واستيلاء سلطان الخشية في القلوب واخر هذا عما قبله لانه
غالبا ينشا عنه فهو اصله وفيه استحباب موعظة العالم اصحابه لينفعهم في
دينهم ودنياهم من العلوم ولا يقتصر لهم على معرفة الاحكام والحدود
الرسوم بل يذكرهم ويخوفهم ويشوقهم ويسوقهم الى ذكر العقبى ومحبة المولى
والاعراض عن الدنيا والمعنى ان تلك الموعظة اثرت فيهم واخذت
منهم بمجامعهم بحسب ظاهرهم وباطنهم وفي بعض روايات الترمذي
ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب نظرا الى انه الظاهر قبل
المؤثر الباطن بخلاف الرواية الاولى فانها لتقديم السبب على المسبب
او الاصل على الفرع والله اعلم فقلنا يا رسول الله كان هذا اى تلك الموعظة
موعظة مودع بكسر الدال المشددة اى شخص يودع اصحابه واحبابه فلا يغادر
شيئا الا ذكره في بابه فاوصنا اى ارشدنا بما فيه صلاح حالنا وفلاح
مالنا وفيه ان للابرار الاكثار من خصائل الخير لا سيما في اخر العمر وانه
يجوز الاستدلال بالاقوال على الاحوال وانه يستحب الاسترشاد من
اكابر الدين واغتنام فرصة الاستفاضة من عظماء اليقين قال اوصيكم
بتقوى الله هذا من جوامع الكلم فان التقوى امتثال المامورات واجتناب

المحذورات

تعطف عليها بقوله والسمع والطاعة
اى فيما بينهم وبين من حرجر

المحذورات وهي زاد المعاد والذي امر باخذها جميع العباد حيث قال تعالى
ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله ولما كان
الظاهر من التقوى ان يكون فيما بينهم وبين الله من يلي امرهم يعني واوصيكم
لقبول قول الامير وطاعته لما امر بالمباح عادلا كان او جائرا والا
فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق كما ورد الا انه يجوز محاربته فانه كما
قال الحسن ما يصلح الله به حينئذ اكثر مما يفسده وان تامر بتشديد
الميم اى صار اميرا عليكم عبد وفي رواية عبد حبشي اى ادنى الخلق
فلا تستنكفوا عن طاعته لئلا يؤدي الى ظهور الفساد وتهييج الفتن بين
العباد فان الصبر على من لا يجوز له الولاية اهون من اثارة الفتنة التي لا دواء
لها ولا خلاص منها وقد ذكر عليه السلام في بعض ما روي عنه انه قال بعد جور
الولاة وظلمهم فقال اسمعوا واطيعوا ما اقاموا فيكم كتاب الله وهذا وارد
على سبيل المبالغة في الامر بطاعته والنهي عن مفارقته وعلى طريق الفرض
والتقدير اذ الائمة من قريش او ان استعمل الامام الاعظم ولعل في الحديث
اشعارا بما يقع في اخر الزمان من كون الخلافة بالتسلط والشوكة من غير شروط
الائمة كما في زماننا هذا فانه لا يوجد امام بين اهل الاسلام موصوف بما
قرر في حقه من الاحكام ويؤيده قوله وانه اى الشان وفي المصابيح و
المشكوة بلفظ فانه من يعش منكم وهو مجزوم بمن الشرطية واصله
يعيش كما في نسخة بمن موصول فسيرى اختلافا كثيرا اى في الولاية
والخلافة بسبب طلب الجاه والمال والسين للتاكيد الاستقبال
وفي اصلنا المفرد على ما نحنا فانه بالفاء ايضا قال السيد جمال الدين
الفاء في قوله فانه من يعش للسببية جعلت ما بعدها سببا لما قبلها يعني من
قبل وصيتي والتزم تقوى الله وقبل طاعة من ولي عليه ولم يهيج الفتن
امن بعدي من الاختلاف الكثير يعني الذي وقع بين الصحابة والتابعين
وهلم جرا الى هذا الحين فعليكم اى اسم فعل اى الزموا او استمسكوا
بسنتي وهي ما وضعه صلى الله عليه وسلم وجوبا او ندبا من احكام الدين

وسنة الخلفاء الراشدين اي الهادين المهديين بفتح الميم وتشديد التحتية
الاولى اي المهتدين الذين هداهم الله الى طريق الصواب والهمهم
اتباع مفاتيح اولي الالباب وجمع بينهما لان الشخص اذا لم يكن مهتديا
في نفسه لم يصلح ان يكون هاديا لغيره ومنهم الصديق والفاروق و
ذو النورين والمرتضى رضي الله عنهم اجمعين وذلك لانهم لما كانوا
افضل الصحابة وواظبوا على استمطار الرحمة من السحابة وخصهم الله
بالمراتب العلية والمناقب السنية ووطنوا انفسهم على مشاق
الاسفار ومجاهدة القتال مع الكفار انعم الله عليهم بمنصب الخلافة
العظمى والتصدي الى الرياسة الكبرى لاشاعة احكام الدين واعلاء اعلام
الشرع المتين رفعا لدرجاتهم وازديادا لمثوباتهم فلو لم يقع الخلافة
على الترتيب المذكور لما فازوا الكل بالمنصب المشكور ولا يخفى ان هذا
من معجزاته الدالة على ثبوت نبوته لانه استبد بذكر هذا الغيبة وقال الخلافة
بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا ووقع كما قال عليه السلام
قال التوربشتي وانما ذكر سنتهم في مقابلة سنته لانه علم انهم لا يخطئون
فيما يستخرجون من كتابه وسنته وان بعضها ما اشتهر الا في زمانهم وليس
المراد انتفاء الخلافة عن غيرهم حتى ينافي قوله صلى الله عليه وسلم يكون في
امتي اثنا عشر خليفة بل المراد تصويب رأيهم وتفخيم امرهم وتعظيمهم وتفضيلهم
على غيرهم وقيل الخلفاء مثلهم ومن سار سيرهم واقتفى اثرهم في
استخراج الاحكام واذاعة الحق بين الانام وقال بعض العلماء تقدم
ما اجمع عليه الاربعة ثم ما اتفق عليه الشيخان لقوله عليه السلام اقتدوا بالذين
من بعدي ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وله معنيان احدهما التقليد لمن عجز عن النظر
وثانيهما الترجيح لما ذهبوا اليه عند اختلاف الصحابة في الامر وقيل هذا في حق
المقلد في تلك الازمنة القريبة من زمان الصحابة واما في زماننا فلا يجوز
تقليد غير الائمة الاربعة ابو حنيفة ومالك والشافعي واحمد رضي الله
عنهم اجمعين لان هؤلاء عرفت قواعد مذاهبهم واستقرت احكامها في

كتبهم

كتبهم لان اتباعهم حرروها فرعا فرعا فقلما ان يوجد حكم الا وهو منصوص
اجمالا او تفصيلا بخلاف غيرهم فان مذاهبهم لم تحرر فلا يعرف لها قواعد
يتخرج عليها احكامها فلم يجز تقليدهم فيما حفظ عنهم منها لانه قد يكون مشروطا
بشرط اخرى وكلوها الى فهمها من قواعدهم فيها عضوا بالفتح فالتشديد امر من
عض يعض اذا اخذ شيئا بالعض ومنه قوله تعالى ويوم يعض الظالم
على يديه هذا ومن غريب ما وقع في زماننا ان بعض المحدثين او المتحدثين
المعروف بالباشر ظنا منه انه اعلم المحدثين بل وهما انه المجتهد المطلق
في الدين روى الحديث بضم العين فاوردنا عليه الاية والقواعد العربية
في قضية مأخذ الامر به مع اتفاق ائمة اللغة على الفتحة فاجاب
بانه انما عدلنا عن الفتحة الى الضمة لرفع شبهة المماثلة بالصيغة الماضوية
فدفعناه بورود مد مادا مدوا بصيغة الامر والماضي المجهول على اشتراك
الضمة بناء على اعتبار القرينة الحالية او المقالية فيتحقق بهذا خلو هذا
المدعي عن مناقب الرواية ومراتب الدراية فما اليسر الدعوى وما اعسر
المعنى بل يدخل بناء على هذا المبنى في قوله عليه السلام من كذب علي متعمدا فليتبوأ
مقعده من النار عليها اي على السنة بالنواجذ جمع ناجذ بالذال المعجمة
وهي رواية من اواخر الاضراس وقد لا توجد لبعض الناس ويسمى ضرس
الحلم لانه ينبت بعد البلوغ وكمال العقل وقال المص هو بالذال المعجمة
وهو الانياب وقيل الاضراس انتهى والقصد المبالغة في شدة
التمسك عليه استظهارا للمحافظة لديه ويحتمل ان يكون كناية عن الصبر على
ما يصيبه من المشقة يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه في المحافظة
على السنة كما روى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس
زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمرة واياكم ومحدثات الامور
عطف على قوله فعليكم للتأكيد والتشديد قال الفاكهاني وكلاهما منصوب
بفعل مضمر والتقدير اياكم باعدوا واتقوا محدثات الامور والاظهر ان
يقال بعدوا انفسكم عن المحدثات وبعدوها عن انفسكم كما قرر في قولهم اياكم

والاسلام والمعنى اتقوا ولا تقربوها فضلا عن ان تحدثوها فان كل بدعة ضلالة
قال المص البدعة ما عمل على غير مثال سبق انتهى وهو تعريف لها بحسب اللغة
واما في الشريعة فما احدث على خلاف الكتاب والسنة واجماع الامة وقيل
احداث ما لم يكن في عهد النبوة وقيل البدعة زيادة في الدين قربة كانت
او معصية فالمراد كل بدعة سيئة محرمة او مكروهة ضلالة لان المص قال في
شرح مسلم هذا عام مخصوص لان البدع خمسة انواع واجبة كعلم النحو واصول
الفقه والكلام ومحرمة كمذاهب المرجئة والمجسمة ومندوبة كاحداث
المدارس والكلام في دقائق التصوف ومكروهة كزخرفة المساجد
وتزوين المصاحف ومباحة كالمصافحة في عقب الصبح والعصر انتهى
ولا يخفى ان البدع الواجبة وهي الاشتغال بالعلوم العربية المتوقف عليها
فهم الكتاب والسنة كالصرف والنحو واللغة واصول الحديث والفقه
والرد على المبتدعة انما هي على الكفاية لحفظ الشريعة واما تزيين المساجد
والمصاحف فاختلف في كراهته عندنا والمصافحة بعد الصلوة مطلقا
يكره عندنا وقد صرح ابن عبد السلام بان المصافحة عقب العصر والصبح
مكروهة لكن قيدها المص بما اذا صافح من هو معه قبلها اما من ليس معه قبلها
فمصافحة مندوبة لانها عند اللقاء سنة اجماعا وكونه خصصها ببعض
الاحوال وفرط في اكثرها لا يخرج ذلك البعض عن كونها مشروعة فيه انتهى وقيل
وجه اطلاق عبد السلام ان الغالب يكون مصافحتهم بعد ملاقاتهم اولا انهم
يعدون هذه المصافحة من سنن الفراغ من الصلوة ولا ينظرون الى مصافحة
الملاقات ولذا يصافحون بعدها ويكتفون بها عن التسليم معها قال ابن
حجر ومن المباحة التوسيع في لذائذ المأكل والمشرب والملابس وتوسيع
الاكمام ثم قال وقد يختلف العلماء في ذلك فيجعل بعضهم مكروها وبعضهم
سنة انتهى وقد تنبه ذلك الى المص ايضا لكن لا يخفى ان القول
بالسنية بعيد عن الطريقة السنية يعني تطويل الذيول والاكمام
فانه كان للخيلاء والافتخار فحرام والا فمكروه بلا كلام لمخالفة الاحاديث

الواردة

الواردة في هذا المقام ولو اجري الحديث على عمومه يبعد اذ المعنى كل ما لا
يرجع الى اصل دين ولا يساعده دليل شرعي فهو ضلالة فيطابق حديث
من احدث في امرنا ما ليس منه فهو رد وقد روى البيهقي عن الشافعي انه قال
المحدثات في الامور ضربان احدهما ما يخالف كتابا او سنة او اثرا
او اجماعا فهذه البدعة الضلالة والثاني ما احدث من الخير لا خلاف
فيه فهذه محدثة غير مذمومة وقد قال عمر رضي الله عنه في قيام شهر
رمضان نعمت البدعة هذه انتهى والاضبط ان يقال كل بدعة تزاحم
سنة فهي سيئة وكل ما ساعدها فهي حسنة كالنية اللسانية في العبادات
فانه بدعة الا انها مستحسنة لانها تستحضر النية القلبية ولتقويها
وكجماعة التراويح فانها توافق صلاته عليه السلام اولا ثم تركها مخافة
ان يفرض على امته ولم يقوموا بجمعها فهي بدعة بالنسبة الى ما ترك عليه
السلام وسنة باعتبار اصلها وكونها من سنة احد الخلفاء الراشدين
ولذا قال فقهاؤنا انها سنة مؤكدة ومن شعار الدين وبهذا يظهر
وجه تسمية المبتدعة لان قواعدهم كلها مزاحمة للسنة ابتدعوها وقد
قيل لاهل الحق انهم اهل السنة فانهم اتبعوها ثم اعلم ان اصول البدع
كما نقل في المواقف سبعة المعتزلة القائلة بان العباد خالقوا اعمالهم
وبنفي رؤية الله سبحانه وبوجوب الثواب والعقاب عليه عز وجل وهم
عشرون فرقة والشيعة المفرطة في محبة علي رضي الله عنه وهم عشرون
فرقة والخوارج المفرطة في بغضه المكفرة له ومن اذنب كبيرة وهم عشرون
فرقة والمرجئة القائلة بانه لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع
الكفر طاعة وهي خمس فرق والنجارية الموافقة لاهل السنة في خلق
الافعال وللمعتزلة في نفي الصفات وحدوث الكلام وهم ثلاث فرق
والجبرية القائلة بسلب الاختيار عن العباد فرقة واحدة والمشبهة
الذين يشبهون الحق بالخلق في الجسم والحلول فرقة ايضا فتلك
اثنتان وسبعون فرقة كلهم في النار والفرقة الناجية هم اهل السنة

مطلب بيان فرق

البيضاء المحمدية والطريقة السمحاء الاحمدية ولها ظاهر يسمى بالشريعة
شرعة للعامة وباطن وسم بالطريقة منهاجا للخاصة وخلاصة خصت باسم
الحقيقة معراجا لاخص الخاصة فالاول نصيب الابدان من الخدمة والثاني
نصيب القلوب من العلم والمعرفة والحكمة والثالث نصيب الارواح من المكاشفة
والمشاهدة قال القشيري الشريعة امر بالتزام العبودية والحقيقة مشاهدة
الربوبية فكل شريعة غير مؤيدة للشريعة فغير مقبول وكل حقيقة غير مقيدة
بالشريعة فغير محصول فالشريعة قيام بما امر والحقيقة لما قضى وقدر
واخفى واظهر والشريعة حقيقة من حيث انها وجبت بامره والحقيقة
ايضا شريعة من حيث ان المعارف به سبحانه وجبت بامره رواه
ابو داود وهو الامام ابو سليمان بن الاشعث السجستاني كان من
فرسان الحديث قيل اللين لابي داود الحديث كما الين لداود
عليه السلام الحديد ولد سنة اثنتين ومائتين وتوفي بالبصرة
سنة خمس وسبعين ومائتين والترمذي سبق ذكره وقال
اي الترمذي حديث اي هذا الحديث حسن صحيح ومن ثم جمعهما
هو الموجود في الاصول المعتمدة وفي شرح ابن حجر حديث حسن وفي
نسخة حسن صحيح هكذا هو كتب الاربعين انتهى ورواه احمد وابن
ماجه وابو نعيم وقال حديث جيد من طريق الشاميين هذا ولفظ
ابي داود قال صلى بنا ذات يوم ثم اقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة
ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل يا رسول الله
كأن هذا موعظة مودع فماذا تعهد الينا فقال اوصيكم بتقوى الله
والسمع والطاعة وان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم بعدي فسيرى
اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا
بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة
بدعة وكل بدعة ضلالة ولفظ الترمذي نحو هذا لكن بعد صلوة الغداة
وفيه وان عبد حبشي وفيه واياكم ومحدثات الامور فانها ضلالة

فمن

فمن ادرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين
عضوا عليها بالنواجذ وفي بعض الطرق ان هذا موعظة مودع فما تعهد
الينا قال تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها فلا يرفع عنها الا هالك ومن
يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء
الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وفي بعضها فان كل محدثة
بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار اي صاحبها من فاعل ومتبع
وزاد ابن ماجه اخر الحديث فانما المؤمن كالجمل الانف حيثما قيد
انقاد وقيل هذه الزيادة مدرجة بهذا تبين ان المصنف رحمه الله
ما اتى بلفظ ابي داود ولا بلفظ الترمذي كمالا ولا جمع بينهما اجمالا
ولعله اطلع على رواية لاحدهما وفق ما ذكره عنهما **الحديث التاسع
والعشرون** عن معاذ ابن جبل كما في نسخة رضي الله عنه قال قلت
صدر الحديث قال بينما نحن نخرج مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزوة تبوك وقد اصابنا الحر فتفرق القوم فاذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقربهم مني فدنوت منه فقلت يا رسول الله اخبرني بعمل
اي قليل او جليل او معتبر في الشرع جميل فلا يردها ذكره المظهر فانه اذا
جعل يدخلني جواب الامر بقي بعمل نكرة غير موصوفة وهي تفيد يدخلني
الجنة على انه صفة عمل اما مخصصة او مادحة او كاشفة فان العمل
اذا لم يكن بهذه الحيثية كانه لا عمل في الحقيقة وقيل بالجزم على انه
جواب الامر اي اخبرني بعمل بعمل ان تخبرني به يدخلني الجنة يعني ان الخبر
وسيلة للعمل والعمل ذريعة للادخال وعلى كل تقدير اسناد الادخال
الى العمل اسناد الى السبب او شبه العمل لكونه سببا للمطلوب بالفاعل
الحقيقي ولا يبعد ان يكون التقدير يدخلني الله به الجنة قال السيد جمال
الدين الرواية الصحيحة المشهورة فيه يدخلني بالرفع على انه صفة لقوله
بعمل ولا يحسن الجزم على جواب الامر اذ ليس الاخبار سببا للادخال
الجنة وقد وجه الجزم على تقدير صحة الرواية بانه جزاء الشرط المحذوف

تقديره اخبرني بعمل ان عملته يدخلني الجنة والجملة الشرطية باسرها صفة
لعمل او جواب للامر وتقريره ان اخباره صلى الله عليه وسلم لما كان
وسيلة الى عمل وعمل ذريعة الى دخول الجنة كان الاخبار سببا في
الجملة فعلى هذا يكون الترتيب من باب اقامة السبب الذي هو الاخبار
مقام المسبب الذي هو العمل او السبب ظاهرا الا الاخبار لان
الاخبار انما يكون سببا للمخاطب اذا كان المخاطب مؤمنا معتقدا
موافقا كقوله تعالى قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة قال ابن الحاجب
يقيموا جواب قل اي لعبادي يقيموا وما اعترض عليه من ان الاقامة
ليست لازمة للقول ليس بشيء لان الجواب لا يقتضي الملازمة العقلية
وانما يقتضي الغالبة وذلك حاصل فان امر الرسول صلى الله عليه وسلم
للمؤمنين باقامة الصلوة يقتضي اقامة الصلوة منهم غالبا ويباعدني
من النار اي ويبعدني منها واخرج على صيغة المبالغة للمبالغة في
البعد ثم القصد دخول الجنة من غير سابقة عقوبة قالوا والمطلق
الجمعية ولعل تقديم الدخول للاهتمام بحصول الوصول وللايماء الى غلبة
الرجاء بناء على الحديث القدسي والكلام الالهي سبقت رحمتي غضبي
هذا وفي كلام اهل التحقيق ان الجنة جنة الوصول الى معرفة ذات
الله وصفاته وافعاله ومصنوعاته من الملائكة الكروبية والروحانية
وطبقات الارواح العلوية وعالم السموات وما فيها من الانوار الملكوتية
والاسرار الجبروتية بحيث يصير روح السالك كالمرآة المحاذية
لعالم القدس وحضرة الانس واشجارها الملكات الحميدة والاخلاق
السعيدة وثمراتها المكاشفات والمشاهدات والاشارات وغيرها
من المواهب اللدنية والمراتب العندية وفرحها بالجنة الحسية فهولا
ومن اعرض عن الحق واشتغل بالخلق وانتقل من روح المحبة والقربة
الى سيئات القهر والبعد والطرد والحط عن الجنة العالية الى عالم النار
المعنوية يعذب بنور روحانية نشأت من استيلاء صفات القهر

الالهية

الالهية فيكون اشد وادوم ايلاما من النار الجسمانية لان حرارتها تابعة
لنار روحانية ملكوتية هي شرر من نار غضب الله بعد تنزلها من مراتب كثيرة
كتنزلها في مرتبة النفس بصورة الغضب وهي غير متناهية وهذا معنى
ما يقال ان نار جهنم غسلت بالماء سبعين مرة ثم انزلت الى الدنيا ليتمكن
الانتفاع بها قال لقد سألت وفي نسخة لقد سألتني عن عظيم اي شيء
عظيم وابهم للتفخيم او عمل عظيم ليطابق السابق اللاحق او عن عمل عسير لقوله
وانه ليسير اي هين على من يسره الله تعالى عليه اي سهله لديه بالتوفيق
على اكتساب الاوامر واجتناب الزواجر تعبد الله استئناف وقع بيانا
لذلك الامر العظيم او العسير الذي مع التوفيق يسير وهو خبر معناه امر
وعدل عن صيغة تنبيها على ان المأمور كانه متسارع الى امتثال
الامر وهو يخبر عنه اظهارا للرغبة وانشاء للرتبة او التقدير هو ان
تعبد الله ثم حذف ان ورجع الفعل الى رفعه بناء على اصله كما قرر في
محله والمراد بالعبادة التوحيد لقوله ولا تشرك به شيئا للتأكيد او
الاعم منه ليتم امتثال كل مأمور واجتناب كل محذور والضمير في به اما
ان يعود الى الله او الى العبادة والثاني اعلى لانه اذا لم يشرك في
العبادة فلان لا يشرك بالله اولى وفي بعض النسخ لا تشرك بالله
شيئا فالجملة حالية ثم شيئا يحتمل المصدرية والمفعولية اي شيئا من الشرك
جليا او خفيا او شيئا من الاشياء لقوله فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل
عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا والعبادة هي الغاية القصوى
من ابداع الخلق وارسال رسل الحق كما اشير اليه قوله تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون وما كانت العبادة متوقفة على المعرفة
او منتجة لها قال ابن عباس اي ليعرفون وفي الحديث القدسي كنت كنزا
مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لان اعرف وايضا او فسر
العبادة بالمعرفة لاستقام الحصر في الآية فكلما ازداد معرفة ازداد عبودية
ولا ينفك العبد عن العبادة ما دام حيا لقوله تعالى واعبد ربك حتى

بانيك اليقين اى الموت باتفاق المفسرين بل في برزخ عليه عبودية اخرى
حين سؤال الملكين عن ربه ودينه ونبيه وفي القيمة يوم يكشف عن
ساق ويدعون الى السجود واذا ادخل الجنة كانت عبودية التسبيح والتحميد
مقرونا بانفاسه على وجه التأبيد قال تعالى دعويهم فيها سبحانك
اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وقالوا
الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله وقالوا الحمد
لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذى احلنا دار المقامة
من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب والحاصل انها ليست
بدار تكليف بل دار تشريف وفي كلام الصوفية ان العبادة حفظ
الحدود والوفاء بالعهود وقطع العلائق ودفع العوائق والفناء عن
مطالعة الخلق الى مشاهدة الحق وله ثلث مراتب لانه اما يعبده رهبة
من العقاب ورغبة في الثواب وهو المسمى بالعبادة وهذه لمن له علم
اليقين او يعبده تشرفا بعبادته وتلذذا بالخطاب عنه وتسمى بالعبودية
وهو لمن له عين اليقين او يعبده لكونه الها وكونه عبدا والالوهية توجب
العبودية وتسمى بالعبودة وهو لمن له حق اليقين والشرك رؤية
ضر او نفع او اعطاء او منع من سواه واثبات وجود غير الله ذاتا وصفة
وفعلا بل الغفلة عن الله وخطور ما عداه كما قال العارف ابن الفارض
ولو خطرت لى سواك ارادة على خاطرى سهوا حكمت بردتى ويقيموا
الصلوة اى المكتوبة من باب عطف الخاص على العام ان عمم العبادة
تنبيها على انافتها وشرافة ما بعدها من قوله وتؤتى الزكوة وتصوم رمضان
وتحج البيت فعلم ان دخول الجنة بطريق الاولية يتوقف على تلك
الاعمال الجلية والامتثال لها من الاحوال الرضية وهذا الحكم يعم كل مؤمن وان
خص معاذ بالخطاب لان العبرة بعموم الالفاظ لا بخصوص الاسباب
ثم قال اى بعد ذكر الفرائض المذكورة والامتثال لها تنبيها على تأدية النوافل
الآتية لاكمالها الا ادلك همزة الانكار دخلت على فعل منفى ليفيد

تحقيق

تحقيق الاخبار اى لا ينبغى لى مع انى مرشد مكمل لغيرى ان لا ادلك
على ابواب الخير اى الطرق الموصلة اليه وفيه ان التشويق الى ما سنذكر
قبل ذكره فيكون اوقع فى النفس حال حصوله الخير بدار فيها كل ما تتمناه
النفس وتهواه والمراد انواع من جنس عبادة مولاه فان الصوم
والصدقة والتهجد شديد على النفس غاية الشدة فمن اعتادها سهل عليها
كل صنف من العبادة لان الاعمال اما بدنية او مالية فالصدقة طاعة مالية
والصوم وصلوة الليل عبادة بدنية نهارية وليلية ولا يبعد ان يكون
الاستفهام للاستعلام وانما لم يتوقف صلى الله عليه وسلم حتى يقول معاذ
بلى كما فى السؤالين الآتيين تنبيها على انه لا ينبغى ينتظر تصديقه اهتماما
واعتبارا بمضمون تحقيقه وفى رواية ابن ماجه على ادلك على ابواب
الجنة الصوم يعنى وهى الصوم والصدقة والصلوة فى الليل والمراد به
صوم النفل لتقدم الفرض الا انه وصف بوصف لنفسه وغيره او بالعرض
بالاولى فاللام تدل على المضاف اليه او للعهد الخارجى جنة بضم الجيم
اى سترة من سورة الشهوة فى الدنيا ووقاية من النار فى العقبى كالترس
فمن كان الصوم جنة له سد طرق الشياطين فى قلبه عن جنة وبعدوا الى
ظلمتهم يرى بنور الغيب خزائن لطائف حكم الصفات فيستتر بالاولى
عن جميع المخالفات والآفات والصدقة اى النافلة تطفئ الخطيئة اى
تمحو اثرها وتذهب امرها اذا كانت صغيرة متعلقة بحق الله تعالى
واما اذا كانت من حقوق العباد فيدفع تلك الحسنة الى خصمه عوضا
عن المظلمة واستعير الاطفاء للمحو الخطيئة بقرينة قوله كما يطفئ الماء ما
مصدرية اى اطفاء مثل اطفاء الماء النار ولعل في اثارها بالماء لان الله
فيهما اذ الاشياء لا يعمل بطبعها فلا الماء يروى ولا الخبز يشبع ولا النار
تحرق ولا الماء يغرق والحديث مستفاد من قوله تعالى ان الحسنات
يذهبن السيئات الا ان من القواعد المقررة ان الامور المكفرة انما
هى للصغيرة من حقوق الله واما الكبيرة فلا بد لها من التوبة بشروطها وانما

الحقوق المتعلقة بالعباد فلا بد من ارضائهم بعد التوبة وصلوة الرجل
اى الكامل فى الرجولية ومن فى معناه من الاناث اذا كانت فى مقام
العبودية وقال تعالى وكانت من القانتين فى جوف الليل كذا
فى اصلنا المقروء على المشايخ المعتبرة وفى بعض النسخ من جوف الليل
وادعى الكازرونى انه الرواية فيكون من ابتدائية او تبعيضية او مرادفة
ظرفية كما فى قوله تعالى اروني ماذا خلقوا من الارض واطلاق الجوف
مجاز والمراد وسطه او آخره او اثناؤها فيشمل اوله فيعم صلوة الا
الاوابين والمتهجدين ويحصل فضل قيامه بصلوة ركعتين لخبر من قام
من الليل قدر حلب شاة كتب من قوام الليل وافضل اجزائه ما
ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه افضل الصلوة صلوة اخى داود كان
ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وهو الذى واظب عليه
النبى صلى الله عليه وسلم والمعنى ان صلوة الرجل فى الليل من ابواب
الخير ادخل الجنة وتباعد النار او كذلك يطفى الخطيئة قال
البيضاوى وهو الاظهر وقال الطيبى الاولى ان يقدر الخبر شعار
الصالحين كما فى جامع الاصول وفيه انه لا قرينة لهذا القدر بخلاف
ما سبق فتدبر قيل الاولى ان يقال حذف الخبر منه استعار بان
لها فضل كثير واجر عظيم عزيز لا يكتنه كنهه ولا يمكن التعبير عنه اى
صلوة الرجل فى جوف الليل لا يعلم نفس ما اخفى لها ولهذا استشهد
بالآية فى حقها كما قال الراوى ثم تلا اى قرأ النبى صلى الله عليه وسلم
تتجافى جنوبهم قال الراوى حتى بلغ يعملون اختصارا اى تتنحى و
تباعد وفى اسناد الفعل الى الجنوب نكتة لطيفة لا يخفى اذ
الاصل يقومون عن النوم ويبعدون جنوبهم عن المضاجع اى المفارش
يدعون ربهم ان يعبدونه او يطلبونه خوفا من سخطه وطمعا فى رحمته
ومما رزقناهم ينفقون فى سبيل مرضاته فلا تعلم نفس لا ملك
مقرب ولا نبى مرسل ما اخفى لهم من قرة اعين مما تقر به اعينهم سرورا

من الثواب

من الثواب وقرأ حمزة اخفى بصيغة المتكلم وفى الحديث القدسى كما فى الصحيحين
اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين ثم
قيل هذا كناية عن الصلوة بين المغرب والعشاء وقيل عن صلوة
العشاء والصبح بجماعة والجمهور على ان المراد بها صلوة التهجد وهو الصلوة
بعد القيام من النوم كما يشير اليه قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع ولانه
وقت اخفاء الاعمال كما قال تعالى جزاء بما كانوا يعملون اى خذوا اجزاء
وفاقا وقد جاء فى الخبر ان الله يباهى الملائكة بقوام الليل فى الظلام
يقول انظروا الى عبادى قد قاموا فى ظلم الليل حيث لا يراهم احد غيرى
اشهدكم انى قد اجتهم دار كرامتى هذا وقدم الصلوة على الزكوة و
الصوم اولا وعكس ثانيا لان الاول مسوق لبيان امر الدين فقدم
الاهم فالاهم والثانى للتكميل فالترقى اولى وفيه ايماء الى ان ذلك
التدلى موجب لهذا الترقى ثم اعلم ان ترك قيام الليل مكروه ففى
الصحيح عن ابن مسعود قال ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجل نام حتى اصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان فى اذنيه او قال فى
اذنه ثم قال الا اخبرك برأس الامر اى الذى سألت عنه او باصل
امر الدين واساسه المحكم المبين وعموده اى عماده المتين المعين
على تحصيل قيام اليقين وذروة سنامه بكسر الذال وضمها اى علاه
قاله المص وهو موافق لما فى القاموس وشرح الشاطبية وكان
قياس امثاله من نحو جذوة واسوة وقدوة ان يجوز فتحها ايضا
والسنام بفتح اوله ما ارتفع من ظهر الجمل قرب عنقه قلت بلى يا رسول
الله قال رأس الامر الاسلام وهو الاقرار بكلمتى الشهادة الذى عليه
مدار الاحكام وهو من باب تشبيه المقلوب مبالغة فى تحقيق
المرام اذ المقصود تشبيه الاسلام برأس الامر ليشعر بانه من سائر
الاعمال بمنزلة الرأس من اعضاء الجسد فى احتياجه اليه وعدم بقائه

دونه او لانه الطرف الاعلى او لانه رئيس الاعضاء فيه ايماء الى ان
الايمان بمنزلة الروح والجثمان وعموده اى ما يقوم به الدين ويرتفع
به اساس اليقين كعمود الخيمة وهو الخشب الذى عليه مدار اعتمادها
الصلوة وروى البيهقى عن عمر مرفوعا الصلوة عماد الدين وزاد
الفقيه ابو الليث السمرقندى فمن اقامها فقد اقام الدين ومن هدمها
فقد هدم الدين ولانها ام العبادات وناهية السيئات وذروة
سنامه الجهاد لانه به رفعة العباد وسلامة البلاد من ملامة الفساد والحاصل
ان العبد ما لم يقر بكلمتى الشهادة لم يكن له شىء اصلا من آثار السعادة
واذا اقربها حصل له اصل الدين الا انه ليس له كمال وقوة فى اليقين
كالبيت الذى ليس له العمود المتين فاذا صلى وداوم على صلوته
قوى دينه فى حد ذاته ولكن ليس له رفعة وكمال فى صفاته فاذا جاهد
حصل الرفعة فى حالاته والعزة فى مقاماته وقد روى داود ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تبايعتم بالعينة واخذتم اذناب
البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا
الى دينكم وهذا من فروض الكفاية والصلوة من فروض الاعيان والاسلام
اظهار الايمان فما احسن هذا الترتيب فى معرض البيان ثم الجهاد انواع
الجهاد مع الكفار ليكون الدين كله لله الواحد القهار ومنها جهاد النفس
بحملها على اتباع الاحكام والمواظبة على شرايع الاسلام ولاندراج
الاول فى الثانى بحكم الاغلب الاكثر ورد فى الخبر رجعنا من الجهاد
الاصغر الى الجهاد الاكبر ولان النفس اعدى عدوك التى بين
جنبيك وقد قال تعالى يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من
الكفار وليجدوا فيكم غلظة ولان العدو الخارجى يتصور قتله وهذا
العدو الداخلى لا يمكن دفعه ولا رفعه ولان الجهاد مع الكفار يكون
فى بعض الاوقات ومنها دائم فى كل الحالات ومن جميع الجهاد
ومنها جهاد القلب بتصفيته عن الاوزار وقطع تعلقه عن الاغيار

ومنها

ومنها جهاد الروح وهو بافناء الوجود واستغراقه فى بحر جود الواحد القهار
ثم اعلم ان متن الاربعين على ما فى النسخ المعتبرة والشروح المشتهرة وفق
ما قررته فى ضمن ما حررته وقد سقط من اصل المشكوة هاتين ومن تبعه مع احتمال انه
من سهو الكتاب او من صاحب الكتاب واعتمد عليه ابن حجر واعترض على المص
بانه غفلة منه فى كلامه وكانه انتقل نظره من سنامه الى سنامه او قلد فيه
الحافظ ابن الصلاح فانه لما ذكر الاحاديث فى جملتها بالاسقاط المذكور
لكن له عذر لان ابن ماجه ذكره كذلك فلا اعتراض عليه هناك لانه لم
يلتزم رواية شخص بخصوصها بخلاف المص فانه انما ساق لفظ الترمذى كما
سيذكره ويقع فى بعض نسخ المتن ذكر ذلك الاسقاط فيحتمل ان المص
تنبه له بعد فالحقه ويحتمل انه من جهل انه بعض تلامذته او غيرهم انتهى
وما جوز ان الغلط منه او ممن نقل عنه مع انه انسب والى مقام الادب
اقرب واى مانع من ان يكون للترمذى روايتان احديهما موافقة لرواية
ابن ماجه مع ان قوله سقط منه ما لا يتم الكلام بدونه ومع ذلك لم تنبه له
اكثر الشراح ممنوع لما قدمنا من رواية المتون والشروح ولما اقر بنفسه
ان رواية ابن ماجه هكذا فدل على انه يتم المرام بدون ذلك الكلام وهو
انه عليه السلام اراد براس الامر وعموده وسنامه كلها جهاد ولهذا
قال بعض الشراح الجهاد بالقتال لا يقاومه شىء من الاعمال ولعله
اراد بها الفروض الكفاية والا فقد ورد انه يوزن مداد العلماء ودم
الشهداء يوم القيمة فرجح مداد العلماء على دماء الشهداء ومن المعلوم
ان اعلى ما فى الشهيد دمه وادنى ما فى العلماء مداده ولهذا قال الشافعى
طلب العلم افضل من صلوة النافلة مع ان الصلوة افضل العبادات
عنده وروى مرفوعا ما جميع اعمال البر فى الجهاد الا كنقطة فى بحر
وقال ابن هبيرة فى كتابه اجماع الائمة الاربعة اختلفوا فى افضل
الاعمال بعد الفرائض فقال الشافعى رحمه الله الصلوة افضل الاعمال
البدنية وقال احمد لا اعلم بعد الفرائض افضل من الجهاد واما مالك

وابو حنيفة فمذهبهما انه لا شيء بعد فرض الاعيان من الاعمال افضل
من العلم ثم الجهاد ثم قال اي النبي عليه السلام بعد تكميل جوامع الارشاد
وتمهيد قواعد الاعتقاد فذلكة في ضمن كلام جامع تتميما للمرام ألا
اخبرك بملاك ذلك وهو ما به احكام الشيء وقوامه الذي يملك به
ويعتمد عليه في امره واهل اللغة يكسرون الميم ويفتحونها لكن الرواية
بكسرها والاشارة الى ما ذكره والكده بقوله كله لئلا يظن خلاف الشمول
والمعنى بما يقوم به تلك العبادات باسرها وقال المص ملاك الشيء
بكسر الميم اي مقصوده وخالفه ابن حجر وقال بفتح الميم وكسرها اعتمادا
على اللغة والدراية لا استنادا بما ثبت في الرواية قلت بلى يا رسول الله
فاخذ اي النبي عليه السلام بلسانه لقلة مقاصده وكثرة مفاسده ولذا
ورد من صمت نجى والباء لتضمين معنى التعلق او زائدة لتاكيد
التعدية والمعنى امسك لسان نفسه وقيل لسان معاذ وقال وفي
نسخة فقال وفي اخرى ثم قال وفي بعضها بدون العاطف لكن الرواية
على الاول كف عليك هذا بضم الكاف وتشديد الفاء المفتوحة على
انه امر ويجوز ضمها وكسرها بحسب اللغة ووضع على موضع عن لانها
تاتي بمعنى المجاوزة كقول القائل اذا رضيت علي بنو قشير اي امنع عنك
آفة اللسان او ضمن كف معنى احبس اي احبس عليك لسانك
والزم شانك ففي الحكمة لسانك اسدك ان اطلقته فرسك وان
امسكته حرسك وكان الصديق رض يمسك لسانه ويقول هذا الذي
اوردني الموارد ويقول ليتني كنت اخرس الا عن ذكر الله تعالى وقيل
المعنى امنع لسانك عن الشر فلا تتكلم الا بالخير فان من كثر كلامه كثر
سقطه ومن كثر سقطه كثر ذنوبه ومن غلب لغطه كثر غلطه او لا يتكلم
بما يهجس في نفسك ويخطر ببالك من الوساوس النفسانية والهواجس
الشيطانية فانك غير ماخوذ به ما لم تظهره لما ورد ان الله تعالى تجاوز
عن امتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل او تتكلم او لا تتفوه بما ستره

الله

الله عليك فان التوبة عنه ارجى قبولا والعفو عنه اقرب وقوعا
وفي عدم الاكتفاء بالقول واخذ اللسان باليد والاشارة اليه
بهذا دون اسمه تنبيه على ان امر اللسان صعب الشان ففي صحف ابراهيم
عليه السلام ينبغي للعاقل ان يكون مقبلا على شانه حافظا للسانه عارفا
باهل زمانه وآفات اللسان كثيرة فمن اراد الاستيفاء فعليه بكتاب
الاحياء قلت يا نبي الله وانا اي انحن على قولك وانا لمؤاخذون
بالهمز ويبدل اي معاقبون او محاسبون بما نتكلم به اي بجميع ما نتكلم به
اذ يبعد ان يكون الراوي لم يعلم تحقيق المؤاخذة بالكذب والغيبة
والبهتان والنميمة وسائر العصيان المتعلقة باللسان والاستفهام
المقدر للاستكشاف والتعجب والاستغراب فقال ثكلتك امك بكسر
الكاف الاولى وفي نسخة زيادة يا معاذ واصل الثكل فقدان المرأة
ولدها كان دعاء عليه بالموت لسوء فطنته في قوله والموت يعم كل احد له
الفناء فاذن الدعاء به كلا دعاء او اراد انك اذا كنت هكذا فالموت
خير لك لئلا تزداد سوءا في عملك طول حياتك والاظهر ان ظاهره
الدعاء بالموت لكنه غير مراد بل هذا مما جرت به عادة العرب في موضع
التعجب او للتحريض على التيقظ في مقام الادب او للاستعظام شيء من
المرام بحسب مقتضى المقام والمعنى فقدتك امك لفقدك ادراك
المؤاخذة بذلك مع ظهورها هنالك وهل يكب الناس بفتح اليا
وضم الكاف على ما قاله المص والاستفهام للانكار اي ما يلقي الناس في
النار والواو لمجرد الربط بين الجملتين او هو للعطف على مقدر اي
هل تظن غير ما قلت وهل يكب الناس فيها على وجوههم فيه تجريد ا
ذ الكب لا يكون الا عليه او دفع الارادة المجاز او المراد الكب على تمامه
لا على بعضه كما يستفاد من قوله او على مناخرهم شك من الراوي وهو
جمع المنخر بفتح الميم وكسر الخاء وفتحها نقبة الانف والمراد هنا نفس
الانف مجازا ولعلها خصا بالذكر لانهما اول الاعضاء سقوطا الا حصائد



السنتهم جمع حصيدة فعيلة بمعنى مفعولة من حصد اذا قطع الزرع وهذا من قبيل
اضافة اسم المفعول الى فاعله اى محصودات الالسنة والاستثناء مفرغ
فانه فى الاستفهام معنى النفى والتقدير لا يكب الناس على النار شيء من الاشياء
الا حصائد السنتهم بما يتقطع من الكلام القبيح وهو الكفر والكذب والشتم
واللعن والقذف والغيبة والنميمة والبهتان ونحوها وهذا الحكم بطريق الحصر
وارد على الاغلب الاكثر لانك اذا استقريت لم تجد احدا حفظ لسانه
عما يوجب دخول النار الا النادر من الابرار شبه اللسان وما يقطع به من
القول بحصد المنجل وما يقطع به من النبات وهو من بلاغة النبوة التى
لا مدخل لاحد من البلغاء حيث شبه اطلاق المتكلم لسانه بما يقتضى الطبع
شانه سواء زانه او شانه من غير تمييز بين قبيح القول وحسنه بفعل الحاصد
الذى لا يميز فى الحصاد بين شوك وزرع بل يتناول الكل بمنجله ولذا
قال عليه السلام كفى بالمرء اثما وفى رواية كذبا ان يحدث بكل ما سمع ثم نسبة
المكب الى الحصائد مجازية سببية ولعلك ان هذه الى تمة فاتحة السعادة
الكبرى فاتحة منها نسيم الكرامة العظمى لانك اذا نظرت الى الشريعة
فكف اللسان نعم العون على حفظ الجنان ففى الحديث المرفوع المتفق عليه
ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما لا يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات
وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما لا يلقى لها بالا يهوى بها فى النار
ابعد ما بين المشرق والمغرب وفى شعب الايمان مرفوعا مقام الرجل بالصمت
اى ساعة افضل من عبادة ستين سنة واذا نظرت الى الطريقة فهو
الركن المشار اليه والقطب المدار عليه لانه اذا سكت اللسان نطق القلب
ويحصل له المسامرة مع الرب ويمطر عليه سحائب الرحمة بقطرات النور ويمتلى
من الحبور والسرور واذا نظرت الى الحقيقة فهو انتهاء مراتب السالكين
وغاية مناقب العارفين ولذا ورد من عرف الله كل لسانه اى عن ذكر
غير الله وهو فى مقام المراقبة وكل لسانه عن الدعوى وهو فى مقام
النهاية وكل لسانه عن شرح حاله وبيان مقامه وهو منزلة صولة الحيرة عن

وصف الله

وصف الله وثنائه وهو مقام الحيرة فى المعرفة كما قال صلى الله عليه
وسلم فى اقصى الدنو والقربة لما راى الحق بالحق وفنى عن الصفات
فى الذات ووجد معنى من معانى البقاء لا احصى ثناء عليك لان ثناءه
يصدر عن الحدوثية وثناء الخليقة لا يليق بجمال الالوهية ثم قطع
لسان الثناء بمقراض التنزيه لا لاحد عجزا فى جلال الابد واضاف
ثناءه تعالى اليه لانه لا يعرف الله الا هو سبحانه فقال كما اثنيت
على نفسك وقد انشد الشافعى فى معنى الحديث احفظ لسانك ايها
الانسان لا يلدغنك انه ثعبان كم فى المقابر من قتيل لسانه كانت
تهاب لقاءه الشجعان رواه الترمذى اى فى جامعه وقال حديث
حسن صحيح بحذف المبتدا اى وهو هذا وقد رواه البيهقى فى شعب
الايمان باختلاف يسير وفيه الا ادلك على راس الامر وعموده
وذروة سنامه اما راس الامر فالاسلام من اسلم سلم واما عموده
الصلوة واما ذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله **الحديث
الثلثون** عن ابى ثعلبة الخشنى بضم الخاء وفتح الشين المعجمة وبالنون
منسوب الى خشينة قبيلة معروفة جرثوم بن ناشر بضم الجيم والثاء
المثلثة واسكان الراء بينهما وفى اسم ابيه اختلاف كثير ذكرهما العلم
قيل بلغ الخلاف اربعين قولا وخشينة بطن من قضاعة رضى الله
عنه كان ممن حضر بيعة الرضوان تحت الشجرة وضرب له صلى الله عليه
وسلم بسهمه يوم خيبر وارسله الى قومه فاسلموا نزل الشام ومات سنة
خمس وسبعين ومن روايته اربعون حديثا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الله وفى نسخة صحيحة زيادة تعالى اى لعظيم
شانه وتكميل برهانه فرض فرائض اى اوجب احكاما مقدرة مقطوعة
كالايمان والاسلام واركانه الاربعة فلا تضيعوها بتشديد التحتية
المكسورة ويجوز تخفيفها مع كسر ما قبلها اى لا تتركوها ولا تقصروا فى
ادائها ولازمها ونوافلها وقوموا بها ولا تؤخروها عن اوقاتها الفرض

لغة القطع والتقدير واصطلاحا هو ما يمدح فعله شرعا ويذم تاركه قصداً
مطلقا ويرادفه الواجب وهذا عند الشافعي واما عند ابي حنيفة فالفرض
ما ثبت بدليل قطعي والواجب بدليل ظني قال ابن حجر قد يستنبط
الدلالة لمذهبنا ان الفرض والواجب مترادفان لان النهي عن التضييع
لا يختص بالفرض عنده وهو ما ثبت بدليل ظني فتفريع فلا تضيعوها
على ما قبله ظاهر في شموله للقسمين قلت وهو كذلك عنده فان
الواجب فرض عملا لا اعتقاداً لان الاعتقاد يحتاج الى دليل
قطعي يصلح للاعتماد هذا وعند العارفين هو معرفة الحق التي هي
المقصودة من وجود الخلق كما اشار اليه سبحانه بقوله وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون قال ابن عباس اي ليعرفون والمعرفة ما لها
لا تحصل الا بالمجاهدة وهي تزكية النفس عن ظلمة اخلاقها من الشمائل
وتخليتها عن اوصاف الرذائل وتحليتها بانوار الفضائل كالتوبة والتقوى
والزهد في الدنيا ودوام الطاعة والاستقامة وسائر اخلاق الكرامة
والارتقاء من حال الى حال والتصاعد من مقام الى كمال حتى تنجلي شمس
صفات انوار الجلال وتنجلي طوالع اسرار الجمال ويستولي سلطان
الحقيقة على ممالك الخليقة ويطوي بايدي سطوات الجود سرادقات
الوجود فما بقي الارض ولا السماء ولا الظلمة ولا الضياء وتلاشى العبد في
كعبة العندية ونودي بفناء الفناء من عالم البقاء رفعت القبلة الحسية
وما بقي الا الله فاينما تولوا فثم وجه الله وحد بفتح الحاء وتشديد الدال
اي بين وبين حدوداً اي احكاما اوامر ونواهي وزواجر ولا ينافي
شمولها لما قبلها وما بعدها فان الحكم على الوجه الاعم هو الاتم فيكون تعميما
بعد التخصيص وتخصيصا بعد التعميم مبالغة في قصد التتميم فلا تعتدوها اي لا تتجاوزوها
بل قفوا عندها فان قيل كيف جلد عمر في الخمر ثمانين وانما جلد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه فيه اربعين قلنا قد قال علي كرم الله
وجهه ان ذلك كله سنة ولعل وجهه قوله عليه السلام اقتدوا باللذين من

بعدي

بعدي ابي بكر وعمر ولان الناس اكثروا من الشرب زمن عمر فزاد في
جلدهم تنكيلاً وزجراً فيكون سياسة سنة وقد امرنا بالاقتداء به رضي
الله وهذا لا ينافي قول علي رضي الله عنه لا يموت احد في حدود فنقضي
منه شيئا الا شارب الخمر فانه لو مات وديته وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يسنه فانه محمول على ما اذا مات بسبب زيادة
الضرب على الاربعين فانه مورث للشبهة من حيث ان مرتبة هذه
السنة الرضية دون تلك السنة السنية فهي بمنزلة القطعي و
الاخرى في مرتبة الظني هذا ما ظهر لي في هذا المقام والله اعلم بحقيقة
المرام فاندفع قول شارح فيه اشكال قوي لانه ان هذا سنة فكيف
قال علي اذا مات وديته لانه عليه السلام لم يسنه وان لم يكن سنة
فكيف قال وكل سنة انتهى وقد عرفت محل الفرق بين سنة
وسنة فان من السنن ما يكون بدعة ويجعل سنة كما قال عمر رضي
الله عنه في صلوة التراويح نعمت البدعة فلا يكون في مرتبة السنة
الثابتة عن صاحب النبوة وقال في النهاية هي اي الحدود محارمه التي
قرنها بالذنوب والاثام لانها تفصل بين الحلال والحرام فمنه ما لا
يقرب منه كالفواحش قال تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها ومنه
ما لا يتعدى كالمواريث وتزويج الاربع قال الله تعالى تلك حدود الله
ما منع عن مخالفتها بعد ان قدرها بمقادير مخصوصة وصفات مضبوطة
كتعيين الركعات والاوقات وما وجب اخراجها في الزكوة واتيانها
في الحج بعرفات وسائر المقامات وحدود العقوبات ولما كان العامل بها
متصرفا في حيز الحق واذا تعداه وقع في حيز الباطل فالمنهي هو التعدي
قال فلا تعتدوها اي فلا تتجاوزوها عنها او لا تتجاوزوا ما حد لكم بمخالفة الامر
وموافقة المحظور الا ان الاحوط ان لا يقرب الحد الذي هو الحاجز
بين الحق والباطل لئلا يقع فيه ولذا قال تعالى فلا تقربوها وسياق
الحديث يقتضي تخصيصها بحد الزنى والشرب والسرقة وامثالها من

من الاحكام لئلا يقع نوع تكرار في الكلام ومنه ما ورد حد يعام في الارض
خير من مطر اربعين صباحاً وخبر الطبراني والبزار اني آخذ بحجزكم اتقوا النار
اتقوا الحدود دموا في كلام بعض الصوفية الكرام ان العبد ينقلب في جميع
الاوقات على الحدود واذ لكل عمل حد ولكل وقت حد ولكل حال ومقام
حد فمن تخطاها ولو بشيء قليل فقد ضل سواء السبيل وحرم اشياء كالميتة
والدم ولحم الخنزير ونحوها فلا تنتهكوها اي لا تتناولوها ولا تقربوها وفي
الصحاح انتهاك الحرمة تناولها بما لا يحل وهو عند اهل اللغة العليا متابعة
الشيطان والهوى والاقبال على الدنيا والاعراض عن العقبى والغفلة
عن المولى اذ يجب ان ينقطع المحب عن كل مطلوب وينقطع عما سوى الحق
من كل محبوب ولذا قال من قال مصحوب بحب الهوى يا اهل ودي تفقهوا
لسان وجود في الوجود عجيب، حرام على قلب تعرض للهوى، يكون لغير الله
فيه نصيب، وسكت عن اشياء اي لم يحكم فيها بوجوب او حل او حرمة
ونحوها رحمة لكم مفعول له غير نسيان اي حال كون السكوت عنها نسيان
لاحكامها لا يضل ربي ولا ينسى فلا تبحثوا عنها اي لا تفحصوا عن احوالها
ولا تفتشوا عن احكامها بل احكموا بالبراءة الاصلية والحل في المنافع
والحرمة في المضار في الامور الدينية والدنيوية ثم النهي يحتمل اختصاصه
بزمانه عليه السلام لقوله تعالى لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان
تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الآية وذلك لان السؤال قد يكون
سبباً لنزول تشديد الحال بايجاب او تحريم في الحال ولذا قال صلى
الله عليه وسلم لمن سأله اجب الحج في العمر مرة او في كل سنة لو قلت نعم لوجبت
ولما استطعتم وللحديث ان اعظم المسلمين على المسلمين جرماً من سأل عن شيء
لم يحرم فحرم لاجل مسألته فقد دل على ان من اشياء باقية على اصل الاباحة
وقد تعرض لها التحريم بالواسطة وقال بعضهم دل على ان من اشياء لم
يذكر احكامها ولا احكام لها ولذا توقف بعض العلماء في حكم بعض الاشياء
ويحتمل بقاؤه على عمومه لان كثرة البحث والسؤال عما لم يذكر في الواجبات ولا في

المحرمات

المحرمات قد توهم اعتقاد ايجابه او تحريمه وقد صح هلك المتنطعون قالها
ثلاثاً والمتنطع الباحث عما لا يعنيه وقد سبق ان من حسن اسلام المرء تركه
ما لا يعنيه ومن ثمة قال ابن مسعود اياكم والتنطع اياكم والتعمق وعليكم
بالعتيق يعني ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم وفيه دليل على انه لا حكم
قبل ورود الشرع قيل وهو الاصح وقيل الاصل الحظر ونسب
الى ابي حنيفة والشافعي واكثر المتكلمين وقيل الاباحة وهو الاظهر
لقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً وقد خص منه ما فيه المضرة
شرعاً وقد حكى بعضهم الاجماع على ذلك ثم اعلم ان الله تعالى تجلى لعامة
عباده بافعاله والآثار المنبثة في ارضه وسمائه ولخواص اصفيائه
بصفاته العظمى ولاعظم انبيائه بذاته وحقائق صفاته الحسنى وخصه
بذلك دون غيره من زمانه رحمة لهم غير نسيان لما لهم اذ ما قام عظيم
عند عظمته الا كل وزل وفي جنب عزته ذل وقل ولا استقام كبير
دون كبريائه الا هام وخام كما في الحديث القدسي والكلام الانسي
لن يراني حي الا مات ولا يابس الا تدهده ولا رطب الا تفرق وانما
يراني اهل الجنة الذين لا تموت اعينهم ولا تبلى اجسادهم فلذا قال فلا
تبحثوا عنها اي لا تتفكروا فيها فان الباب الى وصول معرفة كنه الذات
مردود والطريق الى معرفة كنه الصفات مسدود قال تعالى ولا يحيطون
به علماً ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ففيه الجمع بين التشبيه والتنزيه
وقال بعض العارفين ما خطر ببالك فالله وراء ذلك وفي الحديث
تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذات الله العجز عن درك الادراك
ادراك والبحث عن سر ذات الرب اشراك حديث حسن وصححه
ابن الصلاح وحسنه ايضاً الحافظ ابو بكر بن السمعاني في اماليه رواه
الدارقطني وغيره كالبزار واسناده صالح والحاكم وصححه ولفظهما
عن ابي الدرداء ما احل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت
عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته فان الله لم يكن لينسى شيئاً ثم تلا

هذه الآية وما كان ربك نسيا ومن رغم وقفه على ابي ثعلبة فقد ابعد ولذا
قال الدارقطني الاشبه بالصواب المرفوع وهو الاشهر وكابي نعيم ولفظه
عن ابي الدرداء يرفعه ما احل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام
وما سكت عنه عافية فاقبلوا من الله عافيته وفي رواية انه قال اتركوني
ما تركتكم فاذا حدثتكم فخذوا عني فانما اهلك الذين من قبلكم كثرة سؤالهم
واختلافهم على انبيائهم وان الله سبحانه لما ارسل رسوله وانزل عليه
كتابه وامره بتبليغه الى الامة قال صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك
وتعالى امركم باشياء فامتثلوها ونهاكم عن اشياء فاجتنبوها وسكت
لكم عن اشياء رحمة منه فلا تسألوها وذلك كله للرفق بالخلق ولذا كان
قوم لا يجوز سؤال العلماء في نازلة الا بعد وقوعها وتمسك الظاهرية
بهذا الحديث للاقتصار على النصوص الظاهرة ورد القياس بانواعها
الا الجلي لان القياس وهو الحاق المسكوت عنه بالمنطوق لحكم في حكم
البحث عنه فيكون مردودا عملا بقوله عليه السلام كل عمل ليس عليه امرنا
فهو رد ورد عليهم بان هذا الاستدلال ظني ودليل العمل بالقياس
قطعي لكن قال الامام حجة الاسلام السكوت عما تكلم فيه السلف
جفاء والكلام فيما سكتوا عنه عناء. الحديث الحادي والثلثون
عن ابي العباس سهل بن سعد الساعدي الانصاري كما في نسخة
كان اسمه حزنا فسماه النبي صلى الله عليه وسلم سهلا وهو اخر صحابي
مات بالمدينة سنة احدى وتسعين وهو ابن مائة سنة وقد
احصن سبعين امراة روي له مائة حديث وثمانية وثمانون
حديثا رضي الله عنه كان الاولى ان يقال رضي الله عنهما كما في
نسخة لان اباه صحابي ايضا قال جاء رجل الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله دلني على عمل اي ارشدني الى عمل جامع
الفضائل مانع عن الرذائل اذا عملته احبني الله بارادة الرحمة والمثوبة
واحبني الناس بارادة المنفعة والشفقة والجملة الشرطية صفة عمل

والرواية

والرواية في احبني بفتح التحتية ويجوز اسكانها فقال ازهد في الدنيا
اعرض عنها ولا تبال باقبالها وادبارها ولا تتفرق فيها الا بما يعنيك
ويعنيك على التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ومن اشعار الامام
الشافعي ٭ ايا نفس يكفيك طول الحياة ٭ اذا ما قنعت ورب الفلق
رغيف بقوت بنجح يابس ٭ وماء روي ولبس خلق ٭ وحفش تكنك
جدرانه ٭ فما ذا القناء وما ذا القلق ٭ والدنيا عبارة عن الاعيان
الثابتة وهي الارض وما عليها من المواليد الثلاثة وهي الجمادات
والنباتات والحيوانات مما للانسان فيها حظ ولذة مالية او جاهية ولم
في حصول حاشغل لحظة او لحظة غيره فيندرج فيه الحرف والصناعات والزهد
عبارة عن عزوف النفس عن الدنيا مع القدرة عليها لاجل الآخرة
خوفا من النار او طمعا في الجنة او ترفعا عن الالتفات الى ما سوى
الحق ولا يكون ذلك الا بعد انشراح الصدر بنور اليقين ولا يتصور
ذلك ممن ليس له مال ولا جاه وثمرة القناعة من الدنيا بقدر الضرورة
من زاد طريق العقبى وهو مطعم يدفع الجوع وملبس يستر العورة ومسكن
يصونه الحر والبرد واثاث يحتاج اليه على ما ذكره الامام حجة الاسلام وفي
المنازل ما حاصله من المرام ان الزهد اسقاط الرغبة في الشيء عنه بالكلية
وهو على ثلاث مراتب الزهد عن في الشبهة بالحذر عن معتبة الحق عليه
ثم الزهد فيما زاد على بلاغ المعاد من القوت باغتنام التفرغ الى عمارة
الوقت بالاشتغال بالمراقبة ثم الزهد في الزهد باستحقار ما زهدت
فيه بالنسبة الى عظمة الرب واستواء الزهد وعدمه عنده والذهاب
عنه الكتاب بتركها ناظرا بعين الحقيقة الى وحدانية الفاعل الحق وقد
فيشاهد تصرف الله في العطاء والمنع والاخذ والترك انتهى وعن
الامام احمد بن حنبل انه قال الزهد على ثلاثة اوجه ترك الحرام وهو زهد
العوام وترك فضول الحلال وهو زهد الخواص وترك كل ما هو
شاغل عن الله وهو زهد العارفين وتوضيحه ان الزهد هو الاعراض

عن الشيء لاستصغاره وارتفاع الهمة عنه لاستحقاره مأخوذ من قولهم شيء
زهيد اي قليل وفي خبر انك لزهيد وفي اخر افضل الناس مؤمن مزهد
اي قليل المال وهو باعتبار الحكم انواع احدها الزهد في الحرام وهو
الزهد الواجب على عامة الانام والثاني الزهد في الشبهة والاشبه
وجوبه لانه وسيلة الى اتقاء الوقوع في الحرام وقد قال عليه السلام
من وقع في الشبهات وقع في الحرام واجتناب الحرام واجب الثالث
الزهد فيما عدا الضرورة من المباحات وهو المراد من هذا الحديث
ظاهرا وهو زهد الخواص العارفين بالله تعالى الزهد فيما سوى الله
عز وجل من دنيا وعقبى فلا قصد لصاحب هذا الزهد الا القرب
من المولى وهو زهد المقربين هذا وقد قال الله تعالى قل متاع الدنيا
قليل والاخرة خير لمن اتقى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا وقد روي عن بعض
السلف انه قال لو كانت الدنيا لؤلؤة تفنى والاخرة خزفة تبقى لكان
ينبغي للعاقل ان يؤثر ما يبقى على ما يفنى فكيف والامر بالعكس لان
الخسيس هو الفاني والنفيس هو الباقي فما لنا لا نعقل ما يراد بنا
وفي حديث رواه الترمذي وابن ماجه مرفوعا الزهادة في الدنيا ليست
بتحريم الحلال ولا باضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا ان لا تكون
بما في يديك اوثق مما في يد الله وان تكون في ثواب المصيبة اذا
انت اصبت بها ارغب فيها لو انها ابقيت لك ورواه احمد موقوفا
عن ابي مسلم الخولاني بزيادة وان يكون مادحك وذامك في الحق
سواء وقال الفضيل اصل الزهد الرضى عن الله وهو موجب للرضاء
بالقضاء والاعراض عن دار الفناء والاقبال على دار البقاء
واللقاء عن علي كرم الله وجهه من زهد في الدنيا هانت عليه المصائب
وقيل ان دنيا كل انسان بحسب حاله حتى ان كلام الفقيه بين
طلبته وكلام الشيخ بين تلامذته دنيا بالنسبة اليهما الا اذا قصدا
به وجه الله تعالى ولذا قيل اخر ما يخرج من راس الصديقين محبة الجاه

اى

اي الاخروي وقيل الزهد في الرياسة اشد منه في الذهب والفضة
وقال سفيان الثوري الزهد في الدنيا قصر الامل ليس باكل الغليظ ولا
بلبس العباء ومن دعائه اللهم زهدنا في الدنيا ووسع علينا منها ولا
تزوها عنا فترغبنا فيها وفي حديث مرسل الضحاك رواه ابن ابي
الدنيا قيل يا رسول الله من ازهد الناس فقال من لم ينس القبر والبلى
وترك زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد
نفسه من الموتى وقال ابو عثمان الزهد في الدنيا ان تتركها ولا تبالي
من اخذها وقال الجنيد سمعت السري يقول ان الله سلب الدنيا عن
اوليائه وحماها عن اصفيائه واخرجها من قلوب احبائه لانه لم يرضها
الا لاعدائه يعني لقوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة الاية وقيل
الزهد مستفاد من قوله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم فالزاهد
لا يفرح من الدنيا بموجود ولا يتأسف عليها في مفقود والتحقيق ان
المحب للدنيا الذي ذمه الله تعالى انما هو الذي يلهيه الاعراض الفانية
عن الاغراض الباقية ويشغله حيوته العاجلة عن السعي للدار الاجلة فكلا
من كانت الدنيا معينة له على سلوك طريق العقبى وسبيل محبة المولى
وقد جمع ابو سليمان الداراني انواع الزهد كلها في كلمة فقال هو
ترك ما شغلك عن الله ثم اعلم ان الذم الوارد في الكتاب والسنة
للدنيا ليس راجعا الى زمانها وهو الليل والنهار فان الله تعالى جعلهما خلفة
لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا ولا الى مكانها وهو الارض لان الله تعالى
جعلها لنا مهادا ولا لما اودع الله فيها لانه كله من نعمه سبحانه قال تعالى
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وانما هو راجع الى الاشتغال بما
فيها مما خلقنا لاجله من عبادته تعالى كما قال وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون وصح عن ابن عمر لا يصيب احد من الدنيا شيئا الا نقص
من درجاته عند الله تعالى وان كان عليه كريما ويؤيده حديث رب
كاسية في الدنيا عارية في العقبى وروى الترمذي ان الله اذا احب

عبدا حماه الدنيا كما يظل احدكم يحمي سقيمه الماء، ورواه الحاكم ولفظه ان
الله ليحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون
عليه وروى مسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر اي بالنسبة الى ما
اعد الله لهما من النعيم المقيم والعذاب الاليم ومقتضى التشبيه ان المؤمن
يكرهها والكافر يحبها فمن احبها فليس بمؤمن كامل لعدم زهده من اهل
نقل المحاسبي انهم كانوا ازهد وزع الحيوة فيها وهذا لا يصح الا للموفق
قد لاح له من عالم الاخرة لائح فاشتاق الى لقاء مولاه وغلب شيطانه
وهواه فعزفت نفسه عن الدنيا وتقمص بلباس التقوى فمثل هذا يكون
الدنيا له سجنا لمقامه فيها هما وحزنا لكن المؤمن صابر على حكم الله وراض
بما قدره وقضاه الى منتهى اجله في هذا الباب وقد قال تعالى لكل اجل
كتاب واختلف هل طلب الموت افضل اشتياقا الى اللقاء وطلب
البقاء وطلب الحيوة لزيادة الطاعة والعبادة والدعاء والثناء والافضل
التسليم في مقام الرضا، كما ورد في الدعاء، اللهم احيني ما كانت الحيوة
خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي واجعل الحيوة زيادة لي في كل
خير واجعل الموت راحة لي من كل شر وقد قال تعالى ليبلوهم ايهم احسن
عملا قال بعض السلف اي من هو ازهد في الدنيا وارغب في العقبى و
قال بعضهم اكثر ذكرا للموت والبلى وعن ابن مسعود قال دخلت
على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع وقد اثر الحصير في ظهره فقلت
لو نمت يا رسول الله على ما هو الين من هذا فقال ما لي وللدنيا انما مثلي
ومثل الدنيا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها وعن عمر رض انه
دخل يوما على رسول الله عليه السلام وهو على حصير قد اثر في جنبه فبكى
عمر فقال ما يبكيك يا عمر قال ذكرت كسرى وقيصر عدوي الله في الحرير
والعز وانت رسول الله وخيرته من خلقه على هذا فقال افي شك انت
يا عمر اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الاخرة وفي خبر احمد والنسائي
حبب الي من دنياكم النساء والطيب والطعام فاصاب من النساء والطيب

ولم يصب

ولم يصب من الطعام وروى الحاكم وصححه انه صلى الله عليه وسلم قال نعمت
الدنيا لمن تزود منها لاخرته حتى يرضي ربه وبئست الدنيا لمن صدت به
عن آخرته وقصرت به عن رضى ربه وفي حديث حارثة عزفت نفسي عن
الدنيا فاستوى عندي حجرها ومدرها وقال الفضيل لو ان الدنيا بحذافيرها
عرضت علي حلالا لا احاسب بها لتقذرتها كما تقذر الجيفة وقد ورد مرفوعا
ان الله لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا انه منذ خلقها لم ينظر اليها وروى
البزار عن ابي الدرداء قال مر النبي عليه السلام بدمنة قوم فيها سخلة ميتة قال
ما لاهلها فيها حاجة قالوا يا نبي الله لو كان لاهلها فيها حاجة ما نبذوها قال فوالله
للدنيا اهون على الله من هذه السخلة على اهلها وقد ورد ان الدنيا مزبلة فلا
يدفن احدكم قلبه في المزبلة وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له ذات يوم يا ابا هريرة الا اريك الدنيا جميعا قال بلى يا رسول الله
قال فاخذ بيدي واتى واديا من اودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس
الدنيا وعظام الدواب وعذرات وخرق فقال لهم ترون هذه الرؤس
كانت تحرص حرصكم وتامل املكم ثم قد عادت عظاما تلوح ثم هي كائنة
رمادا ورفاتا وهذه عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها الافاق
وهذه الخرق رياشهم ولباسهم وهذه العذرات الوان اطعمتهم قذفوها
في البطون فعادت يتحاماها الناس فمن كان باكيا فليبك على هذه
فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا وقد روي ان ابا بكر رض كان يكثر في خطبته
ما للمرء والتكبر يدخل احدكم الخلاء كرتين ويغسل الخراء مرتين اما يرى
ما يخرج من انفه وحلقه وما يجتمع في امعائه اما يعرف المرء قدره قال حتى
كان يتقذر الينا انفسنا وقد روي في حديث معناه ان المرء اذا قعد
في خلوته بعث اليه ملك يعكس رقبته حتى يرى ما يخرج من مقعدته
ليكون له نظر عبرة الى عاقبة لذته وقد قال بعض السلف انظروا الى
الناس في اعيادهم هل ترون فيها الا خرقة تبلى وجسدا ياكله التراب
في دار البلوى والحاصل ان كمال الزهد هو ان يتنفر نفس السالك

عن الدنيا وما فيها من اللذات والشهوات كما تعاف النفس السالمة عن
الآفات مشاهدة القاذورات ومقابلة النجاسات وجاء في الحديث
الحسن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم او متعلم وفي
رواية الا ما ابتغي به وجه الله وفي خبر الحاكم ما الدنيا في الآخرة الا كما
اذا ادخل احدكم اصبعه في اليم فما خرج منه فهو الدنيا يحبك الله مجزوم
على جواب الامر او مرفوع على الاستئناف كما ذكره شارح والظاهر الاول
وكذا الرواية على ما صرح به الكازروني وفيه اشارة الى ان الزهد من المقامات
العلية والحالات البهية لانه جعل سببا لمحبته تعالى ومفهوم ان محبة
الدنيا سبب لبغضه سبحانه فانه يحجب من الطاعة ومحبة الدنيا ومحبة
المولى لا يجتمعان لقوله عليه السلام كما رواه احمد وابن حبان من احب آخرته
اضر بدنياه ومن احب دنياه اضر بآخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى وشبههما
ايضا بالضرتين وبالكفتين ولان حب الدنيا رأس كل خطيئة وبغضها
رأس كل عبادة ولان القلب بيت الرب وهو اغنى الشركاء لان له
العظمة والكبرياء والمراد بذم الدنيا محبتها المانعة من سلوك طريق المولى
ولهذا قال عليه السلام نعم المال الصالح للرجل الصالح يصل به رحما ويصنع به
محمودا ولذا شبه العارف الرومي مال الدنيا بالبحر ولعل ماخذه قوله
تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كماء والسالك كالسفينة فان دخل الماء فيها
اغرقها وان كان ما حولها ارسبها واجراها وجاء في اثر اذا كان يوم
القيمة جمع الله الذهب والفضة كالجبلين العظيمين ثم يقول هذا
مالنا عاد الينا سعد به قوم وشقي به آخرون وازهد فيما عند الناس
من المال والجاه يحبك الناس لان من نازع انسانا في محبوبه كرهه
وقلاه ومن لم يعارضه فيه احبه وارتضاه ومن كلام الشافعي ومن يامن
الدنيا فاني أمنتها ، وسيق الي عذبها وعذابها ، فما هي الا جيفة مستحيلة ،
عليها كلاب همهن اجتذابها ، فان تجتنبها كنت سلما لاهلها ، وان تجتذبها
نازعتك كلابها ، وقال بعضهم تركت الدنيا لقلة غنائها وكثرة عنائها وسرعة

فنائها

فنائها وخسة شركائها واخرج الطبراني وغيره خبر ازهد فيما في ايدي الناس
تكن غنيا يغنيك بما في خزائن الرب وقال الحسن لا يزال الرجل كريما على الناس
ما لم يعط ما في ايديهم واذا اعطى فحينئذ يستخفون به ويكرهون حديثه ويبغضونه
وكان عمر رضي الله عنه يقول في خطبته ان الطمع فقر وان الياس غنى وسأل
ابن سلام كعبا بحضرة عمر رضي الله عنهم ما يذهب بالعلم من قلوب العلماء بعد
ان حفظوه وعقلوه وقال يذهبه الطمع وشره النفس وطلب الحاجات
الى الناس وقال اعرابي لاهل البصرة من سيدكم قالوا الحسن قال بم سادكم
قالوا احتاج الناس الى علمه واستغنى هو عن دنياهم فقال ما احسن هذا
وقال ابو ايوب السختياني لا ينبل الرجل حتى يعف عما في ايدي الناس
ويتجاوز عما يكون منهم والمعنى لا يتعلق بحبهم ولا ببغضهم كما قال قائلهم
وما الزهد الا في انقطاع العلائق ، وما الحق الا في وجود الحقائق
وما الحب الا حب من كان قلبه ، عن الخلق مشغول برب الخلائق
ثم المحبة الالهية هي الارادة المثوبة فهي صفة ذاتية او نفس الاثابة
فهي صفة فعلية وقد يكون محبة العبد له سبحانه لما ابداهم واولاهم من
نعمه واحسانه واليه الاشارة في قوله عليه السلام احبوا الله لما يغذوكم به
من نعمه واليه الايماء في قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم
من جوع وآمنهم من خوف ثم لما احسان في الحقيقة الا لله لانه خالق المحسنين
واحسانهم فهو الحقيق بالمحبة دون من سواه وقد ورد جبلت القلوب
على حب من احسن اليها ومن محبته محبة من احبه من نبي وملك وولي ونحوه
فقد ورد في الدعاء اسألك حبك وحب من يحبك وحب ما يقربني
الى حبك ومن محبته محبة طاعته واجتناب معصيته ولقد احسن من قال
من ارباب الحال ، تعصي الاله وانت تظهر حبه ، هذا محال في القياس
بديع ، لو كان حبك صادقا لاطعته ، ان المحب لمن يحب مطيع
ولذا قال سهل التستري المحبة معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وقال
ابو علي الروذباري المحبة الموافقة وقال سمنون المحبة ذهب المحبون

لله بشرف الدنيا والآخرة لانه عليه السلام قال المرء مع من احب فهم مع الله
تعالى ابدا وقال بعض العارفين مساكين اهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا
اطيب ما فيها قيل وما اطيب ما فيها قال محبة الله والانس به والشوق
الى لقائه والتنعم بذكره وطاعته وشكره وقال آخر ليمر بي اوقات
اقول فيها ان كان اهل الجنة في مثلها انهم لفي عيش طيب وقال سمنون
المحب ، وكان فؤادي خاليا قبل حبكم ، وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح ، فلما
دعا قلبي هواك اجابه ، فلست اراه عن فنائك يبرح ، بليت ببعد منك
ان كنت كاذبا ، وان كنت في الدنيا بغيرك افرح ، وان كان شيء في البلاد
باسرها ، اذا غبت عن عيني لعيني يملح ، وان شئت واصلني وان شئت
لا تقبل ، فلست ارى قلبي لغيرك يصلح ، وله ايضا ، وليس لي في سواك
حظ ، فكيف ما شئت فاختبرني ، وقال الاستاذ ابو القاسم القشيري
في رسالته ما حاصله ان المحبة منه تعالى للعبد ارادته لانعام مخصوص عليه
كما ان رحمته ارادته مطلق الانعام فالمحبة اخص من الرحمة وهي اخص
من الارادة فارادته تعالى وان كانت صفة واحدة الا انها تتفاوت
بحسب تفاوت متعلقاتها فعند تعلقها بالعقوبة تسمى غضبا وبعموم
النعمة رحمة وبخصوصها محبة ومن العبد له تعالى حالة يجدها في قلبه تلطف
عن العبارة وتلطف عن الاشارة وقد يحمله تلك الحالة على التعظيم
وايثار رضاه وقلة الصبر عنه مع الاستيناس بدوام ذكره له بقلبه
وليست ميلا ولا اختلاطا كيف وحقيقة الصمدية مقدسة عن اللحوق
والاحاطة والمحب بوصف الاستهلاك في المحبوب اولى منه بوصف
الاختلاط وليس لهما وصف ولا حد اوضح ولا اقرب للفهم من لفظة
المحبة انتهى ولما نقل القرطبي هذا وذكر معه عن بعض ارباب القلوب
في محبة العبد لله سبحانه حيث فسرها بانها الميل الدائم بالقلب الهائم
قال فهؤلاء قد صرحوا بان محبة العبد لله ميل وتوقان وحال يجدها
في نفسه من نوع ما يجده في محبوباته المعتادة له وهو صحيح لان النفس

مجبولة

مجبولة على الميل الى الحسن الجمال والكمال فبقدر ما ينكشف من ذلك يكون
الميل والتعلق هنالك حتى ربما يفضي الى الاستيلاء وذلك المعنى عليه
بحيث لا يصبر عنه ولا يشتغل بغيره وذلك الحسن اما حسي كالصورة
الجميلة الانسانية المشتهاة لنيل اللذة الجسمانية وهذا قطعي الاستحالة
في الذات الصمدانية واما معنوي كمن اتصف بالعلم والحلم والكرم وحسن
الخلق فهذا تميل اليه النفوس الفاضلة والقلوب الكاملة ميلا عظيما فترتاح
لذكره فتهتز لسماع احواله وتتشوق لمشاهدته ملتذة بمطالعة ملاحظة
لذة روحانية لا جسمانية كما تجد عند ذكر الانبياء والاولياء والعلماء
صورتهم الحسية اليه والشهداء والاسخياء من الميل والرقة الانسية وان
لم تعرف صورتهم الحسية وهذا الكلام لا يرده منصف ولا ينكره الا متعسف
ويتضاعف ذلك الميل بوصول بر واحسان من المتصف بذلك
الجمال المعنوي الى ان يستغرق فيه ويحل بباله ويذهل عن جميع اشغاله
واحواله واذا كان هذا في حق من جماله وكماله مشوب بنقصه وزواله فمن
لا يعرض لكماله زوال مع انعامه الذي لا يحصى اولى بذلك الميل واحق
بذلك الحب وليس ذلك الا لله تعالى وحده ثم من خصه بالكمال المطلق
والجمال المحقق على سائر من خلق وهو محمد صلى الله عليه وسلم فمن تحقق
بذلك كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما فشأنه حب لقائهما والتصف
بما يرضيهما واجتنب ما يسخطهما فاقبل عليهما واعرض عما سواهما الا
باذنهما انتهى وقد قيل من سمى باسم الزهد سمي بالف اسم ممدوح مدائح
مالزاهد من راحة القلب والقالب في الدنيا والآخرة فان الزهاد هم
الملوك على الحقيقة كما قال قائلهم ، ارى الزهاد في روح وراحة ،
قلوبهم عن الدنيا مزاحة ، اذا ابصرتهم ابصرت قوما ، ملوك
الارض سيمتهم سماحة ، وهم العقلاء لايثارهم البقاء على الفناء
وكم بين من شغله الله وبين من شغله هواه تشاغل قوم بدنياهم
وقوم تخلوا بمولاهم فالزمهم باب مرضاته وعن سائر الناس

اغنياهم حديث حسن رواه ابن ماجة وهو ابو عبد الله محمد بن يزيد
القزويني صاحب السنن وماجه امه ولد سنة تسع ومائتين ومات
سنة ثلاث وسبعين ومائتين وغيره كالعقيلي وابن عدي وابن ابي
حاتم والخطيب باسانيد حسنة اي لغيرها لا لذاتها لان في سنده من
طعن فيه جماعة من المحدثين كاحمد وابن معين وابي زرعة وابي حاتم
وابن عدي الا ان ابن حبان ذكره في الثقات فالحسن لتعدد طرقه في
الروايات وفي الجامع الصغير رواه ابن ماجه والطبراني في الكبير والحاكم
في مستدركه والبيهقي في شعبه كلهم عن سهل بن سعد هذا وفي رواية مرسلة
ان رجلا قال يا رسول الله دلني على عمل يحبني الله عليه ويحبني الناس
فقال اما العمل الذي يحبك الله عليه فالزهد في الدنيا واما العمل الذي
يحبك الناس عليه فانظر الى هذا الحطام فاطرحه اليهم واخرجه ابن ابي
الدنيا ايضا ونقل غير واحد من الشراح عن الاربعين الودعانية زاد
بعض محققيهم قوله الموضوعة خبر ارغب فيما عند الله يحبك الله
وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس ان الراغب في الدنيا
يتعب قلبه وبدنه في الدنيا والآخرة ليجيئن اقوام يوم القيمة بحسنات
كامثال الجبال فيؤمر بهم الى النار فقيل يا نبي الله اهم مصلون قال
كانوا يصلون ويصومون ويأخذون وهنا من الليل لكنهم كانوا اذا
لاح لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه انتهى ولا يخفى انه صحيح المعنى وان كان
ضعيف المبنى ونقل بعضهم خبر ايها الناس اتقوا الله حق تقاته واسعوا
في مرضاته وايقنوا من الدنيا بالفناء ومن الآخرة بالبقاء واعملوا لما
بعد الموت فكانكم بالدنيا ولم تكن وبالآخرة لم تزل ان من في الدنيا
ضيف وما فيه عارية وان الضيف مرتحل والعارية مردودة الدنيا
عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر والدنيا مبغضة لاولياء الله تعالى
محببة لاهلها فمن شاركهم في محبوبهم ابغضوه وروى احمد والترمذي
وابن ماجه من كانت الآخرة همه جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه واتته

الدنيا

الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا همه شتت الله شمله وجعل فقره
بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما قدر له وفي الدعاء الوارد اللهم لا
تجعل الدنيا اكبر همنا ولا مبلغ علمنا وروى الترمذي لو كانت الدنيا
تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء واختلف
العلماء في ان طلبها لفعل الخير افضل او تركها من اصلها الكل والثاني
اشهر واظهر لقول عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر بها تركك للدنيا
ابر ويؤيده قوله تعالى في ذم من يريد الدنيا لتحصيل البر في العقبى منكم
من يريد الآخرة قال ابن مسعود رض ما كنت اظن ان احدا من الصحابة
يحب الدنيا حتى نزلت هذه الآية ولما قرئت هذه الآية عند الشبلي قال
آه اين من يريد الله وقد اجيبت بلسان العبارة والاشارة في الجمالين
حاشية الجلالين ثم اعلم ان الزهد على عزوف النفس عن الدنيا
وشهواتها ولهواتها وهذا امر يتعلق بالقلب ولا يطلع عليه غير الرب
ولذا قال ابو سليمان لا تشهد لاحد بالزهد لانه في القلب وقيل لبعض
السلف من معه مال هل هو زاهد فقال نعم ان لم يفرح بزيادته ولم
يحزن بنقصه والاظهر ان الزهد يتصور ممن ليس له مال ولا جاه
لان الزهد حال وارد من توفيق الرب حال في القلب يمنعه عن طلب
دنياه ومتابعة هواه سواء وجد في حال الفقد او عرض بعد الوجد
نعم من علامة الزهد سبق القدرة على وجود الدنيا ولذا لما قيل
لابن المبارك يا زاهد قال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذا جاءته الدنيا
راغمة فتركها اما انا ففيما ذا زهدت انتهى ولا يخفى ان هذا يحتمل ان
يكون منه تواضعا وانصافا في المقال او يريد به كتمان السر واخفاء الحال
او يشير الى ان الوجد بشرط الكمال كما حصل لابراهيم ابن ادهم ترك
الجاه والمال ثم الوجود اما حقيقي واما فرضي وتقديري بحيث انه لو
عرض عليه الجاه والمال لما مال عن الحال بالانتقال الى مقام النقص
والزوال واما ما نقله ابن حجر عن كثير من السلف من ان عمر بن عبد العزيز

كان ازهد من اويس فلعله محمول على ما قررناه والا فعمر بن عبد العزيز اختار
الجاه الذي هو وسيلة الى المال ولذا هجره بعد توليته كثير من العلماء والصلحاء
من ارباب الكمال واويس قد بالغ في قلة المال وخمول الحال حيث
اختار رعي الجمال في طريق الحج وكان عمر بن الخطاب رض كل سنة
ينشد عنه ولم يأت الخبر منه الى ان دل عليه انه في نواحي عرفات فذهب
هو وعلي رضي الله عنهما فرأياه يصلي والجمال ترعى فاجتمعا معه وتعرفا به
وطلبا منه الدعاء بالمغفرة وعرض عمر النفقة والكسوة فاباهما ثم اختفى
عن الناس خوفا من الشهرة والاستيناس فهو في قرنه لا شك من ازهد
الزاهدين ولذا ورد في حقه انه خير التابعين هذا وقد قيل عيسى
عليه السلام كان ازهد الانبياء وانه يجوز خصلة في المفضول لا يوجد مثلها
في الفاضل وفيه بحث لان نبينا صلى الله عليه وسلم عرضت عليه الدنيا
بحذافيرها فلم يلتفت اليها وما زاغ بصره وما طغى لديها ففي كتاب
الشفاء وغيره ان جبرئيل عليه السلام قال له ان الله يقول لك اتحب
ان اجعل لك هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فاطرق
ساعة ثم قال يا جبرائيل مالي وللدنيا الدنيا دار من لا دار له ومال
من لا مال له وقد يجمعها من لا عقل له فقال له جبرئيل ثبتك الله بالقول
الثابت وفي رواية اخرى اريد ان اجوع يوما فاصبر واشبع يوما فاشكر
وذلك لانه كان مظهر الكمال الجامع بين مطالعة الجلال والجمال معتدلا
في الاحوال متوسطا بين الخوف والرجاء كما يقتضيه مقام الرضاء بالقضاء
وعيسى عليه السلام كان الغالب عليه الخوف ولذا كان يمتنع عن كثير من متعلقات
الحلال وايضا كان مبعوثا الى جمع محصور من ارباب الجاه والمال فاظهر
كمال الزهد فيهم ليقتدوا به ولذا ظهرت الرهبانية فيهم لكنهم ابتدعوها
وما رعوها حق رعايتها واما نبينا صلى الله عليه وسلم فكان مبعوثا للعامة كلهم
وهو رحمة للعالمين فقد امر الحق له ان يقول للخلق قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله فاختار طريقا جامعا ومسلكا واسعا

يسع

يسع الخلق كلهم ان يتبعوه صغيرهم وكبيرهم وضعيفهم وقويهم وغنيهم
وفقيرهم وملوكهم وصعلوكهم فتارة كان يأكل خبز الشعير اليابس و
اللحم الردي واخرى يأكل الرطب الجني والعيش الطري وتارة يلبس
الثوب الفاخر واخرى يلبس الكساء الخلق الظاهر وتارة يرقد على
السرير فراش الثياب وتارة يضطجع على الحصير او التراب وتارة
يلبس القلنسوة مع العمامة واخرى يكتفي بالقلنسوة وتارة يجعل
لها عذبة بغير علاقة وتارة ركب الخيل والابل واخرى ركب الحمار
وربما يردف وتارة يمشي منفردا واخرى مع جماعة وتارة يصوم
حتى يظن انه لا يفطر واخرى يفطر حتى يظن انه لا يصوم وكذا في الصلوة
الليل تارة يصلي حتى يظن انه لا يرقد واخرى ينام حتى يظن انه لا
يصلي ومع هذا ما احيى الليل كله وربما رقد عن صلوة التهجد فاداها
في النهار وما ذلك كله الا تسهيلا للامة وتهوينا للمتابعة لجميع
الامة وتارة يعطي عطاء الملوك استغناء بغنى الحق واخرى يقترض
من يهودي اظهارا للافتقار وتواضعا مع الخلق كل ذلك لتكون
شريعة سهلة وطريقة سمحة لا فيها عوج ولا حرج ولذا قال عليه السلام
ليذكرن الله اقوام في الدنيا على الممدودة يدخلهم الدرجات
العلى وفيه دليل على ان الملوك والامراء ومن يجري مجراهم من الاغنياء
لا يمنعهم حشمتهم ونعمتهم عن ذكر الله تعالى وهم في ذلك ماجورون
مثابون يدخلهم الله برحمته الجنات العلى ثم نبههم على ان الزهد في
الدنيا انفع لهم في مراتب العقبى حيث قال اجوعكم في الدنيا اشبعكم
في الاخرى ونحو ذلك مما فيه بيان الطريق الاولى والاحرى مع
ان شرط صحة التنعم استعمال المباحات دون المحرمات والشبهات كما
قال تعالى من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق
اي المستلذات من الحلالات هذا كله يدل على ان الفقير الصابر
افضل من الغني الشاكر ومن خالفه فهو المكابر وان كان من الاكابر

والله سبحانه اعلم بالظواهر والسرائر وانما اطنبنا الكلام في هذا
المقام لان الزهد في الدنيا امر مهم من انواع المرام ويحتاج اليه
الخاص والعام في تفاصيل من الاحكام ولنختم بالدعاء الوارد عن
سيد الانام وهو اللهم فكما رزقتني ما احب فاجعله قوة لي فيما تحب
وما زويت عني ما احب فاجعله فراغا فيما تحب رواه الترمذي

الحديث الثاني والثلثون عن ابي سعيد سعد بن مالك مالك
بن سنان بكسر اوله الخدري بضم المعجمة وسكون الدال المهملة نسبة
الى بني خدرة قبيلة من الانصار رضي الله عنه ينبغي ان يقال عنهما
كما في نسخة صحيحة لان اباه صحابي ايضا من شهداء احد وابو سعيد هذا
من نجباء الانصار وكبرائهم ومن حفاظ الصحابة وعلمائهم روى له
الف ومائة وسبعون حديثا وقد روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين
توفي بالمدينة سنة اربع وسبعين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا ضرر بفتحتين ولا ضرار بالبناء على الفتح فيهما رواية ويجوز
خمسة اوجه دراية زيد في بعض النسخ في الاسلام قال المصر لا ضرر
بفتح الضاد المعجمة ولا ضرار بكسر الضاد المعجمة انتهى فهما مصدران
من ضره وضاره وهو خلاف النفع على ما في الصحاح وقال صاحب
النهاية الضرر والضر ضد النفع اي لا يضر الرجل اخاه فينقص شيئا
من حقه والضرار فعال منه اي لا يجازيه على ضراره بادخال الضرر عليه
فالضرر فعل الضرر الواحد والضرار فعل الاثنين او الضرر ابتداء
الفعل والضرار الجزاء عليه وقيل الضرر ما تضر فيه صاحبك وتنتفع
به بعني فالمقابلة للمبالغة وقيل هما بمعنى والتكرير للتاكيد انتهى كلام
النهاية وقيل الضرر ان يضر من لم يضره والضرار ان يضر من يضره
اي ليس من ديننا ان يبتدي احد الضرر وذلك يشمل ضر نفسه
وضر غيره وقيل الضرر الحاق مفسدة بالغير مطلقا والضرار الحاق
مفسدة به على جهة المقابلة اي لقصد كل منهما ضرر صاحبه ويروى

في هذا

في هذا الحديث ولا اضرار بزيادة همزة في اوله وهو مصدر اضر يضر اضرارا
والحق به ضررا فهو بمعنى الضرر وقال ابن الصلاح وهذه الرواية على
السنة كثيرة من الفقهاء والمحدثين ولا صحة لها لكن انتصر لها بعضهم
بانها جاءت في بعض روايات ابن ماجه والدارقطني وفي بعض نسخ
الموطاء وقيل المعنى لا لحوق ضرر شرعا الا لموجب خاص اما التقييد
بالشرع فلان الضرر بحكم القدر الالهي واما استثناء لحوق الضرر بموجب
خاص فلان الحدود والعقوبات ضرر لاحق باهلها وهو مشروع
بالاجماع انتهى وخبر لا محذوف اي في ديننا وشريعتنا والاظهر ان
هذا النفي معناه نهي كقوله تعالى لا ريب والمعنى لا تضروا انفسكم
ولا غيركم ولا تضاروا الناس بمعنى فعلوا معكم الا باذن الشرع
لكم من غير تعد عن الحق منكم كما قال تعالى فان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم
به فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وجزاء سيئة سيئة
مثلها وظاهر الحديث تحريم سائر انواع الضرر الا لدليل لان النكرة
في سياق النفي تعم وانما انتفى الضرر فيما عدا ما استثنى لقوله تعالى يريد
الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر يريد الله ان يخفف عنكم وما جعل
عليكم في الدين من حرج وقوله عم بعثت بالحنيفية السمحاء السهلة ونحو
ذلك من النصوص المصرحة بان وضع هذه الملة على تحصيل النفع و
المصلحة وصح ان دماءكم واموالكم واعراضكم حرام عليكم بعضكم على
بعض وصح ايضا حرم الله من المؤمن دمه وماله وعرضه وان لا يظن
به الا خيرا وكل ما جاء في تحريم الظلم من الكتاب والسنة دليل على تحريم
المضرة وقد جاء فيهما النهي عن المضارة في صور خاصة منها في الوصية
فقد اخرج الترمذي وغيره ان العبد ليعمل بطاعة الله ستين سنة
ثم يحضره الوصية فيضار في الوصية فيدخل النار ثم تلا من بعد وصية
يوصى بها او دين غير مضار الى قوله ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده
يدخله نارا خالدا فيها ومنها في الرجعة قال تعالى ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا

ومنها في العدة قوله تعالى ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ومنها في الرضاع
قال الله تعالى لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده واما قوله عليه السلام
في الخبر الصحيح لا يمنع احدكم جاره ان يضع خشبة في جداره فالظاهر انه
من باب مكارم الاخلاق بمعنى لا ينبغي ان يمنع لانه يجوز له كرها اذ الصحيح
كما اباحه جماعة منهم الشافعي في القديم ورجع عنه في الجديد حيث قال
ليس ذلك الحديث لا ضرر ولا ضرار مع لا يحل مال امرئ مسلم
الا عن طيب نفس وقد ابعد ابن حجر في تجويز رجع الضمير للجار في جداره
يعني جدار نفسه فان مثل هذا الاحتمال لا يخطر ببال اهل الكمال والحاصل
ان مذهب ابي حنيفة والكوفيين عدم الوجوب وقال احمد وابو ثور
واصحاب الحديث بالايجاب لظاهر الحديث والله اعلم بالصواب
واما الصائل ونحوه فمخصوص من عموم هذا الحديث ولانه اراد دفع
ضرره لا قصد ضرره وزبدة المرام في هذا المقام انه ينبغي لسالك
طريق الحقائق ان يباشر الخلائق ويسلك في مصاحبتهم احسن
الطرائق واذا اعتدى عليه احد لا يكافيه واذا اساء اليه مسيء فلا
يقابله بل يتشبث باذيال الكظم والاغماض ويعتصم بحبل الله و
العفو في الاعراض حتى يستعبد القلوب باحسانه ويستميل النفوس
الى امتنانه ويكتسب في الله المحمودة في الشرائع التي هي من افضل
القرب في الذرائع الباعثة للاجتماع في الجوامع لاشتراك الرحمة
الالهية والبركات الشوائع ولذا نقل في عوارف المعارف ان ارتفاع
الاصوات في بيوت العبادات بحسن النيات الطويات يحل ما عقده
الافلاك الدائرات حديث حسن رواه ابن ماجه عن ابن عباس
وعبادة كذا في الجامع الصغير ففي اطلاق المصنف ايهام انه رواه عن ابي
سعيد ولعله وجد له رواية عنه ايضا قيل في اسناديهما ضعف
وانقطاع والدارقطني اي من طريقه ضعيفة عن ابن عباس واخرى
كذلك عن عائشة واخرى عن ابي هريرة لكن مع شك بها وغيرها

كالحاكم

كالحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم والبيهقي من حديث ابي سعيد
والطبراني مرسلا وابن عبد البر من طريق كثير بن عبد الله وكثير هذا صحح
حديثه الترمذي ويقول البخاري وفي بعض احاديثه هو اصح حديث في
الباب وحسن حديثه الحازمي وقال خبر من مراسيل ابن المسيب وكذا
حسنه ابن ابي عاصم مسندا هو ما اتصل اسناده سواء كان مرفوعا او
موقوفا ورواه مالك اي ابن انس اي الاصبحي صاحب المذهب
ولد سنة ثلاث وتسعين وحمل به في البطن ثلاث سنين ومات
بالمدينة سنة تسع وسبعين ومائة وله اربع وثمانون او تسعون سنة
في الموطا بالضم ففتح فتشديد مهملة مفتوحة فهمزة او الف كتاب
مشهور عن عمرو بن يحيى عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
مرسلا وهو ان يقول تابعي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كذا او فعل كذا وهو اصطلاح المحدثين او عدل غير صحابي وهو اختيار
الاصوليين فقيل يحتج به مطلقا وهو مذهبنا وعليه الجمهور كما ذكره
الامام ابن الهمام وقيل يرد مطلقا وقال الشافعي يقبل ان اسنده
غيره او يرسله آخر وعلم ان شيوخهما مختلفة او ان يعضده قول صحابي
او يعلم انه لا يرسل الا برواية عن عدل وقيل ان كان الراوي من ائمة
نقل الحديث قبل والا فلا وهذا هو المختار على ما ذكره بعضهم فاسقط اي
مالك او يحيى ابا سعيد قال ابن عبد البر لم يختلف عن مالك في ارساله
ولا يسند من وجه صحيح يعني عنه مطلقا والحاصل وله طرق اي للحديث
اي لحديث مالك اسانيد كثيرة ضعيفة يقوى بفتح البا والواو من
المجرد وفي نسخة يتقوى بعضها ببعض وفي اخرى يقوي بعضها بعضا من
التقوي قال ابن الصلاح اسنده الدارقطني من وجوه متصلا وقال
حديث حسن وقال مرة اسنده من وجوه ومجموعها يقويه ويحسنه وقد
تقبله جماهير اهل العلم واحتجوا به فقد قال ابو داود الفقه يدور على خمسة
احاديث وعد هذا منها فهو عنده غير ضعيف انتهى ومن استدل

به احمد قال قال النبي عليه السلام لا ضرر ولا ضرار بل اسنده السيوطي
في جامعه الصغير الى مسند احمد عن ابن عباس مرفوعا والحاصل
ان طرق هذا الحديث كثيرة وقد قيل في بعضها انه صحيح فلا اقل من
ان يكون حسنا لغيره فيجوز الاحتجاج به بحيث الضم بعضها الى البعض فان
الكثرة تفيد القوة حتى قال الشافعي على ما نقل عنه ابن حجر في تلبيس جسين
اذا انضمت احديهما الى الاخرى صارتا طارئين وهو فرع غريب من
اصل عجيب هذا وفي بعض طرقه المسندة من طريق عمرو بن يحيى بعض
الفوائد الزائدة ولفظه لا ضرر ولا ضرار من ضاره ضاره الله ومن
شاق شاق الله عليه وفي رواية من ضار ضره الله ومن شاق شق الله
عليه وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لعن من ضار مسلما او ماكره
وفي اخرى عن ابي بكر رضي الله عنه ملعون من ضار مؤمنا او مكر به قال
عبد البر وسندها وان ضعف لكنه يخاف عقوبة ما جار فيه فانه موافق
للقواعد انتهى والمراد بالقواعد القواعد الشرعية او الضوابط الفقهية
واما تضعيف ابن حزم لحديث الكتاب وقوله فيه انه واه فمحمول
على سنده وفق ما عنده مع قطع النظر عن سائر طرقه والا لزم مخالفة
لائمة الحديث **الحديث الثالث والثلثون** عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعطى
الناس بصيغة المجهول والمفعول الثاني محذوف بقرينة الجزاء
اي اموال الناس ودماءهم بدعويهم اي بمجرد ادعائهم من غير
تصديق المدعى عليه او بينة المدعي لادعى رجال اي ناس
كما في رواية واورد بصيغة الجمع لفظا ومعنى اعلاما باقدام غير واحد
منهم على الخصومة والتنكير لقصد الاشاعة اموال قوم ودماءهم
فيفضي الى الهرج والمرج ويقتضي في الدين نوعا عظيما من الحرج واخر
الدماء في هذه الرواية للترقي في الكمال ولان خصومة الاموال اكثر
في ما بين الرجال ولان الغرض غالبا من خصومات الدماء حصول المال

لاسيما اذا كان المدعون فقراء في الاحوال ثم لفظة لو للدلالة على ان
انتفاء الثاني في الخارج بسبب انتفاء الاول وقد يستعمل للدلالة
على ان الجزاء لازم الوجود في جميع الازمنة اذا كان مما يستبعد استلزامه
للجزاء ويكون نقيضه انسب بالاستلزام نحو حديث نعم العبد صهيب لو
لم يخف الله لم يعصه وهذا عند اهل العربية واما عند المنطقية فلو للدلالة
على ان العلم بانتفاء الثاني علة العلم بانتفاء الاول من غير التفات الى
ان علة انتفائه في الخارج ما هي نحو لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
والقوم وان خص بالرجال لغة كما يدل عليه قوله سبحانه لا يسخر قوم
من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء الا ان المراد به الجماعة
من الرجال والنساء كما قال تعالى كذبت قوم نوح المرسلين اما بالاطلاق
الشرعي واما بالتغليب العرفي واقتصر في الحديث عليهم لانهم قوامون
على النساء وقائمون لهن ايضا في دعويهم لكن البينة الرواية بالتخفيف
لكن يجوز تشديدها وهي فعيلة من البيان وهي ما ثبت به الدعوى باعتبار
افادته للبيان وتسمى حجة باعتبار انه يغلب به على الخصم فان قيل
لكن معناها الاستدراك وهي انما يكون بين نفي واثبات نحو ما قام
زيد لكن عمرو قام وزيد قام لكن عمرو لم يقم وليست لكن ههنا كذلك
اذ بعدها اثبات ولا نفي هنالك اجيب بانها كذلك في المعنى
اذ معنى قوله لو يعطى الناس بدعويهم لا يعطى الناس بدعويهم المجردة
لكن البينة وهي على المدعي وهو المكلف الملتزم للاحكام الذي
يذكر امرا يخالف الظاهر والمدعى عليه عكسه ولذا جعل البينة على المدعي
لانها اقوى من اليمين التي جعلت على المنكر ليستجبر ضعف جنبة المدعي
بقوة حجته وضعف حجة المنكر بقوة جنبته وهذا معنى قوله واليمين على
من انكر اي ان لم يكن للمدعي بينة وتفصيل عدد البينة في كل قضية محله
كتب الفقهية وادعى الشافعية جواز القضاء بالشاهد الواحد واليمين وانكره
الحنفية وقال ابن المنذر اجمع اهل العلم على ان البينة على المدعي واليمين

على المدعى عليه هذا وقد قال بعض العلماء ان المراد بفصل الخطاب في قوله
وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب هو البينة على المدعي واليمين على من
انكر وقال المص في شرح مسلم هذا الحديث قاعدة شريفة من قواعد الدين
ودلالة على مذهب الشافعي حيث قال اليمين متوجهة على المدعى عليه سواء
كان بينه وبين المدعى عليه معرفة ومداينة ام لا خلافا لمالك واصحابه
والفقهاء السبعة انتهى وكان حقه ان يقول على مذهب الجمهور فان الشافعي
اخذ بقول من قبله في هذه القاعدة لا انه اخترع هذه الفائدة نعم خالف
شيخه وتبع غيره من حجة المالكية وفقهاء المدينة النبوية ان درء
المفسدة ورعاية المصلحة التي هي من القواعد الدينية تقتضي ان
يشترط المخالطة فيما بينهما لئلا يبتذل السفهاء اكابر الفقهاء مرارا
في اليوم الواحد من دعوى الاشياء اما ليحلفوهم على قصد امانتهم
وابتذال حرمتهم لعداوة كائنة فيما بينهم او ليبذلوا لهم شيئا يتخلصوا
به منهم قالوا وبه قضى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه والفقهاء
السبعة وهم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والقاسم بن
محمد وعبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود وخارجة بن زيد
وسليمان بن يسار وابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ثم
اعلم انه وقع اجماع العلماء على استحلاف المدعى عليه في الاموال
واختلفوا في غير ذلك فمذهب الشافعي واحمد وابو ثور الى وجوبها
على كل مدعى عليه في حد او طلاق او نكاح او عتق اخذا بظاهر
عموم هذا الحديث فان نكل حلف المدعي وثبت دعواه وقال
ابو حنيفة واصحابه يحلف على الطلاق والنكاح والعتق وان نكل
لزمه ذلك وقال الثوري والشعبي وابو حنيفة لا يستحلف في الحدود
والسرقة وبه قال مالك كذا ذكره بعض الشراح وقال بعض العارفين
وفي الحديث اشارة الى ان كل دعوى لا بد ان يكون لها بينة وكل حال ومقام
لا يقبل الا باتباع الشرع الاسنى فمن اراد ان يسلك بقدم العقل

القاصر

القاصر والفهم الفاتر بساط سرادقات العرفان او يرتقي من حضيض النقصان
الى ذروة الايقان بدون اتباع الرسول فهو مريد شيطان مريد مخذول
حديث حسن وكلام احمد وابي عبيد ظاهر في انه صحيح عندهما وكان المصنف
تنزل وقال ان اقل مراتبه حسن لاحتمال انه صحيح لغيره عندهما او حسن
باعتبار سند رواه البيهقي الظاهر بسنده في شعبه وهو الامام
ابو بكر احمد بن الحسين صاحب التصانيف الجليلة ولد سنة اربع
وثلاثين ومات بنيسابور سنة ثمان وخمسين واربعمائة وغيره اي
غير البيهقي هكذا اي بهذا اللفظ المذكور على النهج المسطور وبعضه في
الصحيحين اي بعض هذا الحديث الصادق باكثره في صحيحي البخاري
ومسلم وكذا في مسند احمد وسنن ابن ماجه بلفظ لو يعطى الناس
بدعواهم لادعى ناس دماء رجال واموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه
وفي رواية للشيخين قال ابن ابي مليكة كتب ابن عباس ان النبي عليه
السلام قضى ان اليمين على المدعى عليه وقول الاصيلي لا يصح مرفوعا مردود
بتصريحهما بالرفع فيه من ابن جريج وقد رفعه ايضا ابو داود والترمذي
قال المص واذا صح رفعه بشهادة البخاري ومسلم وغيرهما لم يضره من وقفه
ولا يكون ذلك تعارضا ولا اضطرابا فان الراوي قد يعرض له ما يوجب
السكوت عن الرفع من نحو نسيان او اكتفاء بعلم السامع في معرض البيان
مع ان زيادة الثقة مقبولة فالرفع مقدم على الوقوف على ان مثل
هذا الموقوف في حكم المرفوع وكان الاظهر ان يذكر المص رواية الشيخين
في الاصل اولا ثم يقول وزاد البيهقي وغيره باسناد حسن ولفظه لكن
البينة على المدعي واليمين على من انكر فتدبر واخرجه الاسمعيلي في صحيحه
بلفظ لو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال دماء قوم واموالهم ولكن
البينة على الطالب واليمين على المطلوب الحديث الرابع
والثلثون عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من راى منكم منكرا يحتمل انه من رؤية

العين ثم تجاسس عليه مالم يره لان المقصود دفع مفسدة المنكر ولا فرق بين
من ابصره او علمه ولم يره ويحتمل انه من رؤية القلب اي من علم منكراً فهو اعم
مما ابصره او علمه وهو اشبه في النظر وان كان لفظ راى ظاهرا في البصر
والمنكر ما انكره الشرع وكرهه ولم يرض به والمراد الحرام والمكروه وفي معناهما
ترك الفرض والسنة المؤكدة والخطاب للامة عامة دون الصحابة خاصة
لقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن
عن المنكر ومن تبعيضية اشارة الى فرضية الكفاية كما قال الله تعالى
ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
فليغيره امر ايجاب كما اطبق عليه الكتاب والسنة واجماع الامة
ولا يتقيد بخلاف الرفضة ووجوبه بالشرع لا بالعقل خلافا للمعتزلة بيده فيه
دليل على ما ذهب اليه الشافعي وابو يوسف ومحمد من جواز كسر الآت
الملاهي واراقة الخمور خلافا لابي حنيفة رحمه الله ولعله نظر الى انه
تضييع المال فان لم يستطع اي التغيير بيده فبلسانه اي فليغيره
بلسانه بان يمنعه بقوله فان لم يستطع اي التغيير بلسانه فبقلبه اي
فليكرهه براي فلينكره به قال المص معناه فليكرهه بقلبه يعني لم يرض به
وينكر على مرتكبه انتهى والتحقيق ان معناه فليقتصر على انكاره بقلبه قال
ابو حنيفة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد موكول الى الامراء والولاة
لقدرتهم وليس لغيرهم الا باللسان وفي خزانة المفتيين ان الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر باليد على الامراء وباللسان على العلماء
وبالقلب على العوام ويشير الى ذلك ما في نفس الحديث من قيد الاستطاعة
ويدل عليه قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها فمن وجب عليه
فعله ولم يمتثل المخاطب فلا عتب عليه بعد ذلك لعدم تقصيره هنالك
حيث ادى ما عليه وما عليه ان لا يقبل منه كما يشير اليه قوله تعالى
وما على الرسول الا البلاغ لكن انما يجب بشرط ان يكون الشخص
عالما بما يامر وينهى وان يبتدئ بالرفق واللين ثم بالاشد فالاشد

على

على سبيل التدريج لقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة ولقوله عليه السلام الدين النصيحة فالنصيحة مقدم على الفضيحة
فقد قال الشافعي من وعظ اخاه سرا نصحه وزانه ومن وعظ علانية فقد
فضحه وشانه ولانه ربما ينفع الملاينة والتلطف في موضع لا ينفع فيه
الغلظة والعنف قال تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى
ولا يخشى ولا يشترط في الآمر والناهي ان يكون كامل الحال ممتثلا
بما يامر مجتنبا عما نهى عنه لان الواجب عليه شيئان فاذا اخل باحدهما
دون الاخر جاز والاكمل ان يكون عاملا ليكون تأثيره كاملا وعليه
يحمل ما ورد عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس ولذا قيل
وغير تقي يامر الناس بالتقى   طبيب يداوي الناس وهو مريض
وقيل ايضا لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت
عظيم واما قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم
فالانكار منصب على النسيان لا على الامر بالبر من الايمان والاحسان
وذلك اي انكار قلبه وكراهته بانفراده اضعف الايمان اي
اضعف زمانه او مكانه او خصاله وفي رواية وهو اضعف الايمان
وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل وانما يكون اضعفه
لانه لم يبق وراء هذه المرتبة مرتبة اخرى له كما قاله القرطبي وقال
المص اي اقله ثمرة يعني وادناه نتيجة فمن لم يغير المراتب مع القدرة
كان من العاصين ومن تركها بلا قدرة او يرى المفسدة اكثر من
المصلحة ويكون منكرا بقلبه فهو من المؤمنين حيث ما اثار فتنة
نائمة بين المسلمين ولهذا قيل هذا زمان السكوت وملازمة
البيوت والقناعة بالقوت الى ان يموت فان قيل اذا رضي
بالمنكر قلبه ولم يكرهه هل يكفر بذلك ام لا قلنا ان رضي معتقدا جوازه
فهذا متضمن تكذيب الشرع في تحريمه وهو كفر وان رضي به لغلبة
الشهوة والهوى ومقتضى الطبع مع اعتقاد تحريمه فهو فسق

لا يكفي هذا وقد قال المص في شرح مسلم الامر هنا للوجوب وهو محمول
على ما اذا كان المنكر حراماً فانه حينئذ وجب الزجر عنه اذ لو كان مكروها
لم يجب بل يندب وكذا الامر بالمعروف تبع لما يؤمر به فان وجب
فواجب وان ندب فمندوب ولم يتعرض له في الحديث لان النهي
عن المنكر مثل له اذ النهي عن الشيء امر بضده وضد النهي اما فرض او
واجب او سنة والكل معروف ثم اعلم ان الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر فرض كفاية ان علم به اكثر من واحد والا فهو فرض عين على من
راه فقد ورد انه صلى الله عليه وسلم قال لتأمرن بالمعروف
ولتنهون عن المنكر او ليعمنكم الله بعذاب من عنده ومنه قوله تعالى
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وفي حديث اخر
ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة ولكن اذا عمل المنكر جهاراً
استحقوا العقوبة كلهم ثم اذا علم ان كلامه لا يؤثر هنالك سقط
عنه الوجوب عند اكثر العلماء بل ادعى بعضهم الاجماع على ذلك ويشير
اليه قوله تعالى فذكر ان نفعت الذكرى ويدل عليه قوله تعالى يا ايها
الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقد سئل
عنها صلى الله عليه وسلم فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر
حتى اذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة واعجاب
كل ذي رأي برأيه ورأيت امراً لا بد لك به فعليك بنفسك ودع
امر العوام فان من ورائكم اياماً الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل
يومئذ كاجر خمسين اما انكار المنكر بالقلب فهو فرض عين على كل
احد لقدرته عليه ومن ثم قال ابن مسعود هلك من لم يعرف بقلبه المعروف
والمنكر واما ما ورد من انه يؤتى بالرجل يوم فيقول الله تعالى له ما منعك
اذ رأيت كذا وكذا ان تنكره فيقول خشيت الناس فيقول اما كنت
احق ان تخشى فالمراد بالخشية فيه مجرد رعايتهم مع القدرة على ازالة
معصيتهم اذ لو وجب الانكار مطلقاً ولو قيل المنكر كما قال بعض

العلماء

العلماء لم يأت قوله عليه السلام فان لم يستطع وكذا قوله عليه السلام
ما من قوم يعمل فيهم من المعاصي ثم قدروا على ان يغيروا فما يغيروا الا يوشك
ان يعمهم الله بعقاب زاد ابو داود قبل ان يموتوا فاذا جاز التلفظ
بالكفر عند الخوف حالة الاكراه كما في قوله سبحانه من كفر بالله بعد ايمانه
الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان الآية فبالاولى يجوز ترك الانكار
عن المعصية عند الخشية لان قبح الفعل اكثر من تركه نعم لو فعل ما يجره الى
قتله فهو مأجور بفعله كما يستفاد من قوله تعالى ومن الناس من يشري
نفسه ابتغاء مرضات الله روي ان عمر رضي الله عنه سمع انساناً
يقرأ هذه الآية فقال انا لله وانا اليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف
وينهى عن المنكر فقتل ومن قوله سبحانه ويقتلون الذين يأمرون بالقسط
من الناس ولقوله وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك
ثم لا انكار في المختلف فيه بناء على ان كل مجتهد مصيب او المصيب
واحد الا ان المخطئ غير معين لنا مع ان الاثم موضوع عنه وعمن
تبعه كما قال بعض علمائنا من تبع عالماً لقي الله سالماً وذلك لعموم
قوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون لكن الاولى ان يخرج عن عهدة
الخلاف بان يأمر او ينهى بالرفق دون الاعتساف من باب النصيحة لا
على وجه الفضيحة وعلى الامام ان ينصب محتسباً للامر بالمعروف والنهي
عن المنكر وليس له على الاصح ان يحمل الناس على مذهبه سواء كان مجتهداً
او مقلداً فلم يزل الخلاف بين الصحابة والتابعين وينهى عن التصدر
لتدريس او افتاء او وعظ بلا اهلية وينهى من كان واقفاً مع امرأة
بشارع غير مطروق بالذهاب ويقول له ان كانت اجنبية فاتق الله
في المعصية وان كانت محرمك فصنها عن موقف التهمة ويحرم عليه
البحث والتجسيس قال الله تعالى ولا تجسسوا رواه مسلم وكذا الامام
احمد في مسنده والاربعة في سننهم الا ان مسلماً رواه بسنده عن
طارق بن شهاب قال اول من بدأ بالخطبة يوم العيد مروان فقام اليه

رجل فقال الصلاة قبل الخطبة فقال قد ترك ما هنالك فقال ابو سعيد
الخدري اما هذا فقد قضى ما عليه سمعت رسول الله عم يقول من رأى منكم
منكرا فليغيره بيده الحديث فان قلت ظاهر الحديث بإيراد الفاء التعقيبية
يفيد ان ابتداء الاحتساب يكون باليد عند القادر في هذا الباب ثم باللسان
على وجه النصيحة للاحباب ثم بالقلب عند العجز عنهما وهو ينافي قوله تعالى
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فانهما يقتضيان التدرج
في القضية بأمر او نهي اولا باللسان ثم عند عدم النفع به يعالج الدفع قلت
المراد في الحديث بيان مراتب قوة ارباب الاحتساب فاعلاهم من
يقدر باليد وسائر الاركان واوسطهم من لم يستطع الا باللسان واذا
وادناهم من لم يقدر الا بانكار الجنان كما يدل عليه قوله وذلك اضعف
الايمان اي اضعف اهله واما باعتبار ترتيب الانكار فلا شك انه اولا
بقلبه وهذا فرض عين كما تقرر في محله فمن قال ان في العوام اراده العامة
او اكتفاؤه انما هو في حق العوام ثم ينكر بلسانه ان كان قادرا عليه سواء
يكون من العلماء او في معناهم من الاولياء ثم عند عدم نفعه بلسانه ينكره بيده
ورجله سواء يكون من الامراء او في معناهم من الاقوياء اذا لم يترتب عليه
المفسدة بين الاعداء والاحباء وهذا ما ظهر لي في هذا المقام ولم
ار من تعرض له من الشراح الكرام والله سبحانه اعلم بحقيقة المرام ويؤيده
ما روي ان رجلا من اصحاب النبي عليه السلام وقع في الشام وابتلي بشرب
المدام فبلغ الخبر الى امير المؤمنين عمر فكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب
شديد العقاب ذي لا اله الا هو اليه المصير فتاب الرجل منها ونزع
بالفعل عنها وذكر ابن ابي الدنيا عن ابن عباس يرفعه قال يأتي
على الناس زمان يذوب قلب المؤمن فيه كما يذوب الملح في الماء
قيل مم يا رسول الله قال مما يرى من المنكر لا يستطيع تغييره تنبيه
قال محمد بن واسع بلغني ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا على الناس

من

من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم تأمروننا باشياء عملنا بها فدخلنا الجنة
بها قالوا كنا نأمركم بها ونخالفكم الى غيرها وفي الصحيح انه عليه السلام رأى
في النار قوما يدورون كما يدور الرحى فقال يا جبريل من هؤلاء فقال كانوا
يأمرون بالمعروف ولا يفعلونه وينهون عن المنكر ويفعلونه وفي الصحيح ايضا
يلقى العالم في النار فتندلق اقتابه فيقال له لم ذلك فيقول كنت آمر
بالمعروف ولا افعل وانهى عن المنكر وافعله ثم اعلم ان اعجب ما في زماننا
هذا ان الذين يظن بهم العلم والذين ممن يتعين عليهم الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر هم بانفسهم متلبسون بمناكر شتى اصلا وفرعا
يجب انكارها عليهم عرفا وشرعا لكن كما قيل ، بالملح يصلح ما يخشى
تغيره ، فكيف بالملح ان حلت به الغير ، ولقد احسن من قال من ذوي
الحال ، هذا الزمان الذي كنا نحاذره ، في قول كعب وفي قول ابن مسعود
، ان دام هذا ولم يحدث له غير ، لم يبك ميت ولم يفرح بمولود ،
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال هل تدرون فيم سخط
الله تعالى على بني اسرائيل قالوا الله ورسوله اعلم قال ان الرجل منهم
كان يرى الرجل منهم على معصية فينهاه بعض النهي ثم يلقاه فيضاحكه
ويواكله ويشاربه كأنه لم يره على معصية حتى كثر ذلك منهم فلما علم
الله ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض ثم لعنهم على لسان داود وعيسى
بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون فوالذي نفسي بيده لتأمرن
وتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم او ليضربن الله بقلوب
بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم من قبلكم انتهى وقد قال تعالى كانوا
لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وقال تعالى لولا
ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس
ما كانوا يصنعون هذا وقال ابن مسعود بحسب المرء اذا رأى منكرا لا
يستطيع تغييره ان يعلم الله من قلبه انه له كاره قال القرطبي ويروى
عن بعض الصحابة انه قال ان الرجل اذا رأى منكرا لا يستطيع النكير عليه

فليقل ثلاث مرات اللهم هذا منكر فاذا ادى ذلك فقد فعل ما عليه يعني من
اظهار الانكار فان الاكتفاء بمجرد انكار القلب ليس من شان علماء الابرار
فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فحيث عجز عن انكار المنكر بالنسبة الى صاحب
الشر فينبغي له ان يذكر عند غيره ليشيع الانكار واقل فائدته ان يعلم
الناس المنكر وصاحب المنكر فان الناس لو اجتمعوا على السكوت في كل
قضية لما حصل التميز بين المعروف والمنكر في الامور الدينية بالنسبة
الى السفهاء بل وظنوا ان ما فعل العلماء ليس من المنكر مع انه انكر من كل
منكر فتدبر ولهذا ورد ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات وصح
ان من اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه وقد قيل
فساد العالم فساد العالم وسببه ان السفهاء اذا راوا عالما حريصا
على جمع المال ولو من الحلال اقتدوا بهم ووقعوا في ارتكاب الشبهة
لحب المال واذا راوه يرتكب الشبهات وقعوا في المحرمات
واذا راوه انه لا يجتنب المحرمات وقعوا في الكفر بناء على ظنهم لولا
انه جائز هذا عنده لما فعل ولم يعلم هذا المسكين انه يقول بلسان
الحال ما حل بنا والحرام ما حرمنا والحاصل ان هذا الزمان قد كثر فيه
العصيان وظهر من اهله الطغيان بحيث امتنع فيه اظهار الانكار باللسان
وهذه معجزة عظيمة لنبي اخر الزمان فقد روى ابن ماجه عن انس ابن مالك
رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله متى نترك الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر قال اذا ظهر فيكم ما ظهر في الامم قبلكم قلنا يا رسول الله
وما ظهر في الامم قبلنا قال الملك في صغاركم والفاحشة في كباركم
والعلم في رذالكم يعني في فجاركم وقيل كل بلدة فيها اربعة فاهلها معصومون
من البلاء امام عادل لا يظلم وعالم على سبيل الهدى ومشايخ يامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ونساء مستورات لا يتبرجن تبرج
الجاهلية الاولى انتهى وقد ظهر الفساد في البر والبحر فيما بين العباد
حتى في خير البلاد والله رؤف بالعباد وقال لابن عباس اني اريد

آمر بالمعروف

آمر بالمعروف وانهى عن المنكر قال او بلغت ذلك قال ارجو قال فان
لم تخش ان تفتضح بثلاثة احرف في كتاب الله عز وجل فافعل قال وما هي
قال قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم احكمت هذه
الآية قال لا قال فالحرف الثاني قوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون
كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون احكمت هذه الاية قال لا
قال فالحرف الثالث قال قول العبد الصالح شعيب عليه السلام وما اريد
ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه احكمت هذه الآية قال لا قال فابدا
بنفسك انتهى والايات الثلاث مختلفة المبنى متحدة المعنى وقد قيل
ان ظاهر قوله تعالى عليكم انفسكم يرجح ترك الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر لان المعنى الزموا انفسكم ولكنه محمول على ما سياتي في اخر الزمان
كما سبق في الحديث من البيان مع ان التحقيق في معنى الآية انكم اذا فعلتم
ما كلفتم به فلا يضركم تقصير غيركم ومن ثم قال ابن مسعود ان من اكبر الذنب
عند الله ان يقال للعبد اتق الله عليك بنفسك ويؤيده قوله تعالى
واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم او محمول على العاجز
عنهما بسبب عدم العلم بهما او عدم انتهائه منهما حيث يجب عليه اولا
ان يعالج نفسه في القيام بحقهما او بالنسبة الى المستغرقين في
لجة الوجود المطلق بدوام شهود الحق وغيبتهم عن احوال الخلق والمتحير
في بحر الوحدة الذاهل عن مشاهدة الكثرة او الواقع في فضاء القضاء
في عالم التقدير الذي لا يتصور فيه التبديل والتغيير كما قال قائلهم لا تنكر
الباطل في طوره فانه بعض ظهوراته وفي عالم الفناء فلا يتصور منهم الانكار
كما قال بعضهم ليس في الذات غيره ديار على ان هذا كله مقام ناقص
بالنسبة الى مقام جمع الجمع الذي هو حال الانبياء وخلاصة الاولياء
والاصفياء حيث لا يمنعهم شهود الوحدة عن وجود الكثرة ولا ظهور
الكثرة عن نور الوحدة فيعطون كل ذي حق حقه فيامرون بالمعروف
الذي عرفه الله وينهون عن المنكر الذي انكره الله وان كان الكل جار



على حسب ما قدره وقضاه ثم من اهم شروط الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
ان يكون صاحبه مخلصاً في فعله طالب اظهار دين الله واعلاء كلمته و
اطاعة امره في رتبته دون الريا والسمعة والحمية لنفسه وطبيعته فانما
ينصر ويزول به المنكر اذا كان صادقاً وفي مقام الاخلاص موافقا
قال تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم واما ما روى
عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً مروا بالمعروف وان لم تعملوا به
وانهوا عن المنكر وان لم تنتهوا عنه فقد سبق بعض بيانه وان شرط العمل
لرفعة شانه وسبب تاثيره في ميدانه ويمكن ان لم تنال المعنى وان لم
تعملوا بكله ولم تنتهوا عن جميعه فان من يكون خاليا عن ترك معروف وفعل
منكر فهو عزيز الوجود فلو شرط ذلك لتعطل هذا الحكم بالكلية هنالك
ومن ثم قال عبد الله بن المبارك اذا وصف لي رجل له علم الاولين
والاخرين لا اتاسف على فوت لقائه واذا سمعت رجلا له اداب
النفس اتمنى لقاءه ومن هذا كما قال قائلهم اتمنى على الزمان محالا
ان ترى مقلتاي طلعة حر فان الحر من الاسرف دنياه والاستعبده
هواه ومما يؤيد كلام ابن المبارك قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم
حيث لم اعلمكم واغناكم وقوله سبحانه ليبلوكم ايكم احسن عملا لا ازيد
علماً وازين اعلا ومن ثم جاء في تفسيره ازهد في الدنيا وارغب في العقبى
وقد رايت في الغنية القطب الرباني عبد القادر الجيلاني تفصيلا
حسنا فاحببت ان اذكره هنا وهو ان ما يؤمر به وينهى عنه على قسمين
احدهما ظاهر من المعروف كوجوب صلوة الخمس وصوم رمضان والزكوة
والحج ونحوها ومن المنكر كتحريم الزنا وشرب الخمر والسرقة وامثالها فهذا
القسم يجب انكاره على العامة كما يجب على الخاصة والقسم
الثاني ما لا يعرفه الا الخواص مثل اعتقاد ما يجوز على الباري عز وجل
ما لا يجوز فهذا مختص بالعلماء انكاره على السفهاء ولا يبعد ان يكون معنى
قوله في الحديث فبقلبه اي فليغيره بكراهة قلبه وتضرعه لربه فانه بمنزلة الجا

تهد

تهد الجبال وقد روي ان بعض الاولياء سمع صوت جماعة من اهل اللهو
والغنا فقال اللهم كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الاخرى فتاب الله
عليهم ورجعوا على ما لديهم واحسن الله اليهم **الحديث الخامس
والثلثون** عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تحاسدوا بفتح التاء والسين واصله لا تتحاسدوا
فحذف احدى التائين تخفيفا وكذا قوله ولا تناجشوا ولا تباغضوا
ولا تدابروا والمعنى لا يحسد بعضكم بعضا والحسد تمني زوال النعمة
عن الغير مطلقاً وقد يستعمل بمعنى الغبطة وهي تمني حصول مثل ما لاخيه
من النعمة من غير ان تزول عنه او تحول وعليه يحمل حديث لا حسد الا في
الاثنين وهي يكون واجبة اذا كانت على نعمة دينية واجبة كالايمان
ومندوبة كتشهير العلم بالتصنيف والتدريس والشهادة في سبيله
والموت في بلد رسوله وامثاله ومباحة في الامور المباحة واما الحسد
فمذموم شرعا وعقلا ففي الكتاب ام يحسدون الناس على ما اتيهم الله
من فضله وفي الحديث اياكم والحسد فان الحسد ياكل الحسنات كما
ياكل النار الحطب رواه ابو داود والحاكم وغيرهما وهو اول ذنب
عصي الله به فان ابليس حسد لادم اخرجه من الجنة وتكبر عليه ما سجد له
ثم يعرض منه في الخاطر من غير ان يكون له قرار معفو عنه ولذا ورد اذا حسدت
فلا تبغ اي لا تحققه بالبغي وهو عقد القلب ودوام التوجه اليه ومنه
قوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد اي اذا استقر لديه هذا ومن قواعد
الدين على مذهب اهل السنة خلافا للمعتزلة ان السيئة لا تمحو الحسنة
الا اذا كانت كفرا فانك لا تبقي خيرا بل ان الحسنة تمحو السيئة كما
قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات ولعل الحكمة في ذلك غلبة فضله
على عدله كما اشير حديث القدسي سبقت رحمتي غضبي فقوله عليه السلام
ان الحسد ياكل الحسنات يحتاج الى تاويل والاظهر ان يقال الحسد
يحمل الحاسد على افعال واقوال بالنسبة الى المحسود من السيئات

فيعطي له من حسنات يعملها الى الحاسد من الطاعات والعبادات وعن ابن عباس رضي
ان النبي عليه السلام قال ثلاث هن اصل كل خطيئة فاتقوهن واحذروهن
هن اياكم والكبر فان ابليس حمله الكبر على ان لا يسجد لآدم واياكم والحرص
فان آدم حمله الحرص على ان اكل من الشجرة واياكم والحسد فانه ما قتل ابني
آدم احدهما الآخر الا الحسد قال بعضهم الحاسد هو الجاحد لانه لا يرضى
بقسمة الواحد وعن معاوية كل انسان اقدر على ان ارضيه الا الحاسد
فانه لا يرضيه الا زوال النعمة ولذا قيل كل العداوة قد ترجى ازالتها
الا عداوة من عاداك من حسد وعن عمر بن عبد العزيز ما رأيت ظالما
اشبه بمظلوم من الحاسد غم دائم ونفس متتابع قيل وله اربع مراتب
احدها ان يحب زوال النعمة عن صاحبها وان لم يحصل له وهي اخبث
او زوالها عنه اليه وهي اخف او لا يشتهي زوالها بل يشتهي لنفسه
مثلها فان عجز عنه احب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما او لا يحب زوالها
وهذا هو المعفو عنه ان كان في امر الدنيا ومندوب اليه ان كان في امر
العقبى وما قبله مذموم من وجه غير مذموم من وجه آخر فتدبر ومنشأه
العداوة والبغضاء كما في السفهاء والتعزز كما في الاغنياء وحب الرياسة
كما في الامراء والمشايخ والعلماء وعلاجه ان يعلم ان الكل بالقدر و
القضاء ويجب على العبد القناعة بالقسمة في مقام الرضاء وان
يتذكر مضاره من سخط الله واللوم اللازم والغم الدائم وانه لا يضر
المحسود بل ينفعه حال الوجود ولا يضره في مقام الشهود قال تعالى قل
موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور وان يأتي بالاحوال المضادة
لمقتضيات الحسد والعداوة بان يمدح المحسود سرا ويتواضع له حتى يصير المحسود
محبوبا ومحبا له قال تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ
عظيم وانشد اذا ما شئت ان تحيا حيوة حلوة المحيا فلا تحسد ولا
تبخل ولا تحرص على الدنيا ومن كلام ابي الطيب واظلم اهل الارض

فمن كان

من كان حاسدا لمن بات في نعمائه يتقلب ومن كلام اهل الحكمة ان
الحسود لا يسود وانشد بعضهم شعر دع الحسود وما يلقاه من كيده
كفاك منه لهيب النار في كبده ثم التناجش تفاعل عن النجش
وهو اثارة الصيد والمراد هنا اثارة بعضهم بعضا بالفتنة او رفع
ثمن المعروض على البيع وهو غير راغب فيه ليخدع غيره ففي الحديث
من غشنا فليس منا والمكر والخداع في النار وقيل من النجش
بمعنى التنفر اي لا ينفر بعضكم بعضا بان يسمعه كلاما يكون سببا
لنفرته او يعمل شيئا يحصل له التنفر منه بسوء عشرته وهذا اعم وفي
المعنى اتم وقوله ولا تباغضوا اي لا يبغض بعضكم بعضا والمعنى
لا تشتغلوا باسباب العداوة اذ العداوة والمحبة مما لا اختيار
فيه قال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في
الخمر والميسر وفي الحديث تهادوا تحابوا وروى تصافحوا فانه يذهب
الشحناء وروى الترمذي تهادوا فان الهدية تسل السخيمة
وقيل المعنى لا توقعوا العداوة والبغضاء بين المسلمين فيكون نهيا
عن النميمة وامثالها مما يوقع الفتنة ثم البغض قد يكون واجبا كما
قال تعالى لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقد يكون ندبا ومنه قوله
عليه السلام من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل
ايمانه وفي خبر مسلم والذي نفسي بيده ولا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا
ولا تؤمنوا حتى تحابوا قوله ولا تدابروا اي لا تتكلموا في ادبار
اخوانكم بالغيبة او لا تقاطعوا لانه اذا فعلوا ذلك اعرض كل عن
صاحبه وولى دبره والاول اولى لان التقاطع مندرج في التباغض
ومفهوم منه بطريق الاولى وقيل المعنى لا تولوا ادباركم استثقالا
بل ابسطوا اوجهكم المستقبل لانه لا يجوز الهجران في الكلام اكثر من ثلاثة
ايام الا لعذر من جهة الاسلام قال الخطابي هذا اذا كان بعتاب
او جفاء وما اشبه ذلك من باب الاخلاق واما اذا كان لمعصية

فيجوز ان التباغض لا يستلزم التدابر لان المتدابرين قد يتوافقان
ولا يتفارقان والتدابر لا يستلزم التباغض لان المتدابرين لمصلحة
قد يتحابان ولا يبع بعضكم على بيع بعض بان يدعوا المشتري قبل
لزوم البيع الى الفسخ ويبيع منه مثله بارخص من ثمنه او اجود منه بثمنه
وذلك حرام لما فيه من الايذاء الموجب للعداوة والبغضاء ومثله
الشرى على الشرى بان يقول للبائع في زمن الخيار افسخه وانا اشتريه
منك باعلى وكذا يحرم السوم على سوم غيره كما في رواية مسلم والخطبة
على خطبة اخيه كما في الصحيحين وكونوا عباد الله اي عبيده اخوانا
خبر اخر لكان او عباد الله منصوب على الاختصاص والمدح او على انه
منادى حذف حرف ندائه والمعنى انتم مستوون في كونكم عباد الله
وملتكم واحدة في سبيل الله والتحاسد والتباغض والتدابر منافية
لحالكم فالواجب ان تعاملوا معاملة الاخوان والمعاشرة بالتلطف والمودة
والمعاونة على البر والنصيحة ويفهم من الحديث ان الكافر ليس عبد الله بمعنى
انه لا يقوم بما يجب على العبد من امتثال امر المولى ولو روي بتنوين
عبادا او يكون لام لله للاختصاص في مقام الاخلاص لكان له وجه وجيه
في المعنى كما قرئ بهما في قوله تعالى كونوا انصار الله المسلم اخو المسلم اي كالاخ له
لانه يجمعهما دين واحد في المرتبة الدينية كما يجمعهما اب واحد في الاخوة
النسبية بل الاخوة الدينية اعظم من الاخوة الحقيقية لان ثمرة هذه دنيوية
فانية ونتيجة تلك اخروية باقية كما يشير اليه قوله سبحانه يوم
يفر المرء من اخيه وقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا
المتقين وهذا الحديث مستفاد من قوله تعالى انما المؤمنون اخوة
وكلاهما من باب التشبيه البليغ وفي الصحيحين جاء ما هو ابلغ في هذا
المعنى حيث قال عليه السلام مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم و
تراحمهم مثل الجسد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وروى
ابو داود المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن اخو المؤمن يكف عنه ضيعته و

ويحوطه

ويحوطه من ورائه وروى الترمذي ان احدكم مرآة اخيه فان رأى به اذى
فليمطه عنه والجملة استئناف وفيها استعطاف كما يقال انما هو اخوك
او استاذك وابوك وكذا قوله لا يظلمه استئناف الا انه لبيان وجه الشبه
لان من حق الاخ ان لا يدخل عليه ضررا في نفسه او دينه او ماله فان ذلك
من قطع الارحام وهو ينافي اخوة الاسلام بل الظلم على الكافر حرام
قيل الظالم يحط اولا عن رتبة النبوة والامامة والولاية لا ينال عهدي
الظالمين وثانيا عن نظر الحق عن مرتبة السلطنة بيت الظالم خراب ولو
بعد حين وثالثا عن نظر الخلق جبلت القلوب على حب من احسن اليها
وبغض من اساء اليها ورابعا عن نظر رب العالمين الا لعنة الله على
الظالمين وخامسا عن حظ نفسه ولكن كانوا انفسهم يظلمون ولا يخذله
بفتح الياء واسكان الخاء وضم الذال المعجمة قال المظهر اي لا يترك نصرته
واعانته الممكنة له اذا استعان به في دفع ظلم ونحوه ان لم يكن له عذر
شرعي في تركه قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وفي الحديث انصر
اخاك ظالما اي بان تكفه من ظلمه كما في رواية البخاري او مظلوما اي بان
تدفع عنه من ظلمه وروى ابو داود ما من امرئ مسلم يخذل امرءا مسلما
في موضع ينتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله في موضع
يحب نصرته وروى احمد من اذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على
ان ينصره اذله الله على رؤوس الخلائق وروى البزار من نصر اخاه بالغيب
نصره الله في الدنيا والآخرة ولا يكذبه بفتح الياء واسكان الكاف ذكره
المظهر وقال السيد جمال الدين هذه اللفظة ليست في مسلم ولا في كثير من
النسخ في اصل النووي قيل عدم وجودها في مسلم مسلم واما في اصل
النووي ولا التعرض له في باب الاشارات بتصحيح هذه اللفظة فبناء على هذا
قوله رواه مسلم مشكل ودفعه بعضهم انه في كثير من نسخ الاشارات لم يذكر
هذه الكلمة في المتن كما في اصل الفاكهاني ولعلها وقعت في رواية مسلم
لكن ايرادها في ذيل رواية غير مسلم ومن العجب ان ابن حجر ذهل عن تحقيق



هذا الخبر وتبع غيره في ايراده اثناء الاثر والمعنى لا يخبره بامر على خلاف
الواقع لغير مصلحة اذن فيها الشارع او من غير ضرورة ملجئة اليه ثم الكذب
من اشد الاشياء ضررا والصدق اشدها نفعا قال تعالى يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وفي الصحيح ان الصدق يهدي الى البر
وان البر يهدي الى الجنة وان الكذب يهدي الى الفجور والفجور الى النار
ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ولا يزال
الرجل يكذب حتى يكتب عنده كذابا ولا خلاف ان الكذب حرام واجازه
بعض العلماء في الحرب والاصلاح بين الناس وعلى الزوجة وفي دفع الصائل
على المسلم بغير حق واجب ولا يحقره بفتح الياء وسكون الحاء المهملة وكسر
القاف اي لا يستحقر شأنه بذكره العيب الذي شانه ولا يستحقر اذ
ازراه فقير الحال كسير البال فعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال البلاء
موكل بالمنطق لو سخرت من كلب خشيت ان احول كلبا وروي بضم
اوله وسكون الخاء المعجمة وكسر الفاء اي لا يغدر عهده ولا ينقض امانه
قال القاضي عياض والصواب المعروف هو المعروف وهو الموجود في
غير كتاب مسلم ويؤيده رواية ولا يحتقره ثم الاحتقار ناش من التجبر
والاستكبار ففي خبر مسلم الكبر بطر الحق وازدراء الناس وفي رواية
لاحمد سفه الحق وازدراء الناس اي جهله بالحق واحتقاره بالخلق مع
مأمور بتعظيم امر الله والشفقة على خلق الله وفي رواية لا يعد الناس
فلا يراهم شيئا وهذا منافي قوله عليه السلام لا يكمل ايمان احدكم
حتى يكون الناس عنده كالاباعر فان المراد به انه لا يرى منهم ضرا ولا
نفعا ولا عطاء ولا منعا بل يستغرق في بحر شهود الوحدة فانيا
عن الخلق باقيا بالحق ثم مفهوم الكلام انه يحقر من لم يكن في دين الاسلام
لقوله تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم فاما ما يشمله العاقل من الجاهل
والعدل من الفاسق فليس ذلك احتقارا لعين المسلم وذاته وانما ذلك
لما عرض له من سوء صفاته فمتى فارق الجاهل جهله والفاسق فسقه

تعين الانتقال الى الاحتقار به والرفع لقدرته التقوى ههنا استيناف
يبين ان المسلمين في مرتبة واحدة وان كان اكرمهم عند الله اتقاهم
الا ان التقوى امر باطني لا يعلمه الا المولى فالمدار على ما به الاشتراك
الظاهري فربما راى ذا عاهة في بدنه او لكنة في لسانه او سوادا في
جسده او اعمى او اعور او اعرج او قصيرا او طويلا وامثال ذلك
فلا ينظر اليه بعين المنقصة فلعله اخلص ضميرا واتقى باطنا وانقى سرا
ممن هو على ضده صفة فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله ورزقه انه والمعنى
محل التقوى هو القلب الذي في الصدر فهو في غاية من الستر والتحقيق
ان مادة التقوى في القلب لان حقيقة التقوى اجتناب المحظورات
وامتثال المأمورات ومادتها خوف الله ومراقبته في الحالات الحاملة
له على مداومة الطاعات فمن كان في قلبه التقوى من جانب الحق فلا يوجد
منه الظلم والتحقير للخلق او المراد ان التقوى اذا كان محلها القلب
ولا يطلع عليه غير الرب فلا يجوز لاحد ان يحكم بعدم تقوى مسلم حتى يحقره
وهذا كما قال تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب وكما
ورد ان الله لا ينظر الى اجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم
وفي رواية ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم
واعمالكم وفي اخرى لا ينظر الى صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم
واحوالكم وقد ورد ان القلب بيت الرب وفي الصحيحين الا اخبركم
باهل الجنة كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره الا اخبركم باهل
النار كل عتل مستكبر وفيها ايضا تحاجت الجنة والنار فقالت النار
انا اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وفي رواية احمد والملوك والاشراف
وقالت الجنة لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم وفي رواية احمد
الفقراء والضعفاء والمساكين فقال للجنة انت رحمتي ارحم بك
من اشاء من عبادي ومفهومه انه قال للنار انت نقمتي انتقم بك
واعذب بك من اشاء من عبادي وفي صحيح البخاري من جل

على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل جالس عنده ما رأيك
في هذا قال رجل من أشراف الناس وإنه حري إن خطب أن ينكح وإن شفع
أن يشفع فسكت صلى الله عليه وسلم ثم مر رجل آخر فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما رأيك في هذا الرجل قال يا رسول الله هذا رجل
من فقراء المسلمين هذا حري إن خطب أن لا ينكح وإن شفع أن لا يشفع
وإن قال أن لا يسمع لقوله فقال عليه السلام هذا خير من ملء الأرض
من مثل هذا وهذا دليل صريح ونقل صحيح على أن الفقير الصابر أفضل
من الغني الشاكر حيث عمم الحكم ولم يفرق بين المتقي وغيره ويشير إلى صدره
قائل أبو هريرة وفاعل النبي عليه السلام والعدول عما يقتضيه الظاهر وهو
الماضي إلى المضارع لاستحضار تلك الحال في نظر أرباب الكمال
ثلاث مرار بكسر الميم أي مرات للاهتمام بشأنه والاعتناء ببيانه و
الأقرب أنه ظرف متعلق بقوله يشير حتى يكون الإشارة إلى صدره
ثلاثا ويحتمل أن يكون متعلقا بقوله التقوى لما ثبت في شمائله عليه السلام
إذا تكلم تكلم ثلاثا والأنسب أن يكون متعلقا بهما حتى يكون كل من القول والفعل
ثلاثا وفيه غاية المبالغة وعلى كل تقدير فالواو في قوله ويشير للحال
هذا وقال بعض أرباب الكمال معناه أن حقيقة التقوى في صدري
وفروعها في قلوب غيري لأنه محل عين الجمع ومرآة كشوف الغيب كما
قال أنا أعلمكم بالله وأخوفكم منه بين أن من زاد معرفة الله زاد خشيته
وتقواه ومن المعلوم أنه ليس في الكونين أعرف منه وقد ورد لكل شيء معدن
ومعدن التقوى قلوب العارفين لأن العارف غائب في عظمة الله وقدرته
شائق إلى لقائه ورؤيته هائم في ساحة محبته تجري عيون التقوى من بحار
معرفته من روحه إلى قلبه إلى صولته وسره معدن التوحيد ومنبع التفريد
لأن الحق سبحانه تجلى فيه بنعت القدم بعدما أوجده من فضاء العدم
وروحه معدن المعرفة لأن الحق تعالى تجلى بوصف البقاء فيها وقلبه معدن
التقوى والخشية لأنه عز وجل تجلى فيه بوصف الكبرياء والعظمة فالتوحيد

من عين

من عين القدم والمعرفة من عين البقاء والتقوى من عين الكبرياء
بحسب امرئ من الشر قال المظهر هو بإسكان السين المهملة أي يكفيه
من الشر انتهى والباء زائدة والمراد بالشر الجنس أي كافية من خلال
الشرور ورذائل الأخلاق في الصدور وهو مبتدأ خبره أن يحقر
أخاه المسلم بالنصب صفة لأخاه وكرر لتأكيد حرمة الإسلامية
عند الله ولما كان هذا منشأ سؤال وهو أن يقال حكم التحقير ماذا
ماذا أحرام أم حلال فقال كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه
أي حسبه ونسبه فكل المسلم مبتدأ وفيه رد على من زعم أن كل لا تضاف
إلا إلى نكرة خبره حرام وما بعده بدل كل وجعل الثلاثة كله وحقيقته
لشدة اضطراره إليها أما الدم فلأن به حياته وأما المال فمادة الدم
وهو مادة حياته وعدة حركاته وسكناته والعرض به قيام صورته
ونظام هيئته واقتصر عليها لأن ما سواها متفرع عليها وراجع إليها والتقدير
إراقة دمه وأخذ ماله وهتك عرضه ويكون حرمتها هي الأصل والغالب
لا يحتاج إلى تقييدها بما إذا لم يعرض ما يبيحها شرعا كالقتل قودا وأخذ
مال المرتد فيئا وتوبيخ المسلم تعزيرا وقوله في رواية الأخرى هاهنا لمزيد الإيضاح
والبيان في شأنها وهذا فذلكة الحديث والمقصود الأهم منه وما سبق
كالتمهيد له فيجب على كل مسلم أن لا يقع في عرض أخيه بالغيبة والطعن
والقذف والشتم والغمز واللمز والتجسس عن عوراته وإفشاء أسراره فقد
روى أحمد لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم ولا تطلبوا عوراتهم فإنه
من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عز وجل حتى يفضحه في بيته وأخذ
بعض الصحابة حبل آخر ففزع فقال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم أن
يروع مسلما رواه أبو داود وروى أحمد وأبو داود والترمذي لا يأخذ
أحدكم عصا أخيه لاعبا جادا أي لا يأخذ متاعه يغيظه لأنه حينئذ وإن
كان لاعبا في مذهب السرقة هو جاد في إدخال الأذى والروع عليه
وفي الصحيحين وغيرهما لا يتناجى اثنان دون الثالث فإنه يحزنه وفي

رواية فان ذلك يؤذي المؤمن وان الله تعالى يكره اذى المؤمن وهذا مستفاد
من قوله تعالى انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم
شيئا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ثم يرى التفضيل لكل
احد على نفسه اما الصغير فلانه لم يعص الله وهو قد عصى واما الكبير فلانه
اسبق ايمانا واكثر طاعة واحسانا والعالم لعلمه وفضله والجاهل لانه
عصى الله بجهل فحجة الله عليه اوكد والكافر فلان العاقبة غير معلومة ثم المراد
بالعرض ما يجب او يستحب ستر عاره رعايته وحمايته لا العصبية العرفية
والحمية الجاهلية التي اعتادها اكثر العامة فيصرفون المال لطلب الجاه والمنزلة
في قلوب الخلق اذ من الهوى المتبع المهلك لكثير من الناس فما اهلك الناس
الا الناس ولو انصف العلماء لعلموا ان اكثر ما هم فيه من العلوم والعبادات
فضلا عن الرسوم والعادات ما يحملهم عليها الا مراءاة الخلق لا مراعاة الحق قال
يحيى بن معاذ الرياسة ميادين ابليس وينزل فيها هو وجنوده بانواع
من تلبيس رواه مسلم وروى الترمذي بلفظ المسلم اخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه
ولا يخذله كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه التقوى ههنا بحسب
امرئ من الشر ان يحتقر اخاه المسلم وفي الصحيحين لا تحاسدوا ولا
تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وله طرق
اخرى **الحديث السادس والثلثون** عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من نفس بتشديد الفاء اي فرج
وازال ولو في الجملة عن مؤمن وفي نسخة عن مسلم اي سنفاد ولو دينا
بماله او بجاهه او اشارته او اعانته او سفارته ووساطته او دعائه
وشفاعته كربة بضم اوله اي خصلة يحزن بها والكربة ما تاخذ النفس من
الغم في اصل اللغة من كرب الدنيا بضم ففتح جمع كربة اي بعض كربها
او كربة مبتدأة من كربها والمعنى هما واحدا من همومها اي هم كان صغيرا
او كبيرا من عرضه وعرضه وعدده وعدده نفس الله عنه كربة اي عظيمة
من كرب يوم القيمة التي لا تحصى لان الخلق كلهم عيال الله وتنفيس الكرب

انعام

انعام واحسان وما جزاء الاحسان الا الاحسان وليس هذا منافيا لما ثبت
من تضاعف الحسنات على ان كربة من كرب القيمة ولو كانت صغيرة
تساوي عشرا او اكثر من كرب الدنيا ولو كانت كبيرة وفي رواية للطبراني
من نفس عن مؤمن نفس الله عنه كربة القيمة ومن ستر على مؤمن ستر الله
عورته ومن فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربته فهذا يدل على ما قال
بعضهم من ان التفريج اعظم من التنفيس لانه ازالتها بالكلية فجزاء التنفيس
التنفيس وجزاء التفريج التفريج فعلم من ذلك فضل قضاء حوائج المسلمين
او نفعهم في كل حالة بما تيسر من علم او مال او جاه او اشارة او دلالة او
اغاثة او اعانة او دعوة او شفاعة وقد جاء في الاثر الخلق عيال الله
واحبهم الى الله ارفعهم لعياله ومن المعلوم ان المراد بكربة الدنيا ما هي
جائزة غير محرمة فان ما كانت محرمة لا يجوز تفريجها ولا تنفيسها ثم قيل
لفظ من يفيد العموم لكنه خص بالمسلم لان الكافر لا ينفس عنه في الاخرة
وفيه بحث اذ لا يبعد ان يخفف عنه كربة في العقبى جزاء لما فعل بالمؤمن
من الاحسان في الدنيا كما روي من تخفيف عذاب ابي طالب مطلقا حيث
كان يحمي سيد الانبياء عن ضرر الاعداء وتخفيف عذاب ابي لهب ليلة
الاثنين حيث اعتق جارية بشرته بولادة سيد الاصفياء وهذا لا
ينافي قوله لا يخفف عنهم من عذابها لان معناه لا يرفع عنهم او ما قرر
من عقوبتهم في بدايتهم لا ينقص في نهايتهم ومن يسر على معسر وهو من
ركبه الدين وتعسر عليه قضاؤه بالانظار او بالابراء كلا او بعضا كذا
قاله الشراح والاظهر ان يراد بالمعسر المتعسر وهو مطلق الفقير فالمعنى
سهل عليه امره بالهبة والصدقة والقرض والاجارة ونحوها بل
الشامل محتاج الى تعليم العلم او العمل او الارشاد الى طريق السداد
يسر الله عليه اي اموره ومطالبه في الدنيا والاخرة والاحاديث
في فضل التيسير على المعسر المديون كثيرة منها خبر مسلم من سره ان ينجيه
من كرب يوم القيمة فلينفس عن معسر او يضع عنه وخبره ايضا من انظر

معسراً او وضع عنه اظله الله في ظله يوم لا ظل الا ظله وخبر احمد من اراد ان يستجاب
دعوته وتنكشف كربته فليفرج عن معسر ولا يخفى ان المعسر صاحب الكربة
هو المريد المحتاج الى قطع العقبات الظلمانية والمنازل النورانية كما
اشتهر عن الكتاني ان بين العبد والحق الف مقام من نور وظلمة وتتلقاه
الوساوس ويستقبله الهواجس فعلى شيخه ان ينفس كربة الوساوس
عنه بامره بترك المبالاة بها وان تأمل في الحجج العقلية ان استاهلها باستدامة
الذكر والابتهال الى الله في دفعها ويسهل عليه سواء الطريق ويذيقه حلاوة
التحقيق حتى يستطع في قلبه انوار اقمار الوصول ويطلع في سره
اثار شموس الحصول ومن ستر مسلما اي بدنه باللباس او عيبه
عن الناس باخفائه وذنب غيره عن افشائه اذا كان من حقوق الله
تعالى كالزنا وشرب الخمر وشبههما دون حقوق الناس كالقتل والسرقة
ونحوهما فان الستر بهما حرام والاخبار به واجب على الامام وليس
هذا من الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة المحتمة وهذا اذا كان ممن
ليس معروفا بالفساد وبان يكون من ذوي الهيئات لقوله عليه السلام اقيلوا
ذوي الهيئات عثراتهم الا الحدود كما رواه احمد والبخاري في تاريخه
وابو داود عن عائشة مرفوعا واما المعروف به فيستحب ان ترفع
قصته الى الوالي قال المص في شرح مسلم ولو رآه في معصية ينكرها بحسب
القدرة وان عجز يرفعها الى الحاكم اذا لم يترتب عليه مفسدة ستره الله
تعالى في الدنيا والآخرة بالمعنيين المذكورين وفي رواية للطبراني
من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته واخرج ابن ماجة من ستر عورة
اخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيمة ومن كشف عورة اخيه المسلم
كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته وروى احمد وابو داود
والترمذي يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه لا تغتابوا
المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته
ومن تتبع الله عورته يفضحه في بيته هذا وفي الحديث اشارة ان من وقف

مطلب

على

على شيء من مقامات اهل العرفان وكرامات ذوي الايقان ان يحفظ ستره ويكتم عن
غيره امره فان صدور الاحرار قبور الاسرار وان كشف الاسرار على الاغيار
يسد باب العناية ويوجب الحرمان والغواية ومن اطلعوه على سر فباح به
لم يؤمنوه على الاسرار ما عاش والله في عون العبد اي اعانته وهذا ابلغ
من ان يقال والله يعينه وكذا اذ المعنى ان الله يوقع العون في العبد
ويجعله مكانا له والمراد من عونه تعالى اياه تيسير قضاء الحاجة مثل ما اعان
العبد لارباب الفاقة او غير مثل اما بواسطة خلقه واما بغير واسطة
بل محض فضله ما كان العبد اي مدة دوام كونه وفي نسخة ما دام العبد
في عون اخيه بقلبه او بدنه او ماله او جاهه عونا واجبا او مندوبا
او مباحا دون ما هو حرام او مكروه فانه لا يستعان فيه قال تعالى
وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وروى
احمد من كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته وفي رواية الطبراني
افضل الاعمال ادخال السرور على المؤمن كسوت عورته او اشبعت
جوعته او قضيت له حاجة وورد من سعى في حاجة اخيه المسلم قضيت له
او لم تقض غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من
النار وبراءة من النفاق وام الحسن ثابتا البناني بالمشي في حاجة
فقال انا معتكف فقال يا اعمش اما تعلم ان مشيك في حاجة اخيك
المسلم خير لك من حجة بعد حجة ولعل مراده انا مريد للاعتكاف فيقوله
تعالى لا تبطلوا اعمالكم او كانت بالحاجة ضرورية والاعتكاف سنة
او فريضة غير فورية ويمكن تداركه بالقضاء كما وقع استغاثة احد
الابوين للولد المصلي فانه يقطعها ثم يقضيها وقد روى احمد خباب
من الادب خرج في سرية فكان صلى الله عليه وسلم يحلب عنزا لعياله
فتملأ الجفنة حتى تفيض زيادة عن حلابها فلما قدم وحلبها عاد الى ما كان
وكان ابو بكر رضي الله عنه يحلب للحي اغنامهم فلما استخلف قيل الآن لا يحلبها
فقال بلى وانا ارجو ان لا يغيرني ما دخلت فيه عن شيء كنت افعله وذلك

لان العرب كانوا يستقبحون حلب الشاة ويستنكفون عن مثل هذه
الاشياء وكان عمر رضي الله عنه يتعاهد الارامل فيستقي لهم الماء بالليل
ورآه طلحة واخلا بيت امراة ليلا فدخل اليها نهارا فاذا هي عجوز عمياء
مقعدة فقال لها ما يصنع هذا الرجل عندك قالت له منذ كذا وكذا يتعاهدني
بما يقوم لي من البر وما يصلح شاني ويخرج الاذى عني ويقيم لي بيتي فقال
طلحة ثكلتك امك يا طلحة اعثرات عمر تتبع ولما فرغ من الحث
على الشفقة على الخلق اتبعه بما ينبغي من التعظيم لامر الله لان العلم
وسيلة العلم فقال ومن سلك طريقا شنكيره للشيوع اي من تسبب
باي سبب كان من مفارقة الاوطان والمسافرة الى البلدان والانفاق
في تحصيل هذا الشان والمجاهدة في مكان وزمان يلتمس فيه اي في ذلك
السلوك والمسلك علما شرعيا اذا نوى به وجه الله تعالى قال المص
رحمه الله عبادة العلماء وتقييد هذه المسئلة بهذا الشرط مع انه شرط
في كل عبادة لكونه قد يتساهل فيه بعض الجاهلين ويغفل عنه بعض
المبتدعة الغافلين انتهى وكلهم ارادوا ان تطرق الرياء للعلم اكثر
من تطرقه لسائر العبادات فاحتيج للتنبيه فيه على الاخلاص لاعتنائه
من بين الطاعات ثم العلم الشرعي هو علم القران والحديث والفقه واصوله
وما يتعلق به وما يتوقف عليه حصوله كعلم اللغة والصرف والنحو والمعاني
قدر الحاجة لا الخارج عن العلم الشرعي كالفلسفة من منطق والهي
وطبيعي ورياضي الا اذا فرغ عن العلوم الشرعية واراد تعلمها
رد المذاهب الردية ودفع شبههم الدنية وهيهات وذلك من تصحيح
النية وتخليص الطوية وهذا قول عامة مشايخ الشريعة كالحليمي في
شعب الايمان وغيره وقد الف شيخ مشايخنا جلال السيوطي رسالة
في حرمة المنطق فعليك بها سهل الله له به اي يسر له بسبب
ذلك السلوك او الالتماس او العلم او الطريق وهو الاظهر لقوله
طريقا الى الجنة ليكون جزاء وفاقا كالتنفيس بالتنفيس والتيسير بالتيسير

والستر

حد العلم

والستر بالستر والعون بالعون وقد اخرج الترمذي ايما مؤمن اطعم مؤمنا
على جوع اطعمه الله يوم القيمة من الرحيق المختوم وايما مؤمن كسا مؤمنا على
عري كساه الله من خضر حلل اهل الجنة ويحمل هذا كل حديث انما يرحم الله
من عباده الرحماء ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء ثم من حجة ترتب
العلم تقديم العمل بالعلم لقوله تعالى الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
ولقوله عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم هذا والعلم نور في
قلب المؤمن مقتبس من مصباح الكلمات المحمدية والافعال والاحوال
الاحمدية يهتدى به الى الله وصفاته وافعاله واحكامه فان حصل بواسطة
البشر فهو كسبي والا فهو العلم اللدني المنقسم الى الوحي والالهام والفراسة
فالوحي لغة اشارة بسرعة واصطلاحا كلام الهي يصل الى القلب النبوي فما
مبناه ومعناه معا والحال انه لا يكون الا بواسطة جبريل فهو الكلام الالهي
وما نزل معناه على الشارع فتعبر عنه بكلامه فهو الحديث النبوي وهذا قد يكون
بغير واسطة في محل الشهود كما قال فاوحى الى عبده ما اوحى وقد يكون بواسطة
نزول الملك اي تنزله من الصورة الملكية الى الهيئة البشرية وتحقيقه ان
المتكلم الحقيقي هو الحق فكلم اولا محمدا بواسطة جبريل عليه السلام وثانيا
اصحابه بواسطة محمد صلى الله عليه وسلم وثالث التابعين بواسطة الصحابة
وهلم جرا رضي الله عنهم اجمعين وقد يكون بنفثه في قلبه بان يلقي معناه
من غير ان يتمثل بصورة ومنه قوله عليه السلام ان روح القدس نفث في روعي
والالهام لغة الابلاغ وهو علم حق يقذفه الله من الغيب في قلوب عباده قال
تعالى قل ان ربي يقذف بالحق والفراسة علم ينكشف من الغيب بسبب
تفرس اثار الصور ومنه قوله تعالى ان في ذلك لايات للمتوسمين
اي للمتفرسين وفي الحديث اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله
والفرق بين الالهام والوحي انه تابع للوحي من غير عكس ثم علم اليقين
ما كان بطريق الكشف والنوال وحق اليقين ما كان بتحقيق الانفصال
عن لوث الصلصال لورود رائد الوصال وما اجتمع قوم في بيت من

بيوت الله بكسر البا وضمها جمع بيت اى مسجد او مدرسة او رباط او
زاوية ولهذا لم يقل من المساجد وفي رواية المصابيح في مسجد من مساجد
والاضافة للتعظيم بسبب ما يوجد فيه من ذكر الكريم ولذا استثنى منها الاماكن
المستقذرة كالحمام والمزبلة ولعل الحديث مستفاد من قوله تعالى في
بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال
رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة
يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار الاية يتلون كتاب الله
اى حال كونهم يقرؤونه وليس المراد بتلاوته اجراء مبانيه من غير تصور
معانيه ومتابعة ما فيه ومخالفة ما ينافيه بل لا بد ان يعتقد العبد انه
يقرا على الله واقفا بين يديه وهو ناظر اليه بل يشهد بقلبه كان
ربه يخاطبه به بل يستغرق بمشاهدة المخاطب المتكلم غير ملتفت الى
غيره سامعا منه ليكون داخلا في قوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب يتلونه
حق تلاوته وقد سئل الامام الصادق عن حالة لحقته في الصلوة حتى
خر مغشيا عليه فلما سري عنه قال ما زلت اردد الاية على قلبي حتى سمعتها
من ذي فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته ثم يتفكر فيما يتعلق بذات الله وصفاته
وافعاله ومصنوعاته ويقتبس معرفة الجلال والعظمة وفيما يتعلق باهلاك
الاعداء ويقتبس معرفة العزة والقهر والاستغناء وفيما يتعلق بحال
الانبياء ويقتبس معرفة اللطف والفضل والبهاء وفي الايات الدالة
على التكاليف والارشاد ويقتبس معرفة العطف والحكم فيعمل
بمقتضاها في امر المعاش وزاد المعاد ويتدارسونه بينهم شامل
جميع ما يناط بالقران من التعليم والتعلم وتدارس بعضهم على بعض و
والاستكشاف والتفسير والتحقيق في مبناه ومعناه الا نزلت عليهم
السكينة فعيلة من السكون للمبالغة اى ما يسكن القلب من الطمانينة
والوقار والثبات والاصطبار والذوق والشوق الى الرب
وصفاء القلب ونزول الانوار الالهية وذهاب اثار الظلمات

النفسية

النفسية فلا ينزعجون المطالب الاخروية بسبب حدوث العوارض
الدنيوية وقيل جماعة من الملائكة ينزلون لتسكين الرعب في القلب
وقال المص في شرح مسلم المختار انها شيء من مخلوقاته تعالى فيه طمانينة
ورحمة انتهى وفي حديث مرسل انه صلى الله عليه وسلم كان في مجلس
فرفع بصره الى السماء ثم طاطا بصره ثم رفعه فسئل فقال ان هؤلاء القوم
كانوا يذكرون الله يعني اهل مجلس امامه فنزلت عليهم السكينة تحملها الملائكة
كالقبة فلما دنت منهم تكلم منهم رجل بباطل فرفعت عنهم وهو يناسب
قوله تعالى فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك ال موسى وال هرون تحمله الملائكة
وغشيتهم الرحمة اى غطتهم وحفتهم الملائكة احدقتهم واحاطت بهم
الى السماء الدنيا علما في الصحيحين وفي رواية لاحمد علا بعضهم على بعض
حتى يبلغوا العرش ليسمعوا منهم الايات ويحفظوهم من الافات وليصافحوهم
وبالغوا في ثنائهم وليؤمنوا على دعائهم قال ابن حجر تبعا للفاكهاني [illegible]
القاضي ان السكينة هنا الرحمة مردود لعطفها عليها المقتضي للمغايرة
في قوله وغشيتهم الرحمة وهو مدفوع بان المغايرة للعنوانين باعتبار الوصول الى
حاصلة في ما بين الفعلين المتعاطفين فان النزول مغاير للغشيان باعتبار
الوصول والحصول كما قال شفر اى شملتهم من كل جهة لاستيعابها
نعم يلزم انه وقع الظاهر موقع المضمر وهو كثير في القران والخبر فتدبر ثم الرحمة
ارادة نفع العبد فهي صفة ذات او انعامه واحسانه فهي صفة فعل وذكر
هم الله اى اثنى عليهم لقوله تعالى فاذكروني اذكركم فيمن عنده اى من
الملا الاعلى والطبقة الاولى من الكروبيين والروحانيين وارواح الانبياء
والمرسلين والشهداء والصالحين مباهاة بهم من بين المؤمنين واظهارا
لحالهم من بين المحسنين والمراد عندية المكانة والقربة لا المكان والمساحة
شبههم في كرامتهم عليه بمن يكون عند الملوك من المقربين لديه وفي الحديث
القدسي والكلام الالهي من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في
ملا ذكرته في ملا خير منهم وفي صحيح مسلم ان لاهل ذكر الله اربعا تنزل عليهم

السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده هذا في الجملة
يدل الحديث على فضيلة الاجتماع على تلاوة القرآن بطريق المدارسة لا على
سبيل المخالطة كما يفعل الجهلة من الازهرية مع زيادات الانغام الموجبة
وانه منكر عند العلماء الدينية وكذا على اجتماع حلقة الذكر لكن بشرط عدم
رفع الصوت بحيث يشوش على نحو المصلين من الطائفين وغيرهم فانه
مكروه في الدين ففي الصحيحين ان لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون
اهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا الى حاجتكم قال
فيحفونهم باجنحتهم الى السماء الدنيا الحديث بطوله فيقول تعالى للملائكة
اشهدكم اني قد غفرت لهم فيقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس
منهم انما جاء لحاجة فيقول هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم وفي صحيح
مسلم انه صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من اصحابه فقال ما اجلسكم
قالوا نذكر الله عز وجل ونحمده لما هدانا ومن علينا به فقال الله ما اجلسكم
الا هذا قالوا آلله ما اجلسنا الا ذلك قال اما اني لم استحلفكم تهمة
لكم وانه اتاني جبريل فاخبرني ان الله يباهي بكم الملائكة وروى الحاكم
عن سلمان انه كان في عصابة يذكرون الله فمر بهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ما كنتم تقولون فاني رايت الرحمة تنزل عليكم فاردت
ان اشارككم فيها وروى البزار بلفظ ان لله سيارة من الملائكة
يطلبون حلق الذكر فاذا اتوا عليهم حفوا بهم الحديث وفيه فيقولون
ربنا اتينا على عباد من عبادك يعظمون آلاءك ويتلون كتابك
ويصلون على نبيك ويسالونك لآخرتهم ودنياهم فيقول تبارك
وتعالى غشوهم رحمتي وكان صلى الله عليه وسلم يامر من يقرأ القرآن
في المسجد ليسمع قراءته وكان عمر يامر من يقرؤه عليه وعلى اصحابه
يسمعون هذا ولسان الاشارة بيوت الله عبارة عما يذكر فيه
الحق من النفس والقلب والروح والسر والخفي فذكر بيت النفس
الطاعة والعبادة وذكر بيت القلب التوحيد والمعرفة وذكر بيت

الروح

مطلب ذكر

الروح الشوق والمحبة وذكر بيت السر الشهود والمراقبة وذكر بيت
الخفي بذل الوجود وترك الموجود وقوله الا نزلت الخ مشير الى ثمرات
التلاوة من الانس بالله والحضور مع الله والغيبة عما سواه وتمثل
الانبياء والملائكة والارواح المقدسة في صور لطيفة والصعود من
حضيض بعد البشرية الى ذروة الملكوت الاعلى والدخول تحت الفناء
والفرح بتحقيق البقاء والتبري عن الناسوت والتقرب من اللاهوت
وهذا مقام يضيق عن بيانه نطق النطاق ولا يسع اعلانه في ظروف
الحروف ، وان قميصا خيط من نسج تسعة ، وعشرين حرفا عن معانيه قاصر
قال ابو سعيد الخراز اذا اراد الله تعالى ان يوالي عبدا من عبيده
فتح عليه باب ذكره فاذا استلذ بالذكر فتح عليه باب القرب ثم رفعه
الى مجلس الانس ثم اجلسه على كرسي التوحيد ثم رفع عنه الحجب الظلمانية
والنورانية وادخله دار الفردانية وكشف له جمال الجلال والعظمة الاحدية
فبقي بلا هو فحينئذ صار العبد زمنا قد تبرى من دعاوى النفس فصار
عنها فانيا وفي حفظه سبحانه باقيا ومن بطأ به عمله بتشديد الطاء
والباء للتعدية كما في قوله لم يسرع به نسبه من الاسراع والمعنى
من جعله بطيئا واخره عمله السيء في مقام العبادة عن بلوغ درجة السعادة
لم يقدمه نسبه اليها لان الاسراع الى سعادة قرب الرب انما هو
بالعمل الصالح وحسن الادب لا بالنسب ولا بالحسب اذ امثال
ذلك انما يعتبر في الدنيا واما في العقبى فاكرمهم اهل التقوى قال تعالى
فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ولذا قال عليه السلام اجل تعلم
انساب الناس علمه لا ينفع وجهله لا يضر وقال عمر تعلموا من انسابكم
ما تصلون به ارحامكم وفي الحديث من قوله عليه السلام يا صفية عمة
محمد يا فاطمة ابنت محمد ائتوني يوم القيمة باعمالكم لا بانسابكم
فاني لا اغني عنكم من الله شيئا ونقل عن ابي يزيد قدس سره ان
مريدا له تبع خطاه من خلفه فاقبل عليه قائلا والله لو سلخت جلده



الى يزيد ولبثت لم تنل مثقال خردل من مقاماته ما لم تحل معاملاته وانشد
ما بال نفسك ترضى ان تدنسها ، وثوب جسمك مغسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ، ان السفينة لا تجري على اليبس
رواه مسلم بهذا اللفظ اي بهذا الاسلوب من اوله الى اخره وقال ابن
مسعود رضي الله عنه يأمر الله بالصراط فيضرب على جهنم فيمر الناس
على قدر اعمالهم زمرا زمرا اوائلهم كلمح البرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير حتى
يمر الرجل سعيا وحتى يمر اخرهم يتلبط على بطنه فيقول يا رب لم بطات
بي فيقول اني لم ابطئ بك انما بطأ بك عملك فليتقيه متلبة ان
راقدا ولم يقم جادا ان قاعدا

الحديث السابع والثلثون

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما
يروي اي حال كون ذلك المروي داخلا فيما يرويه عن ربه تبارك
وتعالى اي تكاثر خيره واحسانه وتعظم شانه وبرهانه وظاهره
انه من الاخبار القدسية وان الله تعالى تكلم بجميع ما فيه من الاسرار
الالهية وليس كذلك بل المراد بما يرويه يحكيه عن فضل ربه او حكمه
كما يدل عليه ما بعده كذا قيل والاظهر انه حديث قدسي وكلام النبي
الا انه صلى الله عليه وسلم تارة روى عنه عز وجل بالمبنى كما في بعض
طرق هذا الحديث في الصحيحين ما هو صريح في هذا المعنى وهو يقول الله
عز وجل اذا اراد عبدي ان يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فان
عملها فاكتبوها بمثلها وان تركها من اجلي فاكتبوها له حسنة وان اراد
ان يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له بعشر امثالها واذا تحدث بان يعمل
سيئة فانا اغفرها ما لم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها له بمثلها وتارة
روى عنه سبحانه بالمعنى كما في هذا المعنى قال ان الله كتب اي قدر
في سابق علمه او امر الحفظة بكتبها في اللوح المحفوظ من عنده والمعنى
اثبت الحسنات اي ما يتعلق به الثواب والسيئات اي ما يستحق
فاعلها العقاب ثم بين ذلك اي ما ذكر هنالك والمعنى بين مقدارها

وعين مبلغها للكتبة الكرام بان بعضها وهو الحسنات يجازى بعشر او سبعين
او سبعمائة الى غير ذلك بطريق الفضل وبعضها وهو السيئات لا يجازى
الا مثلها على سبيل العدل او بينه فيما انزله من كتابه او بين النبي عليه
السلام ذلك الابهام بما بعده من الكلام فيكون قوله ثم بين ذلك
من كلام الراوي وقوله فمن هم بحسنة الى آخره من كلام النبي عم والفاء
تفصيلية لان ما قبلها قضية اجمالية لا يفهم منها ان الكتابة على اي الكيفية
اي فمن قصدها وارادها وعزم عليها او ترجح عنده فعلها فلم يعملها لمانع
عنها وباعث على تركها كتبها الله عنده حسنة بالنصب على انها مفعول
ثان باعتبار تضمين معنى التصيير او حال موطئة موصوفة بقوله كاملة
وذلك لان الهم بالحسنة قصد الخير فيكون خيرا ولذا ورد نية المؤمن
خير من عمله واما ارادة الشر وان كانت سيئة لكنه يدفع بكف النفس
عنها وهو حسنة وتقييدها بكاملة لدفع توهم ان مجرد الهم بها يوجب
نقصان ثوابها وفيه دلالة على ان مراد المثوبة مختلفة ولو كانت
شاملة هذا وفي رواية لمسلم اذا تحدث عبدي بان يعمل حسنة فانا
اكتبها له حسنة اي اذا خطر بباله وعلم الله في حاله انه ارادها ان يكون
من جملة اعماله ويؤيده الخبر الاخر من هم بحسنة فلم يعملها فعلم الله انه اشعرها
قلبه وحرص عليها كتبت حسنة وان هو هم بها اي اهتم بها واعتنى بشانها
فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات اي متصاعدة الى سبعمائة ضعف
اي مثل الى اضعاف كثيرة تفضلا منه لاهل الايمان واحسانا لارباب
الايقان وهذه المراتب بحسب تفاوت العمل في المناقب اخلاصا
في بابه ومراعاة لشرائطه وادابه والاحكام الثلاثة مستفاد من الايات
الثلاثة وهي قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وقوله مثل الذين
ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل
سنبلة مائة حبة وقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه
له اضعافا كثيرة قال السدي ان هذا التضعيف لا يعلم احدكم هو وما هو

وانما ابهمه الله تعالى لان ذكر المبهم في باب الترغيب اقوى من ذكر المحدود ومن
خص حسنات الحرم كل واحدة بمائة الف حسنة وهو مندرج تحت قوله
والله يضاعف لمن يشاء، وكذا فضل الصوم فانه سبحانه قال الا
الصيام فانه لي وانا اجزي به فيدل على ان قدر مضاعفة ثوابه لا يعلم
احد الا هو لانه من افضل انواع الصبر وانما يوفى الصابرون اجرهم
بغير حساب وقد قال المصران التضعيف بعشرة لابد منه بفضل الله و
رحمته ووعده الذي لا يخلفه والتضعيف بسبعمائة فاكثر انما يحصل
لبعض الناس على حسب مشيته واخرج ابو حيان في صحيحه لما نزل مثل الذين
ينفقون اموالهم الاية قال صلى الله عليه وسلم رب زد امتي فنزل
من ذا الذي يقرض الله قرضا الآية فقال رب زد امتي فنزل انما يوفى
الصابرون اجرهم بغير حساب وروى احمد ان الله ليضاعف الحسنة
الفي الف حسنة تكفت لانه سبحانه يقول وان تك حسنة يضاعفها
ويؤت من لدنه اجرا عظيما فمن يقدر قدره وروى ابو داود ان الصلوة
والصيام والذكر يضاعف على النفقة في سبيل الله سبعمائة ضعف
مع ما ورد في حديث ابن ابي حاتم من ارسل نفقة في سبيل الله واقام
في بيته فله بكل درهم سبعة الآف درهم وروى الترمذي من دخل السوق
فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له الخ كتب الله له الف الف حسنة
ومحي عنه الف الف سيئة ورفع له الف الف درجة وان هم بسيئة
فلم يعملها اي من خوف الله او لاجل رمضان كما ثبت في الحديث القدسي
الذي رواه مسلم فان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من جراي اي
من اجلي كتبها الله عنده حسنة كاملة لانه انما تركها بعد ان هم بها مراقبة
لله وحذرا من عقوبته في دنياه او اخراه مع القدرة عليها ونقاد
الميل اليها لا ان هم فلم يعمل لعجزه عنها او عدم غرضه فيها قال العلماء ويحمل
هذا على من لم يوطن نفسه عليها وانما ذلك تفكر بلا استقرار فيها فيكتب
له الحسنة بالاعراض عنها وكراهة حضورها فيها ولا يبعد ذلك من فضل الله

سبحانه

سبحانه مع انه قد تقرر ان في جانب الحسنة لا بد من العزم عليها قالوا
واما من عزم بقلبه على السيئة ووطن نفسه عليها اثم في عزمه واصراره فكان
نفس العزم والاصرار معصية فيكتب معصية واحدة واذا عملها كتبت
معصية ثانية وان تركها خشية كانت كذا قالوا ولكن يشكل قوله وان
هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة لان ظاهره انه لم يكتب عليه
الا معصية واحدة ويؤيده انه زاد احمد في روايته ولم يضاعف عليه
اللهم الا ان يغاير بين الهمين وعلى كل تقدير يدل الحديث على انه لا
مضاعفة في السيئة كما هو صريح في الآية حيث قال تعالى فلا يجزى الا
مثلها بصيغة الحصر للمبالغة ووقع في اصل ابن حجر كتبت سيئة واحدة
وهو مخالف للاصول المعتمدة واما ما ورد عن ابن عباس رض من ان
السيئة في الحرم تضاعف فمحمول على المضاعفة في الكيفية لا في الكمية
جمعا بينه وبين الآيات القرآنية والاحاديث النبوية وهذا معنى قول
قتادة في قوله تعالى فلا تظلموا فيهن انفسكم فان الظلم في الاشهر الحرم
اعظم خطيئة ووزرا وكذا ما في حديثين ضعيفين ان السيئة تضاعف
في رمضان وقال مجاهد تضاعف السيئة بمكة كما تضاعف الحسنة
وقال ابن جريج بلغني ان الخطيئة بها بمائة خطيئة في غيرها يعني ان
الخطيئة الواحدة فيها بحسب الكيفية تقاوم مائة خطيئة في غيرها باعتبار
الكمية وعلى هذا يحمل ما حكي انه قيل لاحمد في شيء في الحديث ان السيئة
يكتب باكثر من واحدة قال لا ما سمعت الا بمكة لتعظيم البلد وكذا نقل
عن اسحق وقد يكون مضاعفة السيئة في الكيفية باعتبار عظمة فاعلها وعليه
يحمل قوله تعالى يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها
العذاب ضعفين وذلك لان من عصى السلطان على بساطه اعظم جرما
ممن عصاه على بعد منه ومنه حديث ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع
مرات وقد صح اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه
ثم المحققون على ان العزم يؤاخذ به وخالف بعضهم ونسب الى الشافعي

وابن عباس وقال انه من الهم المرفوع متمسكا بقول اللغويين من ان الهم
بالشيء العزم عليه وهو تمسك ضعيف في غاية من السقوط لان اللغوي
لا يتنزل الى هذه الدقائق التي نظر اليها ارباب الحقائق ومما يؤيد الجمهور
حديث اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل
ما بال المقتول قال كان حريصا على قتل صاحبه فيفيد انه لو اراد دفعه عن
نفسه لا يكون بتلك الحالة في اثمه وكذا يقويهم الاجماع على المؤاخذة باعمال
القلوب كالحسد والحقد وحب الدنيا وامثالها وعليه حمل ابن عباس
قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله ثم العزم على
الكبيرة وان كانت سيئة فهو دون الكبيرة المعزوم عليها ولا ينافي ما
تقرر ما روي عن الحسن في الحسد وعن سفيان في سوء الظن بالمسلم انه اذا
لم يصحبه قول او فعل فهو معفو عنه لان ذلك محمول على ما يجده الشخص
من نفسه باعتبار جبلته مع كراهته ودفعه عن نفسه بقدر مكنته وذكر السبكي
انه يؤاخذ بالهم بالمعصية في حرم مكة دون غيرها وروي عن ابن مسعود
موقوفا مرة ومرفوعا اخرى قيل والموقوف اصح ونقله بعض اصحاب
احمد عنه ولعل ماخذهم قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب
اليم وقال بعض الصوفية انما كان العشرة اقل درجات الثواب لان الحسنة
تصدر بظهور القلب والسيئة بظهور النفس فاقل درجات ثوابها
انه يصل صاحبها الى مقام القلب الذي يتلو مقام النفس في الارتقاء
تلو مرتبة العشرات للاحاد في الاعداد ومن عمل سيئة فلا يكتب الا واحدة
لانه لا مقام ادون من مقام النفس فينحط اليه فبالضرورة جزاؤه في
مقام النفس بالمثل وهو حصول بهيمتها فيها ومن هنا يعلم ان الثواب
من باب الفضل فانه يتنور استعداده ويزداد قبوله الفيض الحق فيقوى
على اضعاف ما فعل ويكتب بها اجرا متضاعفة الى غير النهاية بازدياد
القبول عند فعل كل حسنة وزيادة الفيض عند زيادة القبول وزيادة
القدر عليها عند زيادة الفيض الى ما لا يعلمه الا الله كما قال والله يضاعف

لمن

لمن يشاء وان العقاب من باب العدل المقتضي للمساواة ومن فعل
بالنفس اذا لم يعف عنه يجازى بالنفس والسيئة والحسنة المذكورتان
من قبيل الاعمال لا الاشخاص والاقرب سيئة من شخص تعد حسنة
من غيره كما قال بعض العارفين حسنات الابرار سيئات المقربين اذ
سيئاتهم بوجود الحجاب ورب سيئة توجب حجاب الابد كالشرك
هذا وقال الطحاوي والطبري في هذا الحديث دليل على ان الحفظة
تكتبون من اعمال القلوب خلافا لمن قال انها لا يكتب الا الاعمال الظاهرة
انتهى وفيه نظر اذ ليس في الحديث تصريح بان الحفظة تكتبونها رواه
البخاري ومسلم في صحيحيهما اي جامعيهما بهذه الحروف اي بهذه
الالفاظ المنقولة عنهما بعينها لا انه رواية بالمعنى لما فيها وفي رواية
مسلم بعد واحدة او محاها الله ولا يهلك على الله الا هالك ولو صح
ما قال ابن مسعود وبل لمن غلبت آحاده عشراته وجاء مرفوعا هلك
من غلب واحدة عشرا فانظر امر من النظر بمعنى اعمال الفكر ومزيد التدبر
اي فتامل واعتبر يا اخي اي في الدين وهو نداء تعطف وشفقة و
تلطف وفقني الله اي اقدرني الله على الطاعة بخلق قدرتها
في واياك وبدا بنفسه لقوله تعالى حكاية عن انبيائه تعليما للاصفياء
رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات ولقوله عليه السلام
ابدا بنفسك قال ابن حجر ثم ادرج فيها من هو بمنزلتها من احبائه
واصدقائه فالنون للجمع لا للعظمة لنفسه بناء على ما وقع في اصله وهو خلاف
ما عليه المتون المقررة والاصول المعتبرة وعلى كل تقدير فيه رد على
ما احدثه بعض ظرفاء زماننا فانه اذا قيل لهم تقبل الله منكم يقولون
وبدا منكم الى عظيم لطف الله بكسر العين وفتح الظاء على ما في الاصول
المعتمدة وفي اصل ابن حجر الى عظم لطف الله قال في الكشف اللطف
هو جر القضاء على وفق الارادة وايصال نفع نوع من الدقة
وقال الغزالي اللطيف من يعلم دقائق المصالح وغوامضها وما لطف منها



ثم يسلك في ايصالها الى المصلح سبيل الرفق بها وتأمل هذه الالفاظ اي
النبوية الصادرة من المشكوة المصطفوية ومنبع الحكمة الاحدية ومادة
الحياة الابدية فقوله وفي نسخة وقوله اي ومن جملة ما ينبغي تأمله قوله اي
في الحسنة عنده فانه اشارة الى الاعتناء بها اي الى مزيد الاهتمام بها
والاعتبار في شأنها فان اجراء العندية على المعنى اللغوية محال على الله سبحانه
لتقدسه عن المكان فالمراد عندية الرتبة وقربة المنزلة كقوله تعالى ان المتقين
في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر وقوله اي ومن جملته قوله
كاملة للتوكيد اي فانه صفة مؤكدة للتأبيد وشدة الاعتناء اي بها
وقال في السيئة التي هم بها ثم تركها كتبها الله عنده حسنة كاملة فاكدها
بكاملة اي اعتناء بتركها وان عملها اي قال وان عملها كتبها الله سيئة
واحدة فاكد تقليلها دفعا لتوهم الزيادة عليها بواحدة بالنصب على
الحكاية وهو الاولى في الحديث والاية بالجر على النقل الا ان النقل شيء في
قوله ولم يؤكدها بكاملة اذ ليس هناك حكاية وفي هذا الكلام اشارة
الى ان مقام الفضل اوسع من مقام العدل كما دل عليه قوله صلى الله
عليه وسلم ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت
غضبي ولا يهلك على الله الا هالك والحاصل ان لفظ الحديث ومبناه
مطابق معناه في افادة فضل الله بتضعيف الحسنات وتكميلها والا
والاعتناء بها وافراد السيئات وتقليلها لمسامحته تعالى عباده في
المعاملة تضعيفا في الخير وتخفيفا في الشر لطفا لهم وتفضلا بهم ولله
در من قال من ذوي الاحوال ٭ يا خالق الخلق يا من لا شريك له
طوبى لمن عاش بين الناس يهواكا ٭ اني لاعجب ممن قد رأى طرفا
من فرط لطفك ربي كيف ينساكا ٭ والله ما فرحت روحي وانست
في الدهر ما بقيت الا بذكراكا ٭ وكيف تأنس روح العارفين وان
رام السرور لهم الا بلقياكا ٭ فلله اي دون ما سواه الحمد اي جميع
انواعه اذ لا يستحق الحمد ما سواه لان الحمد تعريف المحمود بنعت الكمال

في

في صفات الجلال والجمال فالحمد ثابت له سواء حمد او لم يحمد لانه محمود
في ازل الازال والمنة اي جنس النعمة لقوله تعالى وما بكم من نعمة فمن
الله او المعنى له الحمد في الاولى والاخرى والمنة العظمى في شهادة الكلمة
العليا ومتابعة طريقة المصطفى سبحانه مفعول مطلق اي انزهه عن
نقصان في شانه وفي نسخة زيادة وتعالى اي تعظم سلطانه وظهر
برهانه لا نحصي ثناء عليه اي لا نقدر معاشر الانام ولا نطيق على القيام
بجميع ثنائه عليه وذكر جميل ذاته وصفاته وافعاله واسمائه او لا نحصي
جميع ثنائه اذ الحول البشري قاصر عن استحصائه كما قال تعالى وان
تعدوا نعمت الله لا تحصوها لا تطيقوها فكيف القيام بشكرها والخروج
عن عهدة ذكرها وفيه تلميح الى قوله عليه السلام لا احصي ثناء عليك انت
كما اثنيت على نفسك ايماء على عجز البشرية عن القيام بحقوق العبودية
ومن معرفة النعوت الربوبية وقد ورد فيمن قال يا ربنا لك الحمد كما
ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك ان الله يقول للملائكة دعوا الى
هذه الكتابة فانكم تعجزون عن احصاء ما يقابلها من المثوبة وبالله اي
بتيسيره لا بغيره التوفيق اي توفيق التحقيق والاستقامة على سواء
الطريق وختم به لعرض فقره في جميع اعماله واحتياجه في كل احواله
الى الاسعاد الرباني والامداد السبحاني

الحديث الثامن والثلثون

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله عليه السلام ان الله
تعالى قال من عادى لي وليا من المعاداة ضد الموالاة والولي ضد العدو
وهو فعيل اما بمعنى مفعول وهو من يتولى الله امره وحفظه عن التوالي
فلا يكله الى نفسه لحظة قال تعالى وهو يتولى الصالحين واما بمعنى فاعل
وهو من يتولى عبادة الله وطاعته ويتوالى عليه من غير تخلل معصية
وكلا الوصفين شرط في الولاية كما ذكره القشيري والوصف الاول
غالب على المجذوب المراد والثاني على السالك المريد الله يجتبي اليه
من يشاء ويهدي اليه من ينيب والاظهر ان المراد بالولي هنا المؤمن المتقي



قال تعالى ان اولياؤه الا المتقون وقال الا ان اولياء الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون وتحقيقه ان
يقال هو من تولى الله بذاته امره فلا تصرف له اصلا اذ لا وجود له
ولا ذات ولا فعل ولا وصف فهو الفاني بيد المفني يفعل به ما يشاء
حتى يمحو رسمه واسمه وعينه واثره ويحييه بحياته ويبقيه ببقائه والتركيب
يدل على القرب فكانه قريب منه لاستدامة عبادته واستقامة طاعته
او لاستغراقه في بحر معرفته ومشاهدة طلعة عظمته والاظهر ان المراد
بالولي الكامل من يجمع بين قرب الفرائض من امتثال الاوامر واجتناب
الزواجر وقوله لي حال من قوله وليا والنوافل وان ادنى ما يطلق عليه
من تقرب اليه بالفرائض من امتثال الاوامر واجتناب الزواجر وقوله
لي حال من قوله وليا قدم عليه لتنكيره وجاز ظرف لغو
ولو قال به ابن حجر فتدبر وايراد صيغة المفاعلة للمبالغة ولا يبعد ان
يكون للمبالغة والمعنى من اذى وفي رواية من اهان واحدا من اوليائي فقد
آذنته بالحرب بهمزة ممدودة اي اعلمته بانه محارب لي ذكره المص
ويؤيده ما وقع في بعض الروايات فقد بارزني بالحرب او بالمحاربة وقال
بعضهم اي اعلمته باني محارب له اي معامل له معاملة المحارب وهو
ابلغ وفي رواية بدل هذا فقد استحل محارمي وفي اخرى فقد استحل
محاربتي وفي اخرى فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه
ففي الحديث تسلية للاصفياء عن معاداة الاعداء وتحذير للاعداء
عن ايذاء الاولياء وترك حرمتهم وتنبيه على تعظيم شانهم وحفظ قلوبهم
ودفع كربتهم لما في مفهومه حيث جاء في معاداة الولي عظيم الوعيد بكون
في موالاته جسيم القرب وان بعد كما قيل • وكم لله اشراف البرايا
• لهم قدر عظيم بالكرامة • فمن والاهم حقا وصدقا • كرامته الشفاعة في
القيمة • ثم اعلم ان جميع المعاصي محاربة الله عز وجل ولذا قال الحسن
يا ابن ادم هل لك بمحاربة الله من طاقة فان من عصى الله فقد حاربه

الا

الا ان كلما كان بالذنب اقبح كان محاربة الله اشد واصرح ولذا سمى
اكل الربوا وقطاع الطريق محاربين الله ورسوله لعظيم ظلمهم لعباده
وسعيهم بالفساد في بلاده هذا واول من عادى وليا من اوليائه
ابليس فانه عادى اول نبي من انبيائه واستمرت هذه العداوة
بين الذرية وقد حكي ان بعض الاكابر من الملوك وقف على جمع
من الصوفية فقال من انتم فقالوا نحن قوم من احببنا يضر دنياه ومن
ابغضنا يضر بعقباه فقال انا ما اقدر على محبتكم ولا عداوتكم وذهب
وتركهم وما تقرب الي عبدي بشيء احب الي مما افترضت عليه التقرب
طلب القربة واخذ المثوبة والباء في بشيء سببية واحب صفة شيء
وهو افعل بمعنى المفعول فهو منصوب وفي نسخة مرفوع على تقدير
هو احب وما الثانية موصوفة او موصولة والعائد محذوف اي ما افترضته
عليه والفرض اعم من ان يكون فرض عين او كفاية ودخل فيه الواجب
على مصطلحنا لانه فرض عملا لا اعتقادا ولهذا ثواب الحنفية في نحو
الوتر وركعتي الطواف اكثر من الشافعية لاختلاف معتقدهم في القضية
والمعنى ما تطلب عبدي القربة من رحمتي والمثوبة من عنايتي بوسيلة
عمل احب الي من الذي فرضته عليه اي وسائل القرب كثيرة ومراتبها
مختلفة واحبها الي اداء الفرائض ومراعاة سائر تكاليف الاحوال
اذ هي الامانة المعروضة على السموات والارض والجبال وفي رواية بدل
هذا ابن ادم انك لن تدرك ما عندي الا باداء ما افترضت عليك
قال العلماء وذلك لان الذي فرضه الله على عبده هو اختياره تعالى له
والذي يتنفل به العبد اختياره لنفسه فينبغي للعبد كمال الاهتمام باداء
الفرائض والقيام بتحقيقها لا كما يفعله العامة من تضييع الفرائض بالتقصير
في شرائطها وتكميل اركانها والاتيان بسننها وادابها ثم تكثير النوافل
والاذكار والاوراد والتلاوة وكثرة الطواف وامثالها وما يزال
عبدي يتقرب وفي رواية يتحبب الي بالنوافل اي بالزوائد على الفرائض

فيشمل السنن المؤكدة وفي اخرى يتنقل اي ويترقى من مقام الى آخر
حتى احبه اي حبًا املاء قلبه من معرفته فاشرقت عليه انوار ولاية بسبب
الجمع بين فرائض ونوافل طاعته والشان كل الشان في محبته سبحانه للعبد
دون محبة العبد له تعالى وان كانت الثانية نتيجة للاولى كما يشير اليه
قوله تعالى يحبهم ويحبونه وفي الصحيحين عن ابي هريرة رض مرفوعًا اذا احب
الله عبدًا دعا جبريل فقال يا جبريل اني احب فلانًا فاحبه قال
فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول ان الله يحب فلانًا فاحبوه فيحبه
اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض الحديث فاعل بها مرتبة واعظم
بها منقبة ولعل الحديث مستفاد من قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودًّا ومأخوذ من قوله سبحانه قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله عز وجل بمثل ما خرج منه اي ظهر منه يعني القرآن
ولذا قال عثمان لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم وقال بعض العارفين
لمريد الحفظ القرآن فيم تنعم فيم تترنم بم يناجي ربه ثم سائر الاذكار
فقد اخرج البزار عن معاذ قلت يا رسول الله اخبرني بافضل الاعمال
واقربها الى الله عز وجل قال ان تموت ولسانك رطب بذكر الله وكفى
فضلًا لشرفه قوله تعالى فاذكروني اذكركم ومن جملتها الحب في الله والبغض
في الله فقد اخرج احمد لا يجد العبد صريح الايمان حتى يحب لله ويبغض
لله فاذا احب والبغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان
وروى ابو داود ان لله ناسا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء
والشهداء يوم القيمة بمكانهم من الله عز وجل قالوا يا رسول الله من هم
قال قوم كانوا يتحابون بروح الله على غير ارحام بينهم ولا اموال
يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور ولا يخافون
اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم تلا هذه الآية
الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولقد اغرب ابن
حجر حيث عد التوكل والرضاء من التطوعات الباطنة وغفل عن كلام

الاكابر

الاكابر من الائمة وانهما من الفرائض العينية المتعينة على كل احد من سالك
الطريق الاخروية وفي الاحياء ذكرهما على وجه الاستيفاء فاذا احببته
اي حبًا كاملًا وقربته قربًا كاملًا كنت اي صرت حينئذ بمعنى ظهرت سمعه
الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها بفتح الياء
وكسر الطاء هو الرواية وموافق للآية وهي قوله يوم نبطش البطشة الكبرى
ويجوز ضم الطاء وكذا ضم اوله وكسر ثالثه في اللغة فقول ابن حجر بفتح اوله
وكسر ثالثه وضمه ليس في محله باعتبار لمة ورجله التي يمشي بها وفي رواية
وفؤاده الذي يعقل به ولسانه الذي يتكلم به اي حافظ حواسه وجوارحه
فلا يسمع ولا يبصر ولا يأخذ ولا يمشي الا فيما ارضى واحب وينقطع عن
الشهوات ويستغرق في الطاعات وقريب منه قول الخطابي معناه
توفيقه في الاعمال التي يباشرها بهذه الاعضاء يعني ييسر عليه فيها مباشرة
سبيل ما يحبه ويعصمه عن موافقة ما يكرهه من اصغاء الى اللهو بسمعه
ونظر الى ما نهى عنه ببصره وبطش ما لا يحل بيده وسعي في باطل رجله وقال
التوربشتي اجعل سلطان حبي غالبًا عليه حتى سلب عنه الاهتمام بشيء
غير ما يقربه الي فيصير متخليًا عن اللذات متخلعًا عن الشهوات منه ما تقلب
واين ما توجه لقي الله بمراي فيه ومسمع منه ويأخذ حب الله مجامع قلبه
فلا يسمع ولا يرى ولا يفعل الا ما يحبه ويكون له في ذلك عونًا ويدًا
ووكيلًا يحمي جوارحه وحواسه وقيل المراد كنت اسرع الى قضاء حوائجه
من سمعه في الاستماع وبصره في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي
وقيل كنت مسموعه مبصره اي يكون مسموعه اسمي وذكري وكلامي فلا
يلتذ ولا يستانس الا به ومبصره عجائب ملكوتي وصنائع جبروتي
يستدل بها على وجوب وجود ذاتي وقدس صفاتي ولا ينظر فيها
الا لله وكذلك في اليد والرجل اي لا يمد الا الى ما احبه الله ولا يخطو
الا حيث برضاه وفي كلام القاضي انه يتقرب ويترقى من مقام الى آخر
حتى تحبه الله فيجعله مستغرقًا بملاحظة جناب قدسه ومطالعة مقام انسه

بحيث ما لاحظ شيئا الا ورأى الله تعالى فيه وما التفت التفات حاضر
ومحسوس الا لاحظ ربه وشاهد قربه وهو اول درجات السالكين و
اول مراتب الواصلين هذا مجمل الكلام وان اردت تحقيق المرام في
هذا المقام الذي زلت فيه الاقدام والاقلام وكلت دون الوصول
الى الحق الافهام فاستمع لما يتلى عليك من تدقيقات المحققين الاعلام
الواصلين الى اعلى مدارج الانس السائرين في ارقى معارج القدس
التائهين في بيداء عظمة الملك والملكوت المتلاشين في دياء الا
الديمومية والعزة والجبروت الذين ورد في شأنهم الحديث ونطق
بعزتهم القديم والحديث فنقول المحبة ارادة ما تراه او تظنه خيرا اما
سواه وهي اما محبة اللذة كمحبة الطعام او محبة المنفعة كمحبة ما ينتفع
به من المرام او محبة الفضيلة كمحبة العلماء الاعلام ذكره الراغب و الحق
انها ابلغ من الارادة لانها اذا تاكدت في القلب وانعقدت فيه فهي
المحبة وهي منقسمة الى الطبيعية وهي ميل النفس الى لذاتها وشهواتها
والشرعية الماخوذة من الكتاب والسنة والروحانية وهي ميل القلب
الى مطالعة الامور الملكوتية العادية فاذا استولت عليه وغلبت لديه
تصير عشقا فهو المحبة المفرطة ولا يجوز اطلاقه على الله عند جمهور الائمة
وقالت الصوفية محبة العبد هي الميل الدائم بالقلب الهائم او ايثار
المحبوب على جميع المصحوب او محو المحب بصفاته واثبات المحبوب بذاته
او موافقة الطاعة ومباينة المخالفة وقال الجنيد هي دخول صفات
المحبوب على البدل من صفات المحب كما في الحديث قال السهروردي
وذلك لان المحبة تجذب صفات المحب الى اذا صفت وكملت لا تزال
تجذب بوصفها الى محبوبها فاذا انتهت الى غاية جهدها وقفت والرابطة
متاصلة متاكدة وكمال وصف المحبة ازال الموانع من المحب وبجمال وصف
المحبة تجذب صفات المحبوب تعطفا على المحب المخلص من موانع قادحة
في صدق المحبة ونظرا الى قصوره بعد استيفاء جهده فيعود بعوائد التباب

الصفات

مطلب عشق

الصفات من المحبوب فيقول عند ذلك أنا من اهوى ومن اهوى انا •
نحن روحان حللنا بدنا • فاذا ابصرتني ابصرته • واذا ابصرته ابصرتنا
انتهى وفي هذا المقام انشد بعض المشايخ الكرام • رق الزجاج ورقت
الخمر • فتشاكلا وتشابه الامر • فكانما خمر ولا قدح • وكانما قدح
ولا خمر • وذكر الرازي في حقائق التفسير ان المحبة المحب ثلاث مراتب
محبة العوام التابعين للاعمال المحمدية وهي مطالعة المنة من رؤية
احسان المحسن بالنعمة ومحبة الخواص التابعين للاخلاق يحبونه اجلالا
واعظاما ولكونه اهلا له ومحبة اخص الخواص التابعين للاحوال وهي الناشئة
من الجذبة الالهية في مقام كنت كنزا مخفيا وحقيقتها ان يفنى المحب
بسطوتها ويبقى فيه بلا هو لانها نار لا تبقي ولا تذر وللمحبة المحبوب ثلاث
درجات ايضا محبة العوام باختصاصهم بالرحمة والمغفرة والمثوبة ومحبة
الخواص بتجلي صفات الجلال وستر ظلمة صفاتهم وجودهم بانوار الوجود
الحقيقي الذاتي فيتجلى اولا بنار الجلال فتحترق عن قلبهم جميع ما كان فيه
من الآمال ثم يتجلى بنور الجمال ويمحوهم عنهم ويثبتهم به ويسلب عنهم السمع
والبصر والنطق ويبدله بسمع وبصر ولسن به فهم بين روضة المحو وغدير
الاثبات احياء غير اموات كما يشير اليه قوله تعالى وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى وهذا في مقام المحب والمحبوب والمحبة واحد كما ان
الرائي في المرآة يشاهد ذاته بذاته وصفاته بصفاته فيكون الرائي والمرئي
والرؤية واحدا كما يشير اليه قوله عليه السلام المؤمن مرآة المؤمن
على ان المراد بالمؤمن في الموضعين هو الله انتهى كلامه فيكون فحوى الحديث
ومقتضاه والله اعلم حقيقة معناه ان من استعلت به الدرجة المحبوبية
ومكنته الرتبة المطلوبية كنت مستوليا بنور وجهي على قلبه مفيضا بنور
سري على صدره فسمعه من نوري يسمع به وبصره من نوري يبصر به ويده
من نوري يبطش بها ورجله من نوري يمشي بها فيكون قائما بنوري لان
مصدر اعماله وهو القلب الذي هو بيت الرب صار عرشا لنور الله



من غاية الظهور ولا يصدر من النور الا النور ومن لم يجعل الله له نورا فما له
من نور فهذا العبد هو الذي قام بنور الحق ذاتا وصفة فني لشهوده
وبقي لوجوده لاستعداده بجمال الهداية لسبق العناية غذينا
بالمحبة يوم قالت له الدنيا ائتيا طائعين هذا وفي رواية فبي يسمع
وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي اي انا الذي اقدرته على هذه الافعال
وخالقها فيه في جميع الاحوال كما هو معتقد اهل السنة والجماعة خلافا
للمعتزلة من اهل البدعة واما زعم الاتحادية والحلولية بقاء هذا الكلام
على ظاهر المرام وانه سبحانه عين عبده او اجزائه او حال في قلبه
واعضائه خروج عن الاسلام باجماع علماء الاعلام وعمدة ما تقرر و
زبدة ما تحرر ان من اجتهد بالتقرب الى الله بعمل الفرائض والنوافل
ابتغاء لرضاه قربه مولاه ورقاه من درجة الايمان الى مرتبة الاحسان
حتى يعبد الله كانه يراه ويسمع ويبصر ويأخذ ويمشي في هواه وهذا
هو الذي يقال في حقه لا يبقى الا الله لانه سبحانه افناه عما سواه
فلا ينطق الا بذكره ولا يتحرك الا بامره فان نطق نطق به وان
سمع سمع به وان نظر نظر به وان بطش بطش به ان صلاتي ونسكي
ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وفي الحديث
من اصبح وهمه غير الله فليس من الله اي لا حظ له في قربه ومحبته ومقام
رضاه وان سألني اعطيته كذا في النسخ وفي اصل ابن حجر تبعا
للمشكاة ولئن سألني لاعطينه ثم حذف المفعول ليعم المسؤول
ولئن استعاذني ضبطوه بالنون والباء وكلاهما صحيح ذكره
المص والاظهر الباء لقوله تعالى فاستعذ بالله على انها للاستعانة
لا للالصاق كما ذكره شارح فانه هنا غير جائز الا باطلاق بخلاف
الدابة فان الالصاق من دابه واما النون فللوقاية والياء منصوب
بنزع الخافض واورد اللام الموطئة للتاكيد وحذف المستعاذ منه
ليعم في مقام التأييد والعوذ الالتجاء اي ان التجأ برحمتي وتعلق باعاذتي

واعاذني

واعاذني لاعيذنه وفي رواية زيادة واذا استنصرني نصرته والله
قادر على ان يعطيه من غير ان يسأله وان يعيذه قبل ان يستعيذه
ولكنه سبحانه متقرب الى اعطاء السائلين واعاذة المستعيذين ولذا
ورد من لم يسأل الله يغضب عليه اي لا بلسان القال ولا ببيان الحال
للاشعار بانه موقع للكمال المستغني عن جمال ذي الجلال والعبد
غير مستغن عنه سبحانه لا في الايجاد ولا في الامداد ومن لطائف الكلام
قول بعض الشعراء الكرام الله يغضب ان تركت سؤاله وبني آدم
حين يسأل يغضب ثم في هذا الوعد المحقق المؤكد بقسم الحق
اعلام بان من تقرب الى الله لا يرده اذا دعاه لكن كثير من السلف
كان مستجاب الدعاء ومع ذلك صبروا على البلاء منهم سعيد بن ابي
وقاص رضي الله عنه لما عمي قيل له لو دعوت الله فقال قضاء الله
احب من بصري وقيل لابراهيم التيمي وهو في سجن الحجاج الا تدعو الله
فقال اكره ان ادعوه ان يفرج عني ما فيه اجري وصبر سعيد بن جبير
على اذى الحجاج حتى قتله مع انه كان مستجاب الدعوة هذا وفي رواية
كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا دعاني فاجبته وسألني فاعطيته
ونصح لي فنصحت له وان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو
افقرته لافسده ذلك وذكر مثله في الفقر والصحة والسقم ثم قال
اني ادبر عبادي لعلمي بما في قلوبهم اني عليم خبير وهذا مستفاد من قوله
تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده
خبيرا بصيرا ثم اعلم ان الاستعاذة انما هي لدفع المضار ومعظمها
بالنسبة الى الابرار هي الخواطر فلا بد من معرفتها فان الخاطر ما يرد
على القلب في صورة خطاب او تعريف او طلب وانواعه اربعة
خاطر الحق المسمى بالخاطر الاول وهو علم يقذفه الرب من بطنان
الغيب على اهل القرب ويبقى مطمئنا لا ينفيه شيء ولا يقتضيه المهلة
ويعبر عنه بالالهام وخاطر الملك وهو ما يرغب على الطاعات ويحذر عن

السيئات ويلوم عليها بعد الميل اليها وقد اطمأن ويطلب المهلة وخاطر الشيطان
وما هو يدعو الى المناهي والملاهي فيندفع بالاستعاذة والاستهداء وخاطر
النفس وهو حركة في الباطن تنبعث الى تحصيل ملاذها ومرامها من اشياء
منكرة بتحقق ان الله منزه عنها وعن غيرها فيقابل ترك المبالاة و
استدامة الذكر وسائر الطاعات ويفرق بينهما بان الشيطان اذا دعا
الى زلة ولم يجب يوسوس باخرى اذ مراده الاغواء كيف امكن في الاشياء
بخلاف النفس فانها لا تزال تلح حتى تظفر بمرادها الا ان يعيذه الله ولهذا
هو اشد الخواطر على المريدين وحقيقة الوسوسة ان الانسان بينما هو
ذاهل عن الشيء ذكره النفس والشيطان فيحدث له ميل يترتب عليه فعل
هذا هو المشهور بين الجمهور وقد ذكر نجم الدين الكبرى خاطر القلب
وهو ما يسلم من منازعة النفس وينطلق من قيود الشك وغيره وخاطر
العقل وهو ما يكون مع النفس والبدن لاثبات الحجة على العبد يستحق
به العقاب ومع الملك والروح يستوجب به الثواب وخاطر الروح
وهو ما ينبعث من همته التي تتم بها الحضرة الالهية يستنزل بها
الالهامات الربانية وخاطر السر وهو ما ينشا من ميلانه الى معرفة
الصفات التي يستنزل المعارف من بحار الاسماء والذات وخاطر
اليقين وهو روح الايمان ومزيد العلم والاتقان وخاطر الشيخ
للمريد يرد عليه على قدر العلاقة المعنوية وخاطر النبي للاتباع على قدر
الاتباع والخاطر من المولى على قدر صفاء الباطن وتآلف الروحين
والخاطر من قلوب الاخوان على قدر خلوص الصحبة انتهى ولا يخفى اندراجها
تحت الخواطر الاربعة بل رجوع تلك الخواطر باسرها الى اللمتين
المذكورتين في الحديث كما حققه الشيخ العارف صاحب العوارف
والمعارف بل لا يبعد ان يقال الاصل في الخواطر جميعها الخاطر
الحقاني والالهام الرباني لقوله تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها
وتقويها ومن ثم قيل التوحيد اسقاط الاضافات يعني في سلسلة الاسباب

المسببات

المسببات ولما كان هذا التحقيق من غوامض العلوم وادراك
عوائد فوائده من دقائق الفهوم بسطت الكلام في ذلك واوردناه
ما هنالك والله الهادي الى سواء المسالك رواه البخاري لكن بزيادة
بعد لاعيذنه وهي قوله وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن نفس
المؤمن يكره الموت وانا اكره مساءته قال ابن الصلاح وليس المراد بالتردد
هنا حقيقته المتعارفة في حقه بل انه يفعل به كفعل المتردد الكاره اي
لمحبته له يكره مساءته بالموت لانه اعظم آلام الدنيا الا على قليلين
من اهل العقبى والمشتاقين الى قرب المولى وان كان لا بد له منه
كما في رواية وذلك لما سبق من محتوم قضائه وقدره حيث قال
كل نفس ذائقة الموت فسبحان من قهر العباد بما اراد وهذا بالنسبة
الى من يوجد عنده الكراهة الطبيعية كما تقتضيه الحالة البشرية والا
ففي الحديث من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله
كره الله لقاءه كما رواه احمد والشيخان والترمذي والنسائي عن
عائشة وعن عبادة **الحديث التاسع والثلثون** عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله
تجاوز اي عفا تفاعل بمعنى فعل ولعل المجاوزة ان الله سبحانه
يطلب المذنب بالذنب والمذنب يطالب الرب بالعفو اي
يتمسك عنه الخوف من عذابه برحمته فاذا غفر الرب فقد تجاوز
عن المطالبة لي اي لاجلي ولتعظيم امري ورفعة قدري وحصول
مرضي صدري عن امتي اي امة الاجابة قال الكواشي في تفسيره
كان بنو اسرائيل اذا نسوا شيئا مما امروا به او اخطؤا عجلت
لهم العقوبة الخطاء اي اثمه وقد ابعد ابن حجر حيث فسر اولا
قوله تجاوز بمعنى ترك وثانيا حين قال هنا يحتمل عن حكمه او عن
اثمه او عنهما جميعا وهذا هو الاشبه اذ لا مرجح لاحدهما فابقى
الحديث على تناولهما وتخصيصه بالثاني يحتاج لدليل انتهى ولا يخفى



ان حكم الخطاء اعم من اثم فعل وما يترتب عليه من تداركه فرفع الاثم مستفاد
من هذا الحديث كما ان تداركه ماخوذ من قوله تعالى ومن قتل مؤمنا خطاء
اذ المراد بالخطاء هنا ضد العمد وهو ان يقصد بفعله شيئا فيصادف
غير ما قصد لا ضد الصواب خلافا لمن زعمه في هذا الباب بناء على
تعمد المعصية قد يسمى خطاء ثم الخطاء بفتحتين مقصورا هو الاشهر ويجوز
مده مع فتح الخاء وكسرها وكسر الخاء وسكون الطاء وكذا ضم الخاء وسكون
الطاء وبهذه الوجوه كلها قرئ قوله تعالى انه كان خطاء كبيرا وليس الخطاء
بفتحتين هو المراد هنا بدليل الآية الاولى واما بقية الوجوه فمختصة
بتعمد المعصية الا الخطاء بالفتح ممدودا فانه يناسب ان يكون ضد
الصواب والحاصل لا مؤاخذة في العقبى ولهذا لو قتل انسانا
خطاء بان لم يقصد الفعل كان سقط على صبي فمات او قصد الفعل
دون الشخص كما اذا رمى الى صيد فاصاب انسانا لم يقتص منه
اما من اراد ما يحسن فعله ولكن يقع منه خلاف مراده فهو ممن اجتهد فاخطأ
فله اجر واما من اراد ما لا يحسن فعله ويقع منه خلافه فهو مخطئ ارادة
مصيب فعلا فهو مذموم بقصده غير محمود بفعله وفي رواية ان الله
تجاوز عن امتي عن الخطاء قال ابن حجر وهي اظهر اذ لا يحتاج فيها
الى تضمين تجاوز لغيره بخلاف الاولى كما تقرر انتهى وفيه ان تجاوز
لم يتعد بمن فيحتاج هنا ان يقال الى ابدال الثاني عن الاول فيكون
المعنى عن خطاء امتي والتضمين كثير في كلام الفصحاء ومرام البلغاء
على انه حينئذ ايضا يحتاج الى تقدير مضافين اي تجاوز عن اثم خطاء
امتي بخلاف ما قرر حيث قلنا تجاوز بمعنى عفا فالخطاء مفعول بلا واسطة
وعن امتي بالواسطة والنسيان ضد الذكر بالكسر او الذكر بالضم بمعنى
التذكر وهو المراد هنا اي اثم ما صدر عنهم من اقتراف ذنب واقتران
طاعة نسيانا ولهذا لو اكل الصائم او شرب ناسيا فلا افطار ولا
كفارة بخلاف الصلوة فان لها هيئة مذكرة قيل اذا اثم الخطاء والنسيان

متجاوزا

متجاوزا عن هذه الامة المرحومة فما الحكم في الدعاء بقوله ربنا لا تؤاخذنا
ان نسينا او اخطأنا واجيب بان من التلذذ والاعتراف بالنعمة
بما رفع عنهم من البلاء وان النسيان منه ما يعذر صاحبه ومنه ما لا يعذر
كما اذا ترك التحفظ واعرض عن اسباب التذكر كمن راى نجاسة في
ثوبه واخر الازالة وصلى عنه مقصرا او يجب القضاء وكذا اذا تغافل
عن تعاهد القران حتى نسي فذكر الخطاء والنسيان واراد ما هو المسبب
عنهما وقيل المعنى ان نسينا المامور به او اخطأنا في المنهي وقد اجاب
الله دعاءهم بدليل ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه سبحانه قال
بعد كل دعاء فعلت او نعم والله اعلم وغايته ان يكون الحديث متاخرا
عن الكلام القديم وما استكرهوا عليه بصيغة المفعول اي واثم ذنب
صدر عنهم بالاكراه والاجبار فلا يكفر من اكره على الردة فتلفظ بها
مطمئنا بالايمان قلبه والحديث مخصوص بغير القتل والزنا واللواطة
وشهادة الزور والحكم بالباطل اكراها ونحو ذلك وفروع هذا الاصل
وشروطه مذكورة في كتب المذهب من الامور المتفق عليها والمختلف
فيها ولعل معناه بلسان العارفين وارباب الاشارة هو ان الله
لا يعاقب امتي ان اخطأت طريق طلب الله وفي العمل لما
سواه من خوف عقوبة او رجاء مثوبة او نسيت عهد الله الذي
عاهدهم ان يحبوه ولا يحبوا غيره لانهم غرباء بعد اطالة العهد بهم
صارفين عنه محتجبين بانواع البلاء عن قربهم لكن سيعودون الى
الفطرة الاصلية والمحبة الازلية لانه حين لم يكن شيئا مذكورا بل
لم يكن في الكتاب مسطورا قد نطق الحق بمحبتهم اولا ورقمها في اللوح
ثانيا وانزال عليهم قوله يحبهم ويحبونه ثالثا ولله در من قال نقّل
فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يالفه الفتى وحنينه ابدا لاول منزل حديث
حسن اي اسناده رواه ابن ماجة لكن عن ابي ذر كما صرح به في الجامع

الصغير ورواه الطبراني في الكبير والحاكم في مستدركه عن ابن عباس
رضه والبيهقي وغيرهما كابن حبان في صحيحه والدارقطني باسناد صحيح وقد
قال الحاكم صحيح على شرطهما وما يضره الاعلال بالارسال وانما اختار المص
كونه حسنا مع تصريح جمع بالتصحيح لما حكى البيهقي عن محمد بن نصر المروزي
انه قال ليس لهذا الحديث اسناد يحتج به فالاحوط ان يقال انه حسن
لذاته صحيح لغيره **الحديث الاربعون** عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي بفتح الميم وكسر الكاف
مجمع العضد والكتف ويروى بالتثنية قيل وهي الرواية وبالافراد
وذلك ليتوجه توجها بليغا فيما يلقى عليه ويتمكن في ذهنه ما يلقى اليه وفيه
ايماء الى ان الراوي له منزلة عظيمة لديه فقال كن في الدنيا كانك
غريب اي لا تركن اليها ولا تتخذها وطنا ولا تحدث نفسك بطول
البقاء فيها ولا بالاعتناء بها ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب
في غير وطنه ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب
الى اهله كذا قاله المص وذلك لان الدنيا دار مرور وجسر عبور كما
قال عيسى عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها فينبغي
للمؤمن ان ينتظر الانتقال عنها ساعة فساعة من الاحوال
متهيئا لاسباب الارتحال بتدارك الاعمال وبرد المظالم
او طلب الاستحلال مشتاقا الى الوطن الحقيقي حين كان في صلب
آدم عليه السلام ثم نقل منها الى دار الغربة والآلام وبالاقبال
على مداومة طاعة ذي الجلال والجمال على وجه الكمال قانعا في
سفرة ببلغة من لقمة وسترة من خرقة صابرا على ما اودع فيها من
الاكدار فانها بئس القرار وانما العيش عيش الآخرة كما في الاخبار
ثم ترقى عن المقام الاول بلفظ او التي بمعنى بل وقال او عابر سبيل
اي بل كانك عابر سبيل لانه قد يسكن الغريب في غير وطنه
ويستأنس به وباهله فقد ذم طائفة رفضوا الدنيا وانعزلوا عن الناس

وتجردوا

وتجردوا عما هم عليه من الاشغال والالباس بل صاروا حفاة عراة حاسري
الرأس وفي الحقيقة هم العقلاء والاكياس الخارج فضلهم عن الحد والعد
ومقياس القياس ان لله عبادا فطنا ٭ طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما عرفوا ٭ انها ليست لحي وطنا ٭ جعلوها لجة واتخذوا ٭
صالح الاعمال فيها سفنا ٭ هذا وزيد في بعض طرق الحديث وعد نفسك
في اصحاب القبور وفي رواية الترمذي وعد نفسك اهل القبور اي
وتنبه من نوم الغفلة وسكر الغرور وتب الى الله واستعد لزاد يوم الحشر
والنشور وهذا معنى ما ورد موتوا قبل ان تموتوا وكان ابن عمر يقول
اذا امسيت اي دخلت في وقت المساء وهو اول الليل فلا تنتظر
الصباح واذا اصبحت اي دخلت في وقت الصباح وهو اول وقت
النهار فلا تنتظر المساء وفي هذا حث على قصر الامل لانه سبب المبادرة
الى العمل والمنجي من آفات الكسل فانه من طال امله ساء عمله قالوا يجب
ان يجعل نصب عينه اجله فانه انسب للزهد في الدنيا والاقبال على
العقبى ولذا قيل من جعل الموت نصب عينه لم يبال بضيق الدنيا ولا
بسعتها المضرة في العقبى وقد ورد في الصحيحين وغيرهما لا يزال قلب
ابن آدم شابا في اثنين حب الدنيا وطول الامل وعن ابي زكريا اليمني
قال بينما سليمان ابن عبد الملك في المسجد الحرام اذ اتي بحجر منقور
فطلب من يقرؤه فاذا فيه ابن آدم لو رأيت قرب ما بقي من اجلك
لزهدت في طول املك ولرغبت في الزيادة من صالح عملك ولقصرت
من حرصك وحيلك فاعمل ليوم القيمة يوم الحسرة والندامة ذكره ابن
الجوزي في منهاجه وقد قال تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل
فسوف يعلمون وقال ابن عمر رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اصلح
خصا فقال ما هذا قال خص لنا نصلحه فقال ما ارى الامر الا اقرب
من ذلك ذكره الترمذي وقيل لبعضهم الا تغسل قميصك قال الامر
اعجل من ذلك وعن محمد بن ابي توبة قال اقام موذن الصلوة ثم

قال لي تقدم فقلت ان صليت بكم هذه الصلوة لم اصل بكم غيرها فقال
معروف انت تحدث نفسك ان تصلي صلوة اخرى نعوذ بالله من طول
الامل فانه يمنع خير العمل وروى عن ابي سعيد الخدري انه قال اشترى
اسامة بن زيد وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول الا تعجبون من اسامة المشتري الى شهر لطويل الامل
والذي نفسي بيده ما طرفت عيني الا ظننت ان شفري لا ينطبق حتى
يقبض روحي ولا طعمت لقمة الا ظننت اني لا اسيغها حتى اغص بها
من الموت فوالذي نفسي بيده انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين و
عن ابن عباس رض قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيمم
بالتراب فاقول يا رسول الله ان الماء قريب منك فيقول ما يدريني
لعلي لا ابلغه ذكره الحارث ابن اسامة وروى مرفوعا نجا اول هذه
الامة باليقين والزهد ويهلك اخرها بالبخل والامل وهذا الآن من
قصر امله زهد في دنياه ومن طال امله طمع ورغب في هواه وترك الطاعة
وتكاسل عن التوبة وقسا قلبه لنسيانه الاخرة عن علي كرم الله وجهه ارتحلت
الدنيا مدبرة والاخرة مقبلة ولكل واحد فيهما بنون فكونوا من ابناء الاخرة
ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل
وكان الحسن يقول عجبا لقوم امروا باخذ الزاد ونودوا فيهم بالرحيل
الى المعاد وحبس اولهم في انتظار اخرهم وهم قعود يلعبون ما يخطر هذا
في خاطرهم ووقع في اصل ابن حجر الى الصباح والى المساء بزيادة الى
في الموضعين وهو مخالف للنسخ المعتبرة والشروح المشتهرة وقد ابعد
في تقدير المعنى حيث قال اي اذا امسيت فلا تنتظر باعمال الليل الى
الصباح واذا اصبحت فلا تنتظر باعمال النهار الى المساء انتهى ووجه
الاستبعاد لا يخفى على الفضلاء النبلاء وخذ من صحتك لمرضك والمعنى
اغتنم ايام الصحة والعافية لاقتناء الاعمال الصالحة الباقية قبل ان
تمرض فتعجز عنها وتندم على ما فاتك منها وكذا الكلام في قوله ومن حياتك

لموتك

لموتك زاد الغزالي في اربعينه فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك
غدا اي ما رسمك ووصفك عند الله هل انت من الابرار او من
الفجار والمعنى خذ من ايام حياتك ما تلقى نفعه من بعد مماتك
واياك والتسويف المانع فان الوقت هو السيف القاطع وقد انشد
لعلي كرم الله وجهه في هذا المعنى قريب المبنى اذا هبت رياحك
فاغتنمها فان لكل خافقة سكون ولا تغفل من الاحسان فيها
فما تدري السكون متى يكون اذا ظفرت يداك فلا تقصر فان الدهر
عادته يخون ثم الموت احد الاسباب الموصلة الى النعيم السرمد كما ورد
انكم خلقتم للابد ولكن تنقلون من دار الى دار فهو وان كان في الظاهر فناء
لكنه في الحقيقة بقاء وولادة ثانية ونتيجة باقية كالنوى المزروع لا يصير
نخلا الا بعد فساد جثتها ولذا امتن الله علينا بالموت فقال الله الذي
خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقال الذي خلق الموت والحيوة وقدمه
لكونه ذريعة الى الحيوة الحقيقية كما قال وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو
ولعب وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون وفي الحديث
الموت تحفة المؤمن ثم الروح لا يدخل تحت سكرات الموت بل تنفصل
وتنقطع علاقته عنه والا لقوله تعالى ارجعي الى ربك راضية مرضية
يعني واما الساخطة مسخوطة ثم يتعلق حين دفن كما تعلق به ارادته
سبحانه كما اشير اليه قوله تعالى فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ويتوجه
عليه سؤال الملكين ويرد عليه عذاب القبر وثوابه ويبقى له العلاقة
بالتلذذ والتألم بحسب اختلاف اكتسابه ثم يرتقي روح المؤمن الى
الدرجة العليا ويصل الى السعادة الكبرى واما التي تذوق الموت
فهي النفس الحيوانية المركبة من الطبايع الانسانية كما قال تعالى
كل نفس ذائقة الموت اذا خرج منه الروح تنهدم اركانها وينعدم
شأنها لكن العارفون الذين صفت اجسادهم وتجانست ارواحهم
واشباحهم لا يتطرق اليها البلاء كما في الانبياء والشهداء والاولياء

من اهل البلاء بل تجذبها الى حضرة اللاهوت وتنظم في عالم الملكوت فافهم
هذه الاسرار التي نطقت بها الاخبار وشاهدها بالبصائر الباقية
الاخيار وقد ورد في معنى هذه الوصية عنه صلى الله عليه وسلم قال لرجل
وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك
قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك
قبل موتك وما احسن من قال من ذوي الاحوال وما هذه الايام
الا معارة فما استطعت من معروفها فتزود فانك لا تدري باية
بلدة تموت ولا ما يحدث الدهر في غد رواه البخاري من الظاهر
يشعر بان الحديث المرفوع والموقوف كلاهما رواه البخاري وفي الجامع
الصغير للسيوطي ما ينافيه فانه قال كن في الدنيا كانك غريب او عابر
سبيل رواه البخاري عن ابن عمر وزاد احمد والترمذي وابن ماجه
وعد نفسك من اهل القبور وقال لي يا ابن عمر اذا اصبحت فلا تحدث
نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من صحتك
قبل سقمك ومن حياتك قبل موتك فانك لا تدري يا عبد الله
ما اسمك غدا والحاصل ان هذا الحديث فذلكة الاحاديث السابقة
ونتيجة الاعمال الصالحة والاحوال الصادقة ولهذا ختم به عدد الاربعين
كما ختم به اسلام عمر حيث نزل فيه يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك
من المؤمنين **الحديث الحادي والاربعون** عن ابي محمد عبد الله
بن عمرو بالواو رضي الله عنهما ابن العاص بلا ياء هو الصحيح لانه اجوف
لا ناقص كما حققه صاحب القاموس حيث قال الاعياص من قريش
اولاد بني امية بن عبد شمس الاكبر وهم العاص وابو العاص والعيص
وابو العيص واما ما في بعض النسخ كما في اصل ابن حجر العاصي بالياء
فهو مبني على توهم انه اسم فاعل من العصيان وانه يجوز اثبات الياء وحذفها
كما هو مقرر في محلها ثم العاص هو الكافر العاصي واما من ذكر قبل فهما صحابيان
فينبغي ان يقال رضي الله عنهما الا انه قبل ابن العاص كما اشرنا اليه لا بعده

كما فعل ابن حجر فانه يتوهم منه ان الاخيرين صحابيان وعبد الله تابعي
فتدبر فانه اسلم قبل ابيه وكان اكبر منه باحدى او اثنتي او ثلاث
عشرة سنة عابدا عالما زاهدا اكثر الناس اخذا للحديث قال ابو هريرة
ما كان احد اكثر مني حديثا الا عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب ولا اكتب
سكن مكة ثم رحل الى الشام وعاد اليها وتوفي بها وقيل بالطائف
وقيل بالشام وقيل بمصر سنة خمس وستين وهو ابن ثنتين وسبعين
سنة ومروياته سبعمائة حديث وروايته اكثر من ذلك لما تقدم
وانما توعرت الطرق في الرواية عنه فكان ذلك سبب القلة ما صح عنه
يقال انه حفظ عنه عليه السلام الف مثل وقد عمي في آخر عمره وهو اجل
العبادلة الاربعة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يفضله على ابيه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم اي ايمانا كاملا حتى يكون هواه
بالقصر اي ميل قلبه وطبع نفسه تبعا لما جئت به شرعا جامعا مانعا
والمعنى لا يكمل ايمان احدكم حتى يكون موافقة للشريعة مثل موافقته
لمالوفاته من غير الكلفة ويجوز ان يحمل على نفي اصل الايمان اي حتى
يكون تابعا للشرع اعتقادا كالمخلصين لا خوفا واكراها كالمنافقين
ويوافق هذا الحديث خبر لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه
وولده واهله والناس اجمعين رواه الشيخان ولما صدقت
محبة الصحابة له عليه وسلم وكان هواهم تبعا لما جاء به قاتلوا معه
صلى الله عليه وسلم اباءهم وابناءهم وبذلوا في طريقة محبتهم وانفقوا
اموالهم وطوبى لهم ثم طوبى لهم فمن كان الهوى وهو الباطل المطاع
والمحبوب الاتباع تابعا لطريق الهدى من الملة البيضاء والسنة
الزهراء حتى يصير همومه المختلفة وخواطره المتفرقة التي تنبعث من هوى
النفس وميل الطبع هما واحدا يتعلق باموره واتباع شرعه تعظيما لحقه
وشفقة على خلقه كما قال كانت لقلبي اهواء متفرقة فاستجمعت
اذ رأتك العين اهوائي وصار يحسدني من كنت احسدهم

وصرت مولى الورى اوصرت مولائي ... تركت للخلق دنياهم ودينهم
شغلا بحبك يا ديني ودنيائي ... فان يميل الأحكام الشرع ولا يهوى الى
حكم الطبع فهو المؤمن الكامل الوحيد الذي يقبل منه التوحيد ومن اعرض
عنه متبعا لهواه متبعا رضاه فهو الكافر الخاسر في دنياه وعقباه ومن
اتبع اصول الشريعة دون فروعها فهو الفاسق ومن عكس فهو المنافق
والهوى مصدر هواه احبه وشرعا ميل النفس الى مشتهيات الطبع دون
مقتضيات الشرع فان جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم نور وضياء سمي
بالشريعة والهوى ظلمة في النفس منبعثة من الطبيعة فكيف يصير الهوى
الظلماني تبعا للدين النوراني مع ان علة الانضمام الكلية هي الجنسية
فالجواب ان النفس لطيفة في الجسد تولدت من ازدواج الروح
والبدن واتصالهما والروح لطيف روحاني والجسد كثيف ظلماني والنفس
متوسطة بينهما تقبل اللطافة الروحانية والكثافة الجسمانية وهذا
هو التسوية التي قال تعالى ونفس وما سواها فاستقامة الروح الروحاني
في الروح النفساني بمثابة النور في الحدقة فصارت بها النفس قابلة
للخير والشر والفجور والتقوى كما قال تعالى فالهمها فجورها وتقواها فاذا غلب
الامر بالتقوى صارت مزكاة عن كدورات الدنيا متوجهة الى الدين
فائزة لليقين مائلة الى العقبى شائقة الى المولى واذا غلب الامر بالفجور
صارت تابعة للهوى سالكة مسالك الردى كما قال تعالى قد افلح من زكيها
وقد خاب من دسيها وما احسن قول بعض ذوي العرفان ... نون الهوان
من الهوى مسروقة ... فصريع كل هوى صريع هوان ... قال الراغب مثل
النفس في البدن كمثل وال بعث الى ثغر يراعي احواله وعقل خليفة مولاه
لديه منضم اليه ليرشده ويسدده وعليه وبدنه بمنزلة مركوبه وهواه سائس
خبيث منضم اليه ليفقد مركوبه والقران بمنزلة كتاب اتاه من مولاه تبيانا
لكل شيء ورحمة والنبي رسول اتاه بالكتاب ليبين للناس ما نزل
اليهم واشكل عليهم فان جاهد اعداءه وقهرهم واستعان بالعقل في

امرهم

امرهم حمد اثره اذا عاد الى حضرته وهو من المفلحين ومن ضيع ثغره
واهمل رعيته وصرف همته الى مركوبه واقام سائس المركب مقام خليفة
ربه فهو في الآخرة من الخاسرين ثم اعلم انه روي عن ابن عباس قال الهوى
اله يعبد في الارض ثم تلا ارأيت من اتخذ الهه هواه وقال تعالى
واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى
وفي الحديث المجاهد من جاهد نفسه والعاجز اتبع نفسه هواها وتمنى
على الله وجاء مرفوعا تحت ظل السماء اله يعبد اعظم عند الله من
هوى متبع اخرجه الخرائطي وكذا روي عن اسماء بنت عميس مرفوعا
بئس العبد عبد هوى يضله وبئس العبد عبد طمع يقوده فالهوى
هو البلية العظمى فانها متبع شهوات الدنيا حديث صحيح اي اسناده
رويناه بصيغة الفاعل او المفعول في كتاب الحجة اي في اتباع
المحجة في عقيدة اهل السنة للحافظ ابي القاسم اسمعيل بن محمد بن
الفضل الاصفهاني وقيل هو ابو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي الشافعي
الفقيه الزاهد نزيل دمشق باسناد صحيح رواه محيي السنة
في المصابيح وشرح السنة وقد اخرجه ابو نعيم ايضا في كتابه الاربعين
التي شرط في اولها ان يكون من صحاح الاخبار وجياد الآثار مما اجمع
الناقلون على عدالة ناقليه ورواه الطبراني ايضا وكذا الحافظ ابو بكر
بن ابي عاصم الاصبهاني

الحديث الثاني والاربعون

عن انس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال الله تعالى يا ابن آدم افعل مشتق من اديم الارض وقيل
اعجمي لا اشتقاق له ويؤيد الاول حديث مرفوع خلق آدم من اديم
الارض كلها فخرجت ذريته على نحو ذلك منهم الابيض والاسود
والاحمر والسهل والحزن والطيب والخبيث والمراد هو وذريته
كانه قال ايها الجنس ليدخل ابو الانس فيه دخولا اوليا ثم في هذا النداء
نكتة للعرفاء وهي ان اقوى المراتب الاسم واضعفها الحرف فظن قوم انه

لان تأليف الاسم بالحرف فكذا اقوى الموجودات هو الحق سبحانه وخلق الانسان
ضعيفا فقالت الملائكة ما للتراب ورب الارباب فقيل لهم مذ تألف الاسم
مع الحرف في حال النداء فكذا البشر يصلح لحضرة رب الارباب حال التضرع
والنداء حيث قال ادعوني استجب لكم انك ما دعوتني اي ما دمت
تسألني مغفرة ذنوبك وغيرها او تتعبدني بالطاعات والدعوات ونحوها
فان الدعاء مخ العبادة ورجوتني اي ورجوت مغفرتي وطمعت
في رحمتي او خفت من عقوبتي وخشيت من عظمتي اذ الرجاء يستلزم الخوف
ايضا جاد وما زمانية ظرف قوله غفرت لك اي سترت عيوبك و
محوت ذنوبك على ما كان منك اي مع ما وقع منك من الذنوب الكثيرة
الصغيرة الكبيرة ولا ابالي اي لا يعظم علي كثرتها فان جرائم العباد و
اثام اهل العباد في جنب عظمة رحمة الرب كذرة صغيرة بل اقل منها
كالهباء فالحديث تحريض على الدعاء وتحسين الرجاء اما الدعاء فحقيقة
استدعاء العبد ربه واستمداده منه المعونة في حقه وله شرائط وآداب
تقدم الاشارة اليها في اثناء الكتاب فان قيل ثبت القلم بما هو كائن
فالدعاء لا يزيد ولا ينقص في هذا الباب وايضا المطلوب وان كان
من مصالح العبد فالجواد المطلق لا يبخل به سواء سأله او لم يسأله وان
لم يكن منها لم يجز طلبه ولان الرضا بالقضاء باب الله الاعظم والاشتغال
بالدعاء ينافي هذا المقام الافخم فالجواب ان الدعاء من سنن المرسلين
ومن شعار المسلمين ودأب العرفاء الصديقين والقران والحديث
ناطق بصحته بل مؤذن بوجوب سؤال الله ودعوته والسبب العقلي
فيه ان كيفية علم الله وقضائه غائبة عن عقول عباده والحكمة الالهية
تقتضي ان يكون العبد بين الخوف والرجاء اللذين بهما تتم العبودية وبهذا
الطريق صححنا القول بالتكاليف الشرعية مع الاعتراف باحاطة علم الله
وجريان قدره في كل قضاء ثم قوله صلى الله عليه وسلم فكل ميسر لما خلق له
في جواب قولهم ففيم العمل مع انه كتب مقعد كل احد من الجنة والنار يدل

عليه

عليه او يشير اليه فانه رهينهم بسابق القدر في الازل ثم عنهم
في القيام بالعمل ليعلم ان الوسائط والروابط معتبرة في جميع امور هذا
العالم والله سبحانه اعلم واما الرجاء فهو ان تأتي لجنة ترجو ثوابها
او سيئة ثم تتب عنها فترجو مغفرتها واما الرجل الفاسق المتمادي
المتواني القائل ارجو المغفرة فهذا من اكاذيب الاماني قال شاه
الكرماني علامة الرجاء حسن الطاعة ويؤيده قوله تعالى ان الذين آمنوا
والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمت
الله وقوله سبحانه ان رحمت الله قريب من المحسنين وقيل
الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال او قرب القلب من لطف الرب
او سرور الفؤاد بحسن الميعاد   اذا كثرت منك الذنوب فداوها
برفع يد في الليل والليل مظلم   ولا تقنطن من رحمة الله انما
قنوطك منها من خطاياك اعظم   فرحمته للمحسنين كرامة
ورحمته للمسرفين تكرم   واما الخوف فهو عبارة عن الم القلب بسبب
توقع مكروه في الغيب وسببه التفكر في تفاصيل انواع العذاب
المتوعد به على الفاجر وهو نصيب اهل الظاهر او معرفة الجلال
والكبرياء وهو وظيفة الانبياء والاولياء والاول يزول والثاني
لا يزول ومن كان خوفه في الدنيا اكثر امنه في العقبى اظهر وبالعكس
فتدبر وروي انه ينادي يوم القيمة وعزتي وجلالي لا اجمع على
عبدي خوفين ولا امنين فمن امنني في الدنيا خوفته يوم القيمة و
من خافني في الدنيا آمنته يوم القيمة يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك
اي وصلت من كثرة كميتها او من عظمة كيفيتها عنان السماء بفتح العين
المهملة قيل هو السحاب وقيل ما عن لك منها اي ظهر اذا رفعت رأسك
اليها ذكره المظهر وقال التوربشتي العنان السحاب واضافته الى السماء
غير فصيحة والصواب اعنان السماء صفائحها واقطارها كأنها
جمع عنن فلعل الهمزة سقطت من بعض الرواة او ورد العنان بمعنى العنن

انتهى ولا يخفى ان الاضافة تصح بادنى ملابسة فلا ينبغي تخطئة جميع
الرواة ثم لو ورد رواية عن بعضهم ايضا حكم ان الصواب معهم مع ما
فيه من الفائدة المشعرة بان السحاب منطبق آخذا بآفاق السماء لا في افق
واحد لانهم يطلقون على كل افق سماء كما يطلقون على كل طبقة سماء فتفيد
المبالغة في كثرة الذنوب بحيث لو كانت اجساما لملأت ما بين السماء
والارض كما جاء في رواية لو اخطأتم حتى بلغت خطاياكم ما بين السماء
والارض ثم استغفرتم الله يغفر لكم ثم استغفرتني اي تبت توبة صحيحة
بان ندمت على المعصية من حيث كونها معصية واقلعت عنها و
عزمت على ان لا تعود اليها وتداركت ما يمكن من قضاء الطاعة التي فوتها
ورد المظالم الى اهلها واستحلالهم فيها غفرت لك وان تكرر المعصية
والتوبة ففي الحديث ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة
كما رواه ابو داود والترمذي واما الاستغفار مع الاصرار على الذنوب
الكبار فتوبة الكذابين الفجار وقد اخرج ابن ابي الدنيا حديث المستغفر
من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه ولذا قال اصحاب ابي حنيفة
ان من قال استغفر الله واتوب اليه وهو مصر بقلبه على المعصية كاذب
اثم لانه اخبر انه تائب وليس حاله كذلك وقد قال طائفة من السلف
انه يكره له ذلك والظاهر ان هذا بالنسبة الى قوله اتوب اليه واما
بالنسبة الى قوله استغفر الله فلا اذ لا يلزم منه كذب فان الاستغفار
من جملة الادعية والاذكار مفيد ولو مع الاصرار بتخفيف الكبائر وتكفير
الصغائر هذا وفي كلام بعض العارفين ان التوبة هي الرجوع عن مخالفة
حكم الحق الى موافقته فلا بد من معرفة الذنب حتى يرجع منه بندم القلب
وكثرة الاستغفار وكف الجوارح عن الاوزار ومن رام حقائق توبة
الواصلين فعليه بكتاب منازل السائرين يا ابن آدم انك
لو اتيتني بقراب الارض اي ملئها كما قاله بعضهم وقال المصنف هو بضم
القاف وكسرها لغتان روي بهما والضم اشهر ومعناه ما يقارب ملأها ثم

قوله

قوله خطايا تمييز عن الذات المقدرة في الاضافة نحو ملئها عملا او حال
على ان ما قبلها مفعول به والباء للتعدية ثم لقيتني اي حال كونك ميتا
بوصف الايمان والاحسان فثم للمهلة لا للتراخي في الاخبار كما اختاره
بعض الشراح لا تشرك بي شيئا بذاتي وصفاتي وافعالي او شيئا مما كان
من النفس والشيطان والخلق اذ الشرك قسمان جلي وخفي والاول
غير مغفور والثاني يحبط العمل ويعاقب عليه والجملة حال لاتيتك
بقرابها مغفرة وهي ازالة العقاب وايصال الثواب ونكرها ليفيد
المغفرة العظيمة وعبر بقرابها للمشاكلة والا فمغفرته سبحانه غير متناهية
وقد ورد اللهم مغفرتك اوسع من ذنبي ورحمتك ارجى عندي من عملي
واعلم ان عباد الله الذاهبين اليه المقبلين عليه قسمان الواقفين
والسالكون والمراد بالواقف من موقف في عالم الصورة والمبنى ولم
يفتح له باب في الحقيقة والمعنى كالفرخ المحبوس في قشر البيضة الخلقية
فيكون شربه من عالم العاملات البدنية ولا سبيل له الى عالم القلب ومعاملة
مع الرب فهو محبوس في سجن الابدان وعليه موكلان يكتبان من اعماله الظاهرة
لديهما او الملهمة اليهما او المنكشفة عليهما فاذا لقي الله العلي بريا من
الشرك الجلي يغفر الله له مساويه ويشكر له مساعيه واما السالك فلا
يقف في محل ولا ينزل من منزل يسافر من عالم المبنى الى عالم المعنى ومن
مضيق الاشباح الى متسع الارواح وهم صنفان سيار وطيار
فالسيار من يسير بحدي الشرع والعقل على جادة الطريقة وخطاياه
ما يحجبه عن المولى من مراتب الدنيا والاخرى ورؤية غير الله والتعلق
بما سواه فان اكبر الكبائر اثبات وجود غير الله ذاتا وصفة وفعلا
حتى وجوده اصلا كما قيل   وجودك ذنب لا يقاس به ذنب
وهو الشرك عندهم كما قال العارف ابن الفارض ولو خطرت لي في
سواك ارادة   على خاطري سهوا حكمت بردتي فاذا تخلص من ذلك
العصيان تلقاه ربه بالغفران بان يستر بشاهد هويته ذنوب وجود

الاغيار ويرحمه برفع البينونة والاستار والطيار عاشق مفقود القلب
مغلوب العقل مجذوب السر يطير بجناحي العشق وهمة الذوق والشوق
في فضاء الحقيقة وفي رجاء ظلمة الشريعة وهو المتعين لحمل اعباء الامانة التي
لم يوجد في السماء والارض امين يؤتمن لتحملها فلما عرضت عليه نظر اليها
وعشقها وصار فراش تلك الشمعة تدور حولها حتى حملها فنسب في البداية
الى الافساد وسفك الدماء ولقب في النهاية بالظلوم والجهول فان
قلت من ابى ولم يطع في حمل الامانة نسب الى المكانة من الطاعة والامانة
ومن اطاعه وابى نسب الى الظلم والجهل والخيانة فما الحكمة في ذلك قلنا
ان الذلة والمسكنة وقعت في جانب العاشق كما ان القوة والعظمة وقعت
في طرف المعشوق بل جمال عزة المعشوق لا يظهر الا في مراءة ذل العاشق
وايضا كما ان عزة الامانة يلزم كمال حال المؤتمن في اصلاح كتمان امر الامانة
وقد يخص غيره بحسن الثناء عليه ليكون عزته في الظاهر وذلته في السر
بذلك على حقيقة هذه الدقيقة خطاب اسجدوا لادم وعتاب اني
اعلم ما لا تعلمون رواه الترمذي رحمه الله وقال اي هذا كما في نسخة
حديث حسن صحيح وفي نسخة حسن وفي اخرى حسن غريب لا نعرفه
الا من هذا الوجه والمعنى انه غريب اسنادا لا متنا ومطلق الغرابة
لا تنافي الحسن والصحة وقد اخرجه احمد وابو عوانة ايضا في مسنده
الصحيح من حديث ابي ذر والطبراني عن ابن عباس ثم لما كان هذان
الحديثان مما عليه مدار الاسلام ويتضمن ما لا يحصى من الحكم والاحكام لان
اولهما في الترهيب من اتباع الهوى والترغيب في سلوك مسالك الهدى
والثاني في التحريض على الرجاء والمغفرة والدعاء الذي هو مخ العبادة
اوردهما زيادة على عدد الاربعين في اخر الكتاب بصحة لكل ثواب
واواه واواب واشعارا بما قال بعض ارباب الحال من زاد زاد
الله في حسناته ولعله انتقل في هذا المحل الى مضمون حديث الحال
المرتحل فكان الحديثين بمنزلة الفاتحة وصدر سورة البقرة والى

قوله

قوله سبحانه فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب اي بزيادة
المطلب حتى تتقرب وختم بهذا الحديث العظيم اشعارا بانه يجب على
العبد ان يعتقد في مولاه الفضل والاحسان والمغفرة والرأفة والا
والامتنان وان يحسن ظنه اخر عهده في الدنيا واول عهده في العقبى
فانه بتحقيق رجاء الراجين حقيق وولي الاسعاد والامداد والتوفيق
فيا من عرف مكائد الدهر فزهد فيه وشغله هم الموت فلا يضحك
ملاء فيه اعتصم بحبل لا انصرام له واستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام
له واقبل على القران والحديث فما دونهما جفاء ونتنزل من القران
ما هو شفاء ثم رايت منقولا ان جماعة من السلف اجتمعوا على باب
الفضيل بن عياض رحمه الله ليسمعوا منه الحديث فاطلع لهم راسه
من كوة وهو يبكي ولحيته ترجف فقال عليكم بالقران عليكم بالصلوة
عليكم بالطواف ويحكم ليس هذا زمان الحديث انما هذا زمان تضرع
وبكاء واستكانة ودعاء كدعاء غريق في البحر العميق انما هذا زمان
احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع
ما تنكر ولعله اراد بالحديث علو الاسناد كما قال غيره حدثنا باب من
ابواب الدنيا لان غالب اهلها ليس لهم تصحيح في نقلها بل لهم غرض كاذب
من الاشتهار والاستظهار لا قصد العمل والاستبصار والاعتبار
قال المص فهذا اخر ما قصدته اي نويته واردته من بيان الاحاديث
التي جمعت قواعد الاسلام اي اساسه وما عليه مدار علماء الاعلام
وتضمنت ما لا يحصى من انواع العلوم في الاصول اي اصول الدين
من الالهيات والنبويات والفروع اي الاحكام الفقهية المتعلقة
بالاعمال الظاهرية والاداب اي تحسين الاحوال وتزيين الاخلاق
الباطنية وسائر وجوه الاحكام اي ما يحصل به كمال الاتقان والاحكام
وما ذلك الا لكون علوم العالمين وفهوم العالمين عاجزة من درك
حقائق كلامه وقاصرة عن كنه دقائق مرامه وانما يغترف كل احد من اتباعه

من بحر فيضه على قدر ما يحسن من اتباعه وهو مظهر الاسم الاعظم والكنز الافخم
الذي ظهر على وجه العالم ولذا قال بعض العارفين قد عرف الخلق
مقام الحق ولم يعرفوا الحقيقة المحمدية لتستره بالاوصاف البشرية فلله
الحمد والمنة على اتمام هذا الشرح واسأله المزيد من فضله بزيادة النصر والفتح
انه ولي ذلك والقادر على ما هنالك والمأمول من افاضل الاخوان
والفحول الاماثل ان ينظروا في كتابي بعين الرضا ويصلحوا ما فيه من الزلل
والخطأ فاني قليل البضاعة قصير الباع في الصناعة لكن رب حامل فقه
الى من هو افقه منه فالسعي بقدر الاستطاعة واسأل الله حسن الخاتمة
في اخر العمر من الساعة التي هي اخت القيمة فرغ مؤلفه في اليوم التاسع والعشرين
من شهر رمضان المبارك عام عشر بعد الالف من الهجرة بمكة المكرمة قبالة
الكعبة المعظمة حامدا على ما هداه الله وشاكرا على ما اولاه مولاه
مصليا مسلما على نبيه وسائر الانبياء والمرسلين
والحمد لله رب العالمين
م